مجلة فصلية يصدرها مجمع اللغة العربية بالشارقة

العربيّة لساني

السنة الأولى - العدد الثاني - ديسمبر ٢٠١٩م

شمس المجالس الأدبيّة تسطع في سماء الشارقة

أدب النبيّ ﷺ في معالجة العنف اللغويّ

تطوُّر دلالات الألفاظ الإسلاميّة

مؤتمر اللغة العربيّة في أفريقيا

حسّان بن ثابت شاعر الدعوة الإسلاميّة

نحو العربيّة بين التيسير والتعسير

نسخة بي دي إف (PDF)

وهبت نفسي للغة العربية

صاحب السموّ الشيخ الدكتور

سلطان بن محمد القاسمي

عضو المجلس الأعلى حاكم الشارقة – الرئيس الأعلى لمجمع اللغة العربية بالشارقة

الشارقة عاصمة عالمية للكتاب

20 19

SHARJAH WORLD BOOK CAPITAL

افتح كتاباً. تفتح أذهاناً.

Open Books. Open Minds.

SharjahWBC
www.sharjahwbc.com

العربيّة لساني

مجلة أدبيّة لغوية تصدر عن

حكومة الشارقة Government of Sharjah

مجمع اللغة العربية بالشارقة

ARABIC LANGUAGE ACADEMY IN SHARJAH

السنة الأولى - العدد الثاني - ديسمبر ٢٠١٩ م

رئيس التحرير

د. امحمد صافي المستغانمي

أعضاء التحرير

أ.د. بن عيسى باطاهر

د. مصطفى بن عاشور

د. فكري النجار

د. مصطفى البحيرة

منسق العلاقات العامة

أ. ماجد الهولي

التصميم والإخراج

محمد خيّال

المراسلات

هاتف : 400 60 51 6 971+

فاكس : 410 60 51 6 971+

ص.ب : الشارقة ، 1973

البريد الإلكتروني : info@alashj.ae

الموقع الإلكتروني : www.alashj.ae

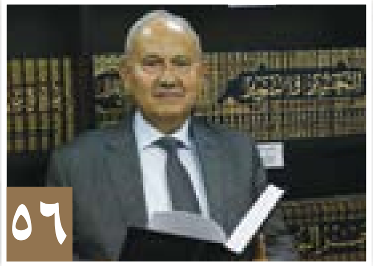

المحتويات

- افتتاحية العدد ٦
- ما أنبلك ٩
- مؤتمر اللغة العربية في أفريقيا ١٠
- حوارات مع الفائزين في الألكسو الشارقة ١٨
- لقاء حاكم الشارقة بأعضاء الألكسو الشارقة ٢٨
- شمس المجالس الأدبيّة تسطع من جديد في سماء الشارقة ٣٠
- زيارات الوفود لمجمع اللغة العربية بالشارقة ٣٤
- العبارة غير اللفظية والقيد التفسيري في القرآن الكريم ٣٦
- مكانة اللغة العربية عند علماء الحديث تحصيلا وتأليفا ٤٠
- أدب النبي ﷺ في معالجة العنف اللغوي ٤٦
- وهبت نفسي للفصيحة «شعر» ٥٠
- المتلازمات المعجميّة ٥٢
- تطور دلالات الألفاظ الإسلامية ٥٦
- الطريق إلى اللغة العربية الفصحى للأطفال ٦٢
- دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني ٦٨
- معجم تاريخي له في القلوب منازل «شعر» ٧٣

المحتويات

- قصتي مع مخطوط ٧٤
- أسلوب الكتابة في شبكات التواصل الإجتماعي ٧٨
- لغة الخالدين «شعر» ٨٢
- اللغة العربية بين الإهمال والإقبال ٨٤
- مُعلّم اللغة العربية «الواقع والغاية» ٨٨
- نحو العربية بين التيسير والتعسير ٩٢
- فصاحة دؤلية ٩٦
- رؤيا النبي ﷺ «شعر» ١٠٠
- حسان بن ثابت رضي الله عنه شاعر الدعوة الإسلامية ١٠٢
- الطيب صالح وروايته «موسم الهجرة إلى الشمال» ١٠٨
- السَّحو والجذور ١١٤
- قوِّم لسانك - قل ولا تقل ١١٨
- غَزَلٌ ولَكِنْ ١٢٢
- معارضات «يا ليلُ الصَّبُّ متى غدهُ» ١٢٦
- قصيدة لها قصة ١٣٠
- من الشارقة تشرق الضاد ١٣٤

غلاف العدد

السنة الأولى - العدد الثاني - ديسمبر ٢٠١٩ م

مجلة فصليّة يصدرها مجمع اللغة العربية بالشارقة

مجلة أدبية لغوية تعنى بقضايا اللغة العربية وآدابها

لمشاركاتكم ومقترحاتكم يرجى التواصل على البريد الإلكتروني amal.a@alashj.ae

لزيارة موقع مجمع اللغة العربية بالشارقة امسح رمز الاستجابة السريع بكاميرا الهاتف

د. امحمد صافي المستغانمي
الأمين العام لمجمع اللغة العربية بالشارقة

ألا هل يعودُ عهد العربيّة الزاهر ؟

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله حمدا يُوافي نعمه، ويُكافئُ مزيده، والصلاة والسلام على رسول الرّحمة ونبي الهدى وآله وصحبه وسلّم تسليما كثيرا.

كيف نعودُ بالحسناء المُضرية والغيداء الهُذَلية والهيفاء التّميميّة إلى عهدها الزّاهر ومجدها الغابر؟ أهذا طيفٌ من خيالٍ أم بناءُ صرح فوق رمال أم سؤالٌ واقعيٌّ وأيُّ سؤال؟ لا إخالُني مُجانبا للصّواب إذا قلت: لا يوجد عربيٌّ اليوم بَلْهَ مثقّفٌ واعٍ بَلْهَ أديبٌ أريبٌ لا يراودُهُ الحنين إلى أمجاد العرب والمسلمين التي حقّقوها في الأيّام الخوالي في العصور الذّهبيّة التي وليت بزوغ شمس الإسلام على المعمورة.

ألا يروقُك، يا رعاك الله، حين تسمعُ تلك المحاورات الفصيحة البليغة المُونِقة الأنيقة التي كانت تدور بين العرب الأقحاح، الفصحاء الأبيناء في مجالسهم ومحافلهم؟ ألا تنجذبُ وتطربُ، وتنتشي وتَعْجَبُ، حين تعيشُ وأنت تقرأ خطبة من خطب قُسّ بن ساعدة الإيادي الذي ضرّسته الأيّام بتجاربها فأبصر وقدّر، وفكّر وعبّر عن حِكَم ودروس وعِبَر؟

ألا تهتزُّ أريحيّتُك، وتترنّمُ وتصدح، وتتغنّى وتفرح بالملِك الضّلّيل الذي سبا الغانيات، وسحر الفاتنات، الرّشيقات الحسناوات، بالجواهر الثّمينة، واللآلئ المكنونة، والدّرر المصونة من أشعاره، يُنشدُها راكبا وواقفا، وباكيا ووالها على الأطلال حنينا للماضي الجميل، وشوقا لأيّام الصّبا ومراتع الطفولة ومرابع الأحبّة؟

لا ريب أنّ كلّ ذي مِسْكة من أدب، وأثارة من علوم العربيّة، ليَقِفُ مبهوتا مُعْجَبا بالفصاحة التي أوتِيَها الآباء والأجداد، وإنّ مطالعةَ جملة من قصائد زهير الحكيم في ثنائه على هرِمٍ والحارث اللذين أصلحا بين قبيلتي عبس وذُبيان بعد الحرب الضّروس التي طحنتهما بأنيابها، وقراءةَ نُتَفٍ من أشعار النّابغة الذبياني الشاعر المطبوع، الأديب في مدائحه، الأريب في اعتذاريّاته، وطرفة بن العبد الجسور الهصور الذي فاض لسانُهُ بصائب الحكمة والقول المبين، وغادر دنيا النّاس وهو في شرخ الشّباب.

قلت: إنّ الذي يشربُ من ينابيع هؤلاء، ويرتوي من معين أشعار الهُذليين وجمهرة أشعار العرب، ويتضلّع من الأصمعيّات والمُفَضّليات، ليأنَسُ أُنسا ويسعدُ سعادةً ويطربُ طربا لا يجدُه أبناءُ أغنى الأغنياء من ذوي البسطة في المال والجاه.

وإذا ولّيتَ وجهك شطرَ الكتاب المُعجز، والوحي المُفصّل، فإنّك لتجثو، كما جثا قبلك مصاقعةُ الشعر وجهابذةُ الألفاظ، أمام فصاحة البيان القرآني، ورفعة شأنه في ذرى الفصاحات، وتربّعه على عرش البلاغات سمُوَّ بيان، وجزالةَ لفظ، وجودةَ سبك، وإحكامَ نظم، وروعةَ تصوير، وسلاسةَ تعبير، وجمالَ إيقاع، وقوّةَ تأثير، كأنّما تسيلُ آياته على لهوات القرّاء سيلانا، وتتدفّقُ ألفاظه على ألسنة المُجوّدين والمرتّلين كلاما ربّانيا عذبا فراتا زلالا، وعسلا مصفّى بل هو أجلّ وأجمل، وألذّ وأشهى، وأروع وأرفع. وقُلْ قريبا من ذلك عن البيان النّبوي الرفيع، الفصيح المبين، الهادف الباني، المرشد إلى سواء السبيل في الأخلاق والمعاملات والتّقوى والعبادات وغير ذلك من فنون الدنيا والآخرة.

قد يقول قائل: لماذا هذا الكلام ونحن في عصر التّكنولوجيا والحاسوبيّات، والتّطبيقات السّيّارات في الهواتف الخلويّة واللّوحات الرّقميّة؟ أوَيحتاجُ عصرُنا إلى لغة الملك الضّليل والسّموأل والمهلهل وجرول؟ أويحتاجُ أبناؤنا إلى فصاحة المتنبّي وشاعريّة البحتري وحكمة أبي تمّام حتّى يُحقّقوا لأنفسهم نجاحا في دنيا النّاس؟

إن كان هذا السؤال صادرا عن العوامّ والدّهماء فالأمر هيّن، وبنا ضرورةٌ ماسّة لأن نبيّن الغرض من حديثنا السابق، ونجيب بإبانة وتبيين إلى أن ينزع القائل عن قوله، ويرتفع الكنان عن قلبه وعقله، وإن كان هذا الاستفهام صادرا عمّن يلوكون ألسنتهم بالغث والسّمين، ويعدّون أنفسهم من أهل الفكر المتحضّر، وأصحاب التّجديد ودعاة التّنوير، وبُناة الحضارة، ويحسبون أنّهم مُهتدون وما هم بمهتدين، فالخطبُ جلَل، والرّزيّةُ كبرى، والمأساة جسيمة، والفاجعة أليمة.

إنّ الحياة مادّة وروح، وإنّ الإنسان بجسمه وعقله وفؤاده ووجدانه، ولو كانت الدّنيا مبنيّةً على المادّيات فقط، لاستوى الناس وبقيّة الدّواب على هذه الغبراء. إنّ النّجاح المادي، والتضلّع في العلوم الحيّة والدّقيقة وفروع التكنولوجيا الحديثة شيء جميل، ومطلبٌ جليل، يحثّ عليه الشّرع قبل أن ينادي به العقل السليم، ولكن في الوقت ذاته فإنّ للإنسان، كلّ إنسان، روحا تتشوّقُ إلى أعلى، وترنو إلى غذاء يشبعها، وتصبو إلى شراب عذب يَرْوي غليلها. وهذان العنصران: الغذاء والماء، لهذه الروح العطشى، والنّفس الظّمأى، لا وجود لهما إلا في كتب القِيَم، وقراطيس الأخلاق، وسجلاّت التاريخ، وصحائف الدّين، ودواوين الشّعر.

إنّ التراث المجيد الذي ورثناه عن آبائنا الأقدمين مكتوبا باللغة العربية الفصيحة هو الغذاء الصحّي لأبنائنا وبناتنا. إنّ الهدى الرّبّاني في القرآن الكريم، وأحاديث نبيّنا محمد صلّى الله عليه وسلم هو الشفاء لأسقامنا وأدوائنا، والعلاج الأنفع الأنجع لمشكلات الشباب، وآفات أبناء العصر.

فمن أين لأبنائنا وبناتنا التّشبّع بالخصال النبيلة والخلال المحمودة المستقاة من الأشعار التي جادت بها قرائحُ الشعراء، والخطب والرّسائل التي سطّرتها أنامل الأبيناء الفصحاء، وهم خِلْوٌ من علوم العربية التي تُمكّنُهم من القراءة السليمة والاستيعاب الصحيح؟ كيف نتعامل مع القرآن الكريم الذي أنزله الله بلسان عربيّ مبين، ونحن نفتقر إلى المقدّمات الأوّليّة في علوم اللغة العربيّة؟

ونحن لا نُبجّلُ اللغة العربية فقط تعصبّا لها، وإن كان من

حق كل شعب أن يتعصّب للغته، ومن حق كل إنسان أن يعيش مُولَعا بحب ما درج عليه في نشأته الأولى، قلت: لا ندعو إلى تبجيل العربية والعودة إليها من منطلق أنّنا نشأنا في أحضان بيئة عربيّة فقط، وإنّما ندعو إليها لعوامل كثيرة يضيق المقام عن سردها، يأتي في مقدّمتها الحرص على تربية أبناء الجيل على الأخلاق الجميلة، والقيم النبيلة. نريد لأبنائنا أن يُحسنوا القراءة باللغة العربية فيَعُوا ويستوعبوا، ويُدركوا. نهوى لهم أن يُنصتوا إلى كلام اللّٰه المحكم المفصّل المرتّل المُدبَّج بهذه اللغة الثّريّة الخصبة المثراءة المعطاءة، فتهتز نفوسهم بكلام خالقهم، وتتأثر بألفاظه وآياته، وتتفاعل مع حكمه الرّبّانية ومواعظه الحسنة وقصصه الماتعة الممتعة الهادفة المرشدة.

إنّ الحسناء المضريّة التي اختارها اللّٰه لنا هي من أبْيَنِ لغات العالمين إن لم تكن أبينَها وأسلسَها، وأثراها وأغناها. يقصرُ بيان كلّ أديب عن وصفها، ويتضاءل تعبير كل بليغ عن الإحاطة بنعتها، كيف وقد اصطفاها العليم الحكيم لحمل رسالته الخالدة للعالمين في أعظم ثوب تعبيري، وأبلغ بيان ربّاني، هدى به القلوب، وهذّب النفوس، وفتّح أكمام الإبداع في شتى العلوم لدى أبناء المسلمين حين أخذوه بقوّة، وآمنوا به حقّ الإيمان.

إنّ السبيل المبلّغة إلى ضفّة النّجاة، والجسرَ المُوَصّل إلى شاطئ الأمان، هو اللغة العربية بسائر فنونها وعلومها. إذا أراد عرب اليوم وأبناؤهم أن يتألّقوا في دنيا العلوم والفنون، ويحققوا أعلى نسب النّجاح والتألّق والتّفوّق في دنيا الحضارة، فعليهم بأن يوازنوا بين عنصري المادّة والرّوح. عنصرُ المادّة تبنيه وتغذّيه العلوم العصرية بشتى ألوانها، ويُغذّيه الإبداع في التكنولوجيا والرّقميات وشتّى الصناعات، والعنصر الروحي يغذّيه التراث المجيد الحافل بالحكمة والقول الرشيد، يُغذّيه وينمّيه القرآن الكريم بآياته وألفاظه، وقصصه وعبره، وحكمه وأحكامه، ويُشبعه ويرويه حديثُ نبينا صلّى اللّٰه عليه وسلم الذي بعثه اللّٰه رحمة للعالمين، وأسوةً حسنة للناس أجمعين. هذه صيحتي في أبناء العروبة والإسلام، فهل من مُدّكر وهل من مجيب؟

وبعد، فها هي ذي مجلتكم «العربية لساني» تُطلُّ على جمهورها في عددها الثاني، تُطلُّ على مُحبّي لغة الضاد وعاشقيها، في ثوبٍ من الأدب الرّصين، والبيان البديع، والتعبير المونق الأنيق، تتعانقُ موضوعاتها، وتتوامقُ، وتتراشقُ، وتتناسق، مُشكّلةً أنموذجا من المجلات التي تُحيي اللغة في نفوس أبنائها، عسى أن تُصادف مقالاتها وموضوعاتها قلبا ساهيا فتوقظه من غفلة، ونائما فتحرّكه من سبات، وغائبا فتبعث فيه الروح من جديد.

ولا نملك في هذه الافتتاحية الإطالة، فمن حق القارئ أن ينتقل إلى صفحات المجلة فيعيش معها لحظات من الوقت الجميل بصحبة الأدباء واللغويين والشعراء، مع الأسلوب الشائق الرائق، والتعبير الماتع الممتع، والفنّ الشعري الأصيل، ويَعلَمُ اللّٰه أنّنا حرصنا أن نختار كل ما هو نافع ورائع ومُحفّز للعودة إلى اللسان العربي المبين، وإن كانت لنا دعوةٌ نرجو أن تبلغ فوق عنان السماء فإنّا نُشْهِدُك يا ربّنا بأننا ندّخرها لحامي هذا اللسان، بالجاه والعلم والسلطان، حاكم الشارقة الذي سارت بذكره الرّكبان في خدمة اللغة العربية وعلوم القرآن، ولا غرو في ذلك ولا عجب، وهو الذي يقول دائما: وهبتُ نفسي للعربيّة، والسلام.

وكتبه امحمد صافي المستغانمي

٤ ديسمبر ٢٠١٩.

ما أنبلك !

الإهداء: إلى كلِّ إنسان في هذا الوجود

د. لعبيدي بو عبد الله

أستاذ اللسانيات والمعجميات الجامعة القاسمية

امـدُدْ يـديكَ فقد مـدَدْتُ يـديَّ لَكْ   واشـددْ بـأزْرِي إنَّ أَسْـرِي أثقلَكْ

لِنعيشَ فـي كـنَفِ السَّـعادةِ كلُّنَا   ما أجملَ العيشَ السَّعيدَ وأجملَكْ!

هيهاتَ أخذلُكَ.. الوجودُ عرَفتُهُ   لمَّا رأيتُكَ ..كيف لي أن أخذلَكْ؟!

إنِّـي أدافعُ عنكَ مهما قلتَ في   مهما ربيعُكَ ضاعَ عطرُهُ أو هَلَكْ

مهما شـرَدْتَ.. رسومُ حِبريَ طائرٌ   قد أدمَنَ التّرحالَ حتَّى يَكفُلَكْ

مهما ظمِئتَ.. فرَبعُ ميَّةَ منهلٌ   أضحى يضاهي في المفاوزِ منهلَكْ

لو غبتَ يومًا قلتُ: لـمَّا رقَّ لِـي!   فـالعطرُ ينأى كلَّما قد رَقَّ لَكْ

صيَّرتُ من حرفي جُسورًا في المدى   وعلى جميعِ الوردِ شعري فضَّلَكْ

هل يمهِلُ الشَّوقُ الذي خبأتُهُ   في يُتمِ حرفي إن زمانُك أمهلَكْ؟!

هل يُقرِضُ الشُّعراءُ معنًى مغفلًا؟   لا شعرَ يحلو إن قصيديَ أغفَلَكْ

هل في مرايا الرّوحِ صحوةُ مُلهَمٍ   ألِفَ العيُونَ.. وما إخالُهُ بدَّلَكْ؟!

كلُّ المدائنِ.. والمفازاتُ.. البِحَا   رُ الطَّيْرُ -مذ لقَّنتَهَا-.. كلُّ الفَلَكْ..

الكلُّ يهتفُ في الأصائلِ والصَّدى: ما أكرمكْ!.. ما أطهركْ!.. ما أنبلَكْ!

الكلُّ في فجٍّ يحدِّثُ عنكَ لا   يخشى إذا ضلَّ الهُدَى فيما سَلَكْ

يا أخلصَ الأصحابِ بَوْحي ما نأى   عن إرثه.. والحُلمُ نبضٌ قد ملَكْ

أقتاتُ من لغةٍ أحمِّلُها معي   معنًى أسيرًا ربَّما قد عطَّلَكْ؟

ها إنَّني أسعى لأفهمَ سرَّ ما   خبَّأتَهُ.. ما كانَ لي أن أجْهَلَكْ!

دثَّرتُ قبلَكَ بالوِداد أحبَّةً   واليومَ عنوانُ الأُخوَّةِ زمَّلَكْ

تلك الجُسورُ طريقُنَا نحيَا بها   لا عذرَ لي إن كانَ قلبي أهمَلَكْ

مهما اختلفْنَا فالرَّوابطُ جمَّةٌ..   سامِحْ إذا خِلٌّ جفَا أو عَذَّلَكْ

هي رابطُ الأخلاقِ يجمعُ شملَنَا   هي واجدٌ بجلالِهِ قد عدَّلَكْ

هي كونُكَ (الإنسانَ) يكفي.. هل تَرَى   أحدًا سيجرؤ بعد ذَا أن يسألَكْ؟!

مؤتمر اللغة العربية في أفريقيا في نواكشوط

(5- 7 محرم 1441هـ/ 4- 6 سبتمبر 2019م)

أفريقيا تقول: « أنا أتكلم اللغة العربية »

تقرير/ أ. د. كمال محمد جاه الله الخضر
أكاديمي سوداني

بمكرمة سخيّة ورعاية كريمة من صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي عضو المجلس الأعلى للاتحاد حاكم الشارقة حفظه الله تعالى، وبالتنسيق بين مجمع اللغة العربية بالشارقة ومجلس اللسان بموريتانيا، انطلقت فعاليات مؤتمر اللغة العربية بأفريقيا في الفترة ٥- ٧ محرم ١٤٤١هـ/ ٤- ٦ سبتمبر ٢٠١٩م.

حظي هذا المؤتمر اللغوي بمشاركة واسعة من الخبراء والباحثين والأكاديميين والمهتمين باللغة العربية في أفريقيا. كان ذلك في قصر المؤتمرات في مدينة نواكشوط عاصمة الجمهورية الإسلامية الموريتانية. وقد تميّز المؤتمر في أيامه الثلاثة بالإعداد الجيد، والتنظيم الدقيق، والترتيب المتقن.

افتتح المؤتمر رسميا معالي الوزير الأول للجمهورية الإسلامية الموريتانية بكلمة ترحيبية قيّمة دعا فيها إلى مضاعفة الجهود لكي تستعيد اللغة العربية مكانتها، التي كانت لها في عصور خلت، لغةً للعلم والثقافة والصناعة والتجارة، وأداةً للتواصل وتطوير البحث العلمي والابتكار ونشر شتّى العلوم والمعارف حول العالم.

وقُرئت خلال الجلسة نفسها رسالة وجّهها صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي إلى المشاركين، ذكَر فيها بأن اللغة العربية في أفريقيا سكنت، وتوطدت أصولها مع الفتوحات الإسلامية الأولى، ثم انتشرت رقعتها واتّسعت، وترسّخت جذورها في هذه البلاد الطيبة المباركة.

قُدِّمت خلال الأيام الثلاثة للمؤتمر ٣٧ ورقة علمية محكّمة، شارك في إعدادها أكاديميون وباحثون ومهتمون ينتمون إلى ١٩ دولة أفريقية (هي: المغرب والجزائر ومصر والسنغال ومالي وليبيا والنيجر وتشاد ونيجيريا وساحل العاج وغينيا كوناكري وأوغندا والكاميرون وغامبيا وغانا والصومال ورواندا والسودان وموريتانيا)، وقد توزّعت الأوراق على أربعة محاور: محور «العلاقات التقابلية بين اللغة العربية واللغات الأفريقية»، ومحور «التعليم العربي في البلدان الأفريقية»، ومحور «الأدب العربي في أفريقيا»، ومحور «راهن اللغة العربية ومستقبلها في أفريقيا».

حضر المؤتمر مدير المركز التربوي للغة العربية لدول الخليج، موفدا من قبل صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي. كما حضره الأمين العام لاتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية، وعدد من قادة مجامع اللغة العربية والهيئات الشريكة، وممثلون عن مؤسسات عربية وإقليمية مهتمة باللغة العربية. وشهد المؤتمر إقبالا كبيرا من النخبة الموريتانية التي أغنت جلساته بالمناقشة، وتقديم المقترحات.

صاحب المؤتمر افتتاح معرض: «الخط العربي الأفريقي، وسوم ورسوم»، والذي اشتمل على لوحات غنيّة متميّزة كتبت بالخط العربي، اشتملت على خمسة محاور، هي: التطور التاريخي للخط الأفريقي، أنواع وجماليات الخط الأفريقي، خطوط أفريقية عجمية، خطوط الأعلام، تنميط وحوسبة الخط الأفريقي.

مشهد من الحضور في مؤتمر أفريقيا

كلمة صاحب سمو الشيخ الدكتور

سلطان بن محمد القاسمي

رعاه الله

ألقاها نيابة عنه الدكتور

عيسى صالح الحمادي

مدير المركز التربوي للغة العربية لدول الخليج بالشارقة

أَصْحابَ الْمَعَالِي، الْإِخْوَةَ السَّادَةَ الْعُلَمَاءَ، حُرّاسَ لُغَةِ الضَّادِ، الْحُضُورَ الْكَرِيمَ،

السَّلامُ عَلَيْكُم وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكاتُهُ.

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ، وَتَتَحَقَّقُ الْغَايَاتُ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى الْمَبْعُوثِ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، وَأَشْرَفِ الْخَلْقِ أَجْمَعِينَ، سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَبَعْدُ...

يَسُرُّنِي وَيُسْعِدُنِي أَنْ أَرْفَعَ إِلَى فَخَامَةِ رَئِيسِ جُمْهُورِيَّةِ مُورِيتَانْيَا الْإِسْلَامِيَّةِ، وَإِلَى كَافَّةِ الشَّعْبِ الْمُورِيتَانِيِّ الشَّقِيقِ أَخْلَصَ التَّحِيَّاتِ، وَأَصْدَقَ التَّبْرِيكَاتِ، بِمُنَاسَبَةِ الْعَامِ الْهِجْرِيِّ الْجَدِيدِ أَلْفٍ وَأَرْبَعِمِئَةٍ وَوَاحِدٍ وَأَرْبَعِينَ.

وَأَتَوَجَّهُ بِالشُّكْرِ إِلَى مَعَالِي رَئِيسِ الْوُزَرَاءِ، وَالْإِخْوَةِ الْوُزَرَاءِ، وَإِلَى فَضِيلَةِ الْأُسْتَاذِ الدُّكْتُورِ الْخَلِيلِ النَّحْوِيِّ رَئِيسِ مَجْلِسِ اللِّسَانِ، وَإِلَى سَائِرِ الْعُلَمَاءِ الضُّيُوفِ الْأَكَارِمِ بِالتَّحِيَّاتِ الْخَالِصَاتِ، دَاعِيًا اللهَ الْكَرِيمَ أَنْ يُوَفِّقَكُمْ فِي مُؤْتَمَرِكُمْ هَذَا إِلَى أَحْسَنِ النَّتَائِجِ، وَأَنْفَعِ الْمُخْرَجَاتِ.

وَبَعْدُ ... فَإِنَّ اللُّغَةَ الْعَرَبِيَّةَ أَرْقَى اللُّغَاتِ وَأَسْمَاهَا، وَأَجَلُّهَا وَأَعْلَاهَا، وَأَخْصَبُهَا. يَشْهَدُ التَّارِيخُ أَنَّهَا مِنْ أَطْوَلِ اللُّغَاتِ عُمْرًا، وَأَزْخَرِهَا مَحْفُوظًا، وَأَوْسَعِهَا تُرَاثًا. **وَحَقِيقٌ بِنَا جَمِيعًا أَنْ نُعْنَى بِهَا، وَأَنْ نَجْتَمِعَ مِنْ أَجْلِهَا، وَأَنْ نَنْظُرَ فِي قَضَايَاهَا، وَأَنْ نَتَدَارَسَ شُؤُونَهَا، وَأَنْ نُسَهِّلَ عَلَى النَّشْءِ الْجَدِيدِ التَّحَدُّثَ بِهَا بِفَصَاحَةٍ وَإِبَانَةٍ وَتَبْيِينٍ، وَنُيَسِّرَ سُبُلَ تَعْلِيمِهَا لِأَبْنَائِنَا وَلِغَيْرِ النَّاطِقِينَ بِهَا** فِي شَتَّى دُوَلِ الْعَالَمِ مَا اسْتَطَعْنَا إِلَى ذَلِكَ سَبِيلًا.

لَيْسَ الْمَقَامُ مَقَامَ إِشَادَةٍ بِالْعَرَبِيَّةِ وَمَآثِرِهَا، وَالْفَخْرِ بِعُلُوِّ كَعْبِهَا، وَسُمُوِّ شَأْنِهَا، وَإِنَّمَا الْمَقَامُ يَتَطَلَّبُ مِنَّا وَمِنْ كُلِّ غَيُورٍ عَلَيْهَا أَنْ نَنْظُرَ فِي قَضَايَاهَا الْمُعَاصِرَةِ، وَأَنْ نَتَدَارَسَ فِيمَا بَيْنَنَا شُؤُونَهَا وَأَحْوَالَهَا. **وَإِنَّ الْآمَالَ لَمَعْقُودَةٌ عَلَيْكُمْ، وَأَنْتُمْ أَهْلُ الْعَرَبِيَّةِ وَحُمَاتُهَا وَحُرَّاسُهَا أَنْ تَتَدَارَسُوا شُؤُونَهَا، وَأَنْ تَضَعُوا أَمَامَ الْأَجْيَالِ بَرَامِجَ وَمَشَارِيعَ عَمَلِيَّةً تُيَسِّرُ سُبُلَ اسْتِعْمَالِهَا وَتَوْظِيفِهَا وَالتَّحَدُّثِ بِهَا.**

اللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ فِي أَفْرِيقْيَا سَكَنَتْ وَتَوَطَّدَتْ أُصُولُهَا مَعَ الْفُتُوحَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْأُولَى مُنْذُ دُخُولِ الْفَاتِحِ عُقْبَةَ بْنِ نَافِعٍ – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى – بِلَادَ الْمَغْرِبِ الْعَرَبِيِّ، ثُمَّ انْتَشَرَتْ رُقْعَتُهَا وَاتَّسَعَتْ، وَتَرَسَّخَتْ جُذُورُهَا فِي هَذِهِ الْبِلَادِ الطَّيِّبَةِ الْمُبَارَكَةِ. وَعَلَى الرَّغْمِ مِنَ الظُّرُوفِ الصَّعْبَةِ الَّتِي مَرَّتْ بِهَا كَثِيرٌ مِنَ الدُّوَلِ الْأَفْرِيقِيَّةِ فِي الْقَرْنَيْنِ الْمَاضِيَيْنِ جَرَّاءَ الِاسْتِعْمَارِ الْغَرْبِيِّ الْمُتَنَوِّعِ الَّذِي حَاوَلَ جَاهِدًا تَقْوِيضَ أَرْكَانِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَالْغَضَّ مِنْ شَأْنِهَا، وَصَرْفَ الشُّعُوبِ عَنْهَا، لَكِنَّ هَذِهِ اللُّغَةَ الْفَرِيدَةَ الْعَصْمَاءَ ظَلَّتْ وَاقِفَةً شَامِخَةً تُنَاطِحُ السَّمَاءَ، وَاسْتَمَرَّتْ حَيَّةً كَرِيمَةً، وَاسْتَعْصَتْ عَلَى الزَّوَالِ وَالِاضْمِحْلَالِ؛ **ذَلِكَ لِأَنَّ وَسَائِلَ حِفْظِهَا كَامِنَةٌ فِيهَا؛ فَفِيهَا كُلُّ مُقَوِّمَاتِ الْبَقَاءِ وَالْحَيَاةِ وَالتَّطَوُّرِ وَالِاسْتِمْرَارِ، وَمَا عَلَى أَبْنَائِهَا وَالْمُهْتَمِّينَ بِهَا إِلَّا أَنْ يَجْتَهِدُوا فِي تَطْوِيرِ أَسَالِيبِ تَعْلِيمِهَا،** وَتَحْفِيزِ الْأَجْيَالِ لِدِرَاسَتِهَا، وَإِحْسَانِ التَّوَاصُلِ بِهَا.

وَهَا أَنْتُمْ أُولَاءِ أَقْبَلْتُمْ مِنْ أَغْلَبِ دُوَلِ أَفْرِيقْيَا فِي مُؤْتَمَرِكُمْ هَذَا، تَتَحَدَّثُونَ عَنْ هَذِهِ اللُّغَةِ، وَتَتَدَارَسُونَ شُؤُونَهَا، وَتُعْنَوْنَ بِقَضَايَاهَا؛ فَهَنِيئًا لَكُمْ هَذَا التَّوَجُّهُ الْكَرِيمُ، وَنَحْنُ نَشُدُّ عَلَى أَيْدِيكُمْ، وَنَدْعَمُ جُهُودَكُمْ أَدَبِيًّا وَمَعْنَوِيًّا وَمَادِّيًّا، وَاللهُ الْمُوَفِّقُ وَالْمُعِينُ.

وَنُبَشِّرُكُمْ، أَيُّهَا الْجَمْعُ الْكَرِيمُ، بِأَنَّنَا فِي الشَّارِقَةِ أَنْشَأْنَا مَجْمَعَ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ الَّذِي يُعْنَى بِقَضَايَا اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، وَيُسَانِدُ الْمَجَامِعَ اللُّغَوِيَّةَ الْعَرَبِيَّةَ الْعَامِرَةَ بِكُلِّ خَيْرٍ، **وَمَا زَالَتْ عِنَايَتُنَا بِالْمُعْجَمِ التَّارِيخِيِّ لِلُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ مِحْوَرَ مَشَارِيعِنَا تَحْتَ إِشْرَافِ اتِّحَادِ الْمَجَامِعِ اللُّغَوِيَّةِ، وَأَقَمْنَا - وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَالْمِنَّةُ لَهُ - بُيُوتًا لِلشِّعْرِ فِي عَدَدٍ مِنَ الْعَوَاصِمِ وَالْمُدُنِ الْعَرَبِيَّةِ،** وَنَجْتَهِدُ دَائِمًا وَلَا نَأْلُو جَهْدًا لِخِدْمَةِ هَذِهِ اللُّغَةِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي أَكْرَمَنَا اللهُ بِهَا حَامِلَةً لِكِتَابِهِ الْعَزِيزِ.

هَذَا مَنْهَجُنَا، وَهَذَا دَأْبُنَا وَأُسْلُوبُنَا فِي الْحَيَاةِ؛ لِأَنَّنَا نُؤْمِنُ بِأَنَّهُ لَا سَبِيلَ لِلْعَيْشِ الْكَرِيمِ فِي الْعَالَمِ الْمُتَنَوِّعِ الْمُخْتَلِفِ الْأَعْرَاقِ وَالْأَجْنَاسِ إِلَّا بِالْحِوَارِ وَالتَّوَاصُلِ وَالتَّفَاهُمِ مَعَ الْآخَرِينَ عَبْرَ قَنَوَاتِ الْفِكْرِ وَاللُّغَةِ وَالثَّقَافَةِ وَالْعِلْمِ.

هَذَا خَطٌّ ارْتَأَيْنَاهُ مُنْذُ وَلِينَا حُكْمَ الشَّارِقَةِ وَقَبْلَ ذَلِكَ، وَلَا نَحِيدُ عَنْهُ وَلَا نَتَزَحْزَحُ عَنْهُ، وَلَا نُحْسِنُ غَيْرَهُ.

أَيُّهَا الْجَمْعُ الْكَرِيمُ، إِنَّ الْأَعْمَالَ الْجَلِيلَةَ يُقَيِّضُ اللهُ – جَلَّ ثَنَاؤُهُ – لَهَا ذَوِي الْهِمَمِ الْعَالِيَةِ، وَالنُّفُوسِ الْعَظِيمَةِ، وَنَسْأَلُهُ تَبَارَكَ اسْمُهُ أَنْ يُكَلِّلَ مُؤْتَمَرَكُمْ هَذَا بِالنَّجَاحِ، وَأَنْ يُوَفِّقَكُمْ إِلَى خِدْمَةِ قَضَايَا اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْكُبْرَى، وَوَضْعِ حُلُولٍ نَاجِعَةٍ وَمُفِيدَةٍ لِلْأَجْيَالِ الصَّاعِدَةِ.

بَارَكَ اللهُ فِي جُهُودِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ، وَسَدَّدَ خُطَاكُمْ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ.

د. سلطان بن محمد القاسمي

حاكم الشارقة، والرئيس الأعلى لمجمع اللغة العربية بالشارقة

د. عيسى الحمادي يلقي كلمة سمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي

كلمة رئيس مجلس اللسان العربي بموريتانيا
د. الخليل النحوي

جاء في كلمة رئيس مجلس اللسان: «إنّنا لسنا ضد أي لغة تؤمن بالانفتاح على كل اللغات، وأن اللغة العربية أداة للربط بين أبناء قارتنا الإفريقية والعالم»، ودعا إلى اكتشاف جوانب من اللغة العربية في أفريقيا عبر العديد من المخطوطات المنتشرة في القارة السمراء. كما أعرب الأستاذ الدكتور الخليل النحوي عن سعادته بالتعرف واكتشاف قامات سامقة لم تكن تحت الأضواء في دول أفريقية شقيقة وصديقة تعمل بجد ومثابرة في الخفاء لتعليم اللغة العربية ونشر علومها في الدول الأفريقية جنوب الصحراء. وأضاف: «إنّ القائمين على مجلس اللسان العربي يؤمنون بالشراكة اللغوية والانفتاح، وأنّ الألسنة تتضاعف بقدر تعدد الألسن، لافتا النظر إلى أنهم يؤمنون بأن للغة العربية ديْناً في أعناقهم نظراً لدورها في الحاضر والمستقبل ولكونها لغة تربط بين أبناء القارة الأفريقية وبينهم وبين الآخرين».

وشكر مجمع اللغة العربية بالشارقة على دعمه المتواصل للمجلس، وعونه السخي على تنظيم هذا المؤتمر، وذلك ما يجسد اهتمام صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي رعاه الله- بنشر اللغة العربية والتمكين لها، معرباً عن تقديره لأياديه البيضاء التي تجسّدها رعايته للمجلس ولاتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية وللعمل الثقافي العربي لغة وشعراً في البلاد العربية وخارجها، كما أثنى على دعم جهات أخرى من بينها البنك الإسلامي للتنمية.

كلمة الدكتور عبد الحميد مدكور
الأمين العام لاتحاد المجامع اللغوية العربية

وبدوره أشاد الدكتور عبد الحميد مدكور، الأمين العام لاتحاد المجامع اللغوية والعلمية العربية بالقاهرة بالظروف التي طبعت تنظيم هذه التظاهرة في بلد يعدّ موئلا للعروبة ومحضنا من محاضنها، وحاملا لراية التعريب ونصرة العربية، آملا أن تتكلل أعمال هذا المؤتمر بالنجاح

كلمة الدكتور محمد الحسن ولد لبات
ضيف الشرف في المؤتمر

أشار الدكتور محمد الحسن ولد لبات، ضيف الشرف في المؤتمر إلى علاقة اللغة بالتفكير وإلى الاعتناء باللغات القومية؛ لأن من شأن تعزيز الصداقة والانفتاح على الآخر أن يُؤتي أكله وثماره، مؤكدًا على أن تجدد الأمة مرتبط بلغتها القومية.

كلمة الدكتور عبد القادر إدريس ميغا
ممثل الوفود الأفريقية المشاركة في المؤتمر

وشكر الدكتورعبد القادر إدريس ميغا ممثل الوفود الأفريقية المشاركة في المؤتمر موريتانيا حكومةً وشعبًا على التنظيم المُحكم لهذا اللقاء الذي يعدّ ثمرة للجهود الكبيرة التي بذلها مجلس اللسان العربي من أجل إعلاء اللغة العربية في أرض العلم والعلماء والشعر والشعراء، وأرض العز والشرف، مستعرضًا أهمية اللغة العربية التي تعد وعاءً لثقافة عالمية ضخمة وأداة لتبليغ آخر رسالة سماوية، ووسيلة لأداء شعائرها، وإعلان كلماتها وصياغة مبادئها ونظمها الحضارية وقوانينها التشريعية.

وأوضح أن من محاسن اللغة العربية أنها: «لم تحاول القضاء على اللغات الوطنية وطمسها من الوجود أو تضييق مجالاتها بل على العكس وقفت معها وقفة الأخت مع أختها الشقيقة، وكان تعاملها معها تعاملا نموذجيا».

وأضاف أن بواسطة اللغة العربية يمكن معرفة التراث الأدبي والعلمي والفكري للأفارقة، ولها أهمية تكوينية بالنسبة لشعوب غرب أفريقيا ووسطها.

كلمة وزير الشؤون الإسلامية والتعليم الأصلي
السيد الداه ولد سيدي ولد أعمر طالب
في ختام المؤتمر

وأكد وزير الشؤون الإسلامية والتعليم الأصلي السيد الداه ولد سيدي ولد أعمر طالب في كلمة بالمناسبة أن استجابة الحكومة لتنظيم وإيواء هذا المؤتمر تحت الرعاية السامية لرئيس الجمهورية السيد محمد ولد الشيخ الغزواني، وافتتاح فعالياته الرسمية من طرف الوزير الأول السيد اسماعيل ولد بده ولد الشيخ سيديا يبرهن على أن التمكين للغة العربية وعلومها يحتل الصدارة في أولويات عمل الحكومة.

وتعهّد الوزير بدعم الحكومة الموريتانية لكل الجهود الهادفة إلى نشر اللغة العربية في الدول الأفريقية المهتمة بإدراجها في برامجها التعليمية عن طريق تقديم الدعم المادي والمعنوي لمجامع اللغة الساعية إلى تحقيق ذلك، خاصة مجمع اللسان العربي في موريتانيا. وأشاد بالجهود التي بذلها المنظمون والتي مكنت من مشاركة هذا العدد من القامات العلمية الأفريقية في أول مؤتمر للغة العربية في أفريقيا بموريتانيا.

توزيع شهادات تقديرية على المشاركين في مؤتمر اللغة العربية في أفريقيا

وفي حفل اختتام مؤتمر اللغة العربية في أفريقيا، تم توزيع شهادات تقديرية على المشاركين من طرف اللجنة العلمية للمؤتمر؛ تقديرا لبحوثهم التي كانت محور نقاشات طيلة أيام المؤتمر. وقد أصدر المشاركون في المؤتمر جملة من التوصيات تحث في مجملها على ضرورة مواصلة مثل هذه اللقاءات الهادفة إلى نشر اللغة العربية، وتعزيز مكانتها في دول القارة جنوب الصحراء، وتقديم الدعم والمؤازرة للراغبين في تعليم أبنائهم لها، إضافة إلى توصية تتعلق بتخصيص يوم ٤ سبتمبر يوما وطنيا للغة العربية في موريتانيا.

التوصيات والنتائج

أوصى المشاركون في ختام المؤتمر بجملة من القضايا والتوصيات من شأنها أن تعزّز مكانة اللغة العربية في القارة السمراء منها: تثمين جهود مجلس اللسان العربي بموريتانيا ومجمع اللغة العربية بالشارقة، وتحويل مؤتمر اللغة العربية في أفريقيا إلى مؤتمر سنوي يعقد بنواكشوط، واعتماد يوم ٤ سبتمبر من كل سنة يوما وطنياً للغة العربية في موريتانيا، والدعوة إلى الاستثمار في مجال تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها في أفريقيا، وتشجيع استخدام الحرف العربي المنمّط في كتابة اللغات الأفريقية، وتطويع تقانة المعلومات لهذا الغرض، وتشجيع ودعم جهود الدول الأفريقية الراغبة في إدراج التعليم العربي في أنظمتها التربوية، وتشجيع البحث في مجال العلاقات التقابلية بين اللغة العربية واللغات الإفريقية، وتشجيع وتمويل البحث العلمي باللغة العربية في الجامعات الأفريقية، واحتضان الأفارقة الدارسين باللغة العربية، وإبراز وتثمين جهودهم في الحفاظ على مكانتها في المجتمعات الأفريقية، وتشجيع جهود تطوير مناهج تدريس اللغة العربية للناطقين بغيرها، وإنشاء مجمع للغة العربية في أفريقيا جنوب الصحراء، وإنشاء هيئة عالمية لتعليم اللغة العربية، وإنشاء معاهد لتكوين وإعادة تكوين المدرسين في البلدان الناطقة بغير العربية، والعمل على وضع معاجم ثنائية عربية أفريقية أو متعددة اللغات، وإنشاء جائزة سنوية للغة العربية موجهة للباحثين في مجال خدمة اللغة العربية بأفريقيا جنوب الصحراء، وتأسيس منظمة عالمية لتعليم اللغة العربية.

حوار مع الأستاذ الدكتور صالح بلعيد

رئيس المجلس الأعلى للغة العربيّة بالجزائر

الفائز بالمرتبة الثانية في فرع الدراسات اللغوية في جائزة الألكسو الشارقة في دورتها الأولى 2017.

الأستاذ الدكتور صالح بلعيد أستاذ التعليم العالي بدءا من ٢٠٠٠م في قسم اللغة العربية، كلية الآداب واللغات، بجامعة مولود معمري بتيزي وزو بالجزائر. له مؤلفات كثيرة في مجالات لغوية متنوعة منها: التراكيب النّحويّة عند عبد القاهر الجرجاني، الإحاطة في النّحو: جزءان، والنّحو الوظيفيّ، ومصادر اللّغة، وألفية ابن مالك في الميزان، والمؤسّسات العلمية وقضايا مواكبة العصر، والآليات الأساسية للنمو اللّغويّ، وقضايا معاصرة في فقه اللّغة، والصّرف والنّحو، وفقه اللغة العربيّة، وفي المسألة الأمازيغيّة، ودروس في اللسانيات التّطبيقيّة، ومحاضرات في قضايا اللغة العربية، ونظرية النظم، واللغة العربيّة العلميّة، وغيرها كثير.

كيف كانت بدايتكم مع البحث اللغويّ واللسانيّ؟

كانت مع المرحلة الجامعيّة، مع أساتذة كانوا يدرسون بفرنسا، وجاؤونا بفكر لساني جديد، وبمصطلحات لم نعهدها في كتبنا العربيّة، وتعلّق اهتمامي بالدرس اللساني الجديد، مع تلك الدّراسات والأفكار التي ندرسها في المدارس الغربيّة: التوزيعيّة والوظيفيّة والتحويليّة... ونقرأ للمنظرين الغربيين أمثال (سابير) و(مارتيني) و(سيمون ديك) و(تشومسكي). إضافة إلى تلك الدّراسات المُكمّلة للباحثين العرب من أمثال: محمود السّعران وكمال بشر وفهمي حجازي والمسدّي والحاج صالح ورمضان عبد التّواب وتمام حسّان والمنصف عاشور وحلمي خليل...

ومن خلال ذلك فقد تعلّقت بذهني تلك الأعمال الحديثة في الدّرس اللغوي، نيابة عن فقه اللغة العربيّ الذي لا يعرف أمثال تلك الدّراسات. كما لا أخفي أنّني من مريدي الأستاذ الدكتور الحاج صالح الذي كان ينبّهنا إلى التّفتح على الدّرس اللسانيّ المعاصر الذي يجمع بين الأصالة والمعاصرة. وكانت تلك هي البداية التي أتاحت لي الفرصة للتّعمّق والبحث في مجال الدّرس اللساني.

كيف تعرّفتم على جائزة الألكسو الشّارقة؟

تعرّفت على الجائزة بواسطة الإعلان الذي نشره مكتب تنسيق التّعريب في الرّباط، ثمّ عن طريق بعض الزّملاء في مجمع اللغة العربيّة بالشّارقة. وعند ذلك قدّمت ترشيحي بمنجز سنة ٢٠١٦م والموسوم (الاهتمام بلغة الأمّة –العبرة من الفرنسيين–).

كيف تلقيتم خبر فوزكم بهذه الجائزة؟

تلقيت الخبر بغبطة، وكنت أنتظر الفوز: **لأنّي قدّمت جهداً في هذا العمل، وقد أخذ مني سنة كاملة، وعدت فيه إلى كثير من الدّراسات والأبحاث المنجزة في الموضوع**. ولما أحسست بذلك الجهد كنت أنتظر نتيجة جيّدة.

حديثكم عن الدّور الذي يمكن أن تقوم به جائزة الألكسو الشّارقة في مجالي اللغويات والمعجميات؟

يمكن أن تسدّ فجوة نحن بحاجة إليها في إطار التّكامل المعرفي بين العلوم. **وهذه الجائزة لها دلالات أكاديميّة تحت غطاء مؤسّستين عربيتين هما: مجمع اللغة العربيّة بالشّارقة ومكتب تنسيق التّعريب**. مؤسّستان تعملان على تطوير العربيّة بجهود بحثية أكاديميّة، ولهذا نجد التّنافس يزداد على هذه الجائزة لقيمتها المعنويّة والبحثيّة. وتأتي في إطار التنافس بين المؤسّسات التي تعمل على تشجيع البحث اللسانيّ، وهو مجال نحن بحاجة إلى سدّ بعض نقائصه، وما أحوجنا إلى التّباري في هذا الميدان.

ما هي أبرز مدارات اهتماماتكم في مجال الدّراسات اللغويّة؟

أبرز المدارات هي البحوث اللغويّة القديمة والحديثة وما يدخل في فقه اللغة بمفهومها القديم والحديث. وإذا قلنا (فقه اللغة) لا نعني تلك المقولات الصّماء التي أبقت الدّرس العربي فارغاً من التّطوّر، بل أعني تلك الدّراسات التي تعمل على تكييف المنجز القديم ضمن سياقات ومدارات العلوم اللسانيّة.

من الأهميّة بمكان أن يكون لنا موقع في الدّرس اللغويّ المعاصر لتحصيل مدارك العربيّة في أصولها وتحصيل مدارات العصر وفق تلك اللغات التي تعرف فتوحات في الدّرس اللغويّ المعاصر.

قراءتكم لمشهد الدّراسات اللغويّة والمعجميّة في الوطن العربي؟ وما هي أبرز مميزات واقع البحث اللساني؟

إنّ المتأمل في مشهد الدّراسات اللغويّة والمعجميّة في الوطن العربيّ يمكن أن يسجّل ما يلي:

١ـ هناك ثغرات وضمور في البحث اللغويّ والمعجميّ، وهذا نتيجة عدم ملاحقة الجديد، وما تضيفه الأبحاث الجامعيّة التي تعرف العزلة.

٢ـ لوحظ إهمال للدّرس اللغوي، وهذا راجع لأهله الذين لم يقوموا على مزيد من الإنتاج، ولا تزال الدّراسات اللغوية لم تخرج من برنوس (ثوب) سيبويه، ومعجم لسان العرب.

٣ـ الواقع اللغوي ينذر بمخاطر جسيمة نتيجة الإهمال اللغوي

لقضيّة تدريس العربيّة، والمشكلة اللغوية تتجلى في مسألتين هما:

أ: مشكلة تدريس العربيّة تدريساً يتمشى وواقع التعليم القديم وفق آليات الحداثة.

ب: افتقادنا للمعجم التّاريخي للغة العربيّة الذي يكون عمدة حلّ الكثير من القضايا التّطوريّة التي عرفتها العربيّة خلال سبعة عشر (١٧) قرنا من الوجود كلغة وظيفيّة. وأمّا تاريخها فهو أقدم بكثير.

٤- غياب الرّجل الرّشيد الذي يبرز النّقائص ويكون مرجعيّة يخدم العربيّة في صورتها القديمة وفق تطوّرات العصر.

٥- غياب النّظرية اللغويّة العربيّة التي تحوي مسألتي: اللغة والمعجم في إطار من التّكامل اللغويّ باعتبار المستويات اللغويّة: الصّرف، الصّوت، المعجم، النّحو.

٦- تشتيت الجهود البحثيّة التي تدور في مجال النّظرية اللغوية، وغياب المدرسة: المؤسّسة/ المجمع الذي يؤطّر مخاض النّظرية اللغويّة العربية.

تواجه اللغة العربيّة اليوم مجموعة من التحدّيات تفرضها خيارات العولمة واقتصاد المعرفة وتكنولوجيا الاتّصال؛ كيف يمكن للعربيّة أن تواكب هذه التحوّلات؟

لا مجال لنا لرفض العولمة، علينا اقتحام ميدانها والاستفادة منها في ما تعرفه من تطوّر في أنماطها المعرفيّة، وما تسعى إلى تنميطه مسألة ضرورية، ولكن لا يعني هذا مفهوم الاحتواء. لا بدّ أن ندرك أن خيارات اقتصاد المعرفة ليس خيارا بل هو فرض علينا الاستفادة من اللغات التي لها السّبق والرّاية والفتح التقني، وإلا سوف ننقرض ونحن نرى أنفسنا عاجزين عن الحركة. إنّ تكنولوجيا الاتّصال مجال مفتوح، علينا الانغماس ضمنه بغية إيجاد موقع للغتنا في هذه الأعجوبة المعاصرة، وبخاصّة أعجوبة الفسبكة والتّوترة وما يلحقها من وسائل اللويحة التي تعرف تغيّرات يوميّة بما لها من تطبيقات لا يمكن ملاحقتها بلغتنا؛ ولهذا فإنّ المنطلق يكون من خلال منظوماتنا العربيّة التّربويّة أو الفكريّة، وهي القاعدة التي تبني بها الشّعوب أبناءها. فلو أقمنا مدرسة تربويّة تعليميّة من القاعدة على أسس لغويّة من البداية لما عرفنا الانسداد اللغويّ، ولا لاحظنا هذا الضّعف الكبير الذي يسري في لغة شبابنا، وإنّها لمسألة جدّ خطيرة، فنحن لا نعطي لها قيمة في منظومتنا الفكرية، فإلى اين المصير؟

لا بدّ أن يعتمد لغة أجنبيّة تكون قاعدة ارتكاز لوضع ترتيبات العربيّة وفق تراتبيّة سوق اللغات. وهذا ليس خياراً، بل طريق علينا تبنّيه للحاق بالرّكب، وإلا فلن يكون لنا موقع في خريطة العالم، وسنخرج من التّاريخ اللغويّ، ونبقى في لاحق من الزّمان نهرول للغة قد تفرض علينا تنازلات وليس تسامحا لغويّا، وهو موجود حالياً. علينا التباري في اختيار لغة جاذبة لها موقع علمي عالمي، ننطلق منها في تطوير لغتنا العربيّة، وعبرها يمكن صناعة مجتمع المعرفة بلغتنا، ونقف بالنّديّة للغات الحيّة.

ولا يجب علينا الميل إلى انجذاب لغويّ غير مدروس أو إلى لغة المستعمل، وهي تعرف القهقرى. وهذا دور العلماء العرب الذين يجدر بهم إقحام المؤسّسات المجمعيّة بالحركة تجاه تطوير معاملاتها المعرفيّة، وتجديد أطرها الدّاخليّة. وإنّه لا يمكن إقامة صناعة حديثة بآلات العصر الحجريّ. آن الأوان أن نقول للمؤسّسات التي ينفق عليها العرب من أموالهم وضريبتهم، عليها أن تتجدّد أو تتبدّد، وتسدّ أبوابها من أجل تغيير حديث. لا نريد ذلك إلاّ من باب أنّ هذه المؤسّسات أن تكون في مستوى الأكاديميات العالميّة التي تعالج كلّ القضايا اللغوية والعلميّة بأريحيّة، وتحرص على إيجاد الحلول المناسبة، وتتحكّم في قضايا اللغة دون مشاكل كبيرة.

آن الوقت للمجمعيين أن يتحرّكوا وفق القوانين والدّساتير العربيّة للدفاع عن العربيّة الفصحى من أجل أن تنال مكانتها في المدرسة وفي كلّ مجالات الحياة. آن الوقت لنقول: من الضّروري أن تتكاتف جهود المجمعيين والبَحَثَة مع المؤسّسات العلميّة، وبخاصّة المجامع اللغويّة للمّ شتات الباحثين، وتوجيههم وفق نمطيّة التجديد اللغويّ.

اعتبارا لخبرتكم العلميّة الرّفيعة واجتهاداتكم البيّنة، هل من نصيحة توجّهونها للغويين الشّباب؟ نصيحتنا للشّباب تكمن في الآتي:

- مقابلة الحداثة بوسائلها الحديثة، ولا يمكن أن نرفع الجبل بملعقة قهوة؛ عليكم التّسلّح بآليات العصر؛
- الإقرار بالتّخلف اللغويّ الذي يجعلنا نعالج الواقع علاجاً من الواقع، وتقديم الوصفات الملائمة من أجل البديل النّوعي.
- ضرورة الوعيّ بقيمة اللغة العربيّة بما لها من موقع في الهويّة والمواطنة.
- ضرورة الاعتزاز بالعربيّة الفصحى، باعتبارها مُكوّناً حضارياً يقف بالندّ أمام اللغات الأجنبيّة؛ ولا يمكن أن تُحقّقه اللهجات العربيّة مهما أُوتيت من دراية.
- استيعاب الدّرس اللغويّ القديم، مع تطعيمه بالدّرس اللغويّ الحديث.
- عدم الوقوف عند مخرجات الباحثين السّابقين، بل لا بدّ من مواصلة الدّرب الإضافي لتحصيل الجديد، ولا يكون هذا إلاّ بتلك الدّراسات الميدانيّة والتّقابليّة.
- عليكم اعتماد المشيخة التي تقود إلى التّحكّم في الخبرة اللغويّة والعلميّة.
- اعتماد المرجعيات الأصيلة، والسّهر على الإتيان بالجديد.
- التّفتّح اللغويّ لازمة لا مجال لمناقشتها.
- المزيد من التّطوير في بنيان قاعدة اللغة العربية، واعتماد صنّافات: لغات التّخصّص واللغات الوظيفيّة ولغات المدرسة.

جانب من الحضور

الدكتور عبد الفتاح الحجمري يتسلم الجائزة
نيابة عن الدكتور أحمد المتوكل

حوار مع الدكتور أحمد المتوكل

الفائز بالمركز الأول للدورة الأولى في الدراسات اللغوية لسنة 7102

الدكتور أحمد المتوكل، حاصل على دكتوراه الدولة في اللسانيات تحت إشراف المنظَّر السيميائي غريماس من جامعة باريس، موضوع أطروحته: «نظرية الدلالة في الفكر اللغوي العربي» وقد طبعت الرسالة في المغرب باللغة الفرنسية سنة ١٩٨٢. عمل أستاذا بكلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة محمد الخامس بالرباط من سنة ١٩٦٨ إلى سنة ٢٠٠٥ حيث درّس في القسمين الفرنسي والعربي مادتي: الدلاليات البنيوية، والتداوليات.

كيف تعرّفتم على جائزة الألكسو الشارقة؟

عن طريق الصحافة المكتوبة المغربية

كيف تلقيتم خبر فوزكم بهذه الجائزة؟

بغاية السعادة والامتنان باعتبارها اعترافا علميا عربيا رفيعا بجهود تواصلت ما يقرب من نصف قرن.

حديثكم عن الدور الذي يمكن أن تقوم به جائزة الألكسو الشارقة في مجالي اللغويات والمعجميات؟

لا يمكن أن يكون إلا دورا مركزيا بالطبع. بالمناسبة أستسمح فأقترح التخلي عن الفرق بين اللغويات والمعجميات من جهة، وبين اللغويات واللسانيات من جهة ثانية، وهما تمييزان لا يسندُهما داعم علمي، وأقترح بالتالي أن تصبح الجائزة جائزة واحدة: « جائزة الدراسات اللسانية العربية» أو «جائزة الدراسات اللغوية العربية»

قراءاتكم لمشهد الدراسات اللغوية والمعجمية في الوطن العربي؟ وما هي أبرز مميزات واقع البحث اللساني؟

تتقاسم الحقل اللغوي العربي اليوم نظريات متعددة ضمنها النظرية الوظيفية. ويطمح البحث اللساني العربي حاليا في منحاه الوظيفي بالتحديد إلى استشراف مرام كبرى ثلاثة وهي: (١) دراسة اللغة العربية في التزامن وفي التطور على السواء. (٢) إعادة قراءة الفكر اللغوي العربي التراثي بمختلف فروعه ووضع منهجية علمية لهذه القراءة ترفع عنه منزلقي الإسقاط والوصفية، وتحل محلهما دعامة الإقساط. (٣) تسخير وتنزيل نظرية النحو الوظيفي باستخدامها في القطاعات الاجتماعية ـ الاقتصادية.

تواجه اللغة العربية اليوم مجموعة من التحديات تفرضها خيارات العولمة واقتصاد المعرفة وتكنولوجيا الاتصال؛ كيف يمكن للعربية أن تواكب هذه التحولات؟

قصد تمكين اللغة العربية من مواجهة تحولات العصر وتحدياته، عملت اللسانيات العربية الوظيفية على معالجة قضايا المجتمع الحيوية كالترجمة (البينية والعينية)، وتحاليل مختلف أصناف التواصل وتدريس اللغات والإسهام في مقاربة الاضطرابات النفسية–اللغوية وغير ذلك.

صاحب السمو مع مديرة اليونيسكو

حوار مع الأستاذ الدكتور حسين السوداني

الفائز بالمركز الأول للدورة الثانية في الدراسات اللغوية لسنة 2018

الأستاذ الدكتور حسين السوداني حاصل على درجة التبريز من الجامعة التونسية وعلى الدكتوراه في اللسانيات بدرجة الشرف الأولى. عضو فريق البحث في «تحليل الخطاب» ثم في مخبر «نحو الخطاب وبلاغة التداول» بجامعة منوبة تونس. أستاذ علوم اللغة بالمعهد العالي للعلوم الإنسانية بتونس وبجامعة تونس الافتراضية، أنجز العديد من البحوث في اللسانيات، وله مشاركات علمية في علوم اللغة في جامعات عربية وغربية.

كيف كانت البداية مع البحث اللغوي واللساني؟

كانت البداية في سنوات الدراسة الجامعية انطلاقا من درس اللسانيات، وترجمتُ الاهتمام باللسانيات تعلقا بالمقارنة بين اللغات ثم إقبالا على توسيع دائرة اللغات التي أتكلمها، فشرعت في تعلم اللغة الألمانية في دروس ليلية في معهد بورقيبة للغات الحية، ثم عزّزت رصيدي اللغوي بدراسة اللغة العبرية في كلية الشريعة بتونس، وقد أقبلت على هذه اللغة بشغف لأني كنت أرى فيها نافذة للمقارنة بين العربية وأخواتها من الألسنة السامية.

بعد الحصول على الأستاذية في اللغة والآداب العربية من كلية الآداب بسوسة انتقلت إلى كلية الآداب بمنوبة في تونس العاصمة لمواصلة الدراسة في المرحلة الثالثة، فتعززَ تكويني الأوليّ بالتتلمذ على يد نخبة من الأساتذة الجامعيين الذين لهم الفضل في إرساء الدرس اللساني في الجامعة التونسية وفي إغناء المكتبة العربية برصيد مُهمّ من البحوث التي صارت مراجع أساسية للباحث العربي في حقل اللسانيات.

وجدت في مدارج جامعة منوبة إطارا مناسبا لتطوير تكويني والتميّز في الدراسة، وبعد النجاح بتفوق في شهادة الدراسات المعمّقة، شرعت في إعداد رسالة الدراسات المعمقة مع الأستاذ الدكتور عبد السلام المسدي، وقد كان لـه فضل كبير في ترشيد مساري العلميّ على نحو فتح لي أفقا واسعا في البحث اللسانيّ، فأعددت تحت إشراف الدكتور المسدي رسالة بعنوان «أثر فردينان دي سوسير في البحث اللغوي العربي»، وحصلت بها على شهادة الدراسات المعمقة بدرجة الشرف الأولى (ماي ١٩٩٧)، وفي نفس الفترة ختمت دروس اللغة العبرية بتفوق في جامعة الزيتونة بتونس.

وبفضل هذا التأسيس المتين ترشحت في العام ١٩٩٨ للمناظرة الوطنية للتبريز في اللغة العربية، فتحصلت على شهادة التبريز. وبعد ثلاث سنوات من التدريس في المعاهد الثانوية التحقت بالجامعة مدرِّسا باحثا حيث جمعت بين التدريس وإتمام الدكتوراه في اللسانيات تحت إشراف المرحوم عبد الله صولة، وبعد وفاته –رحمه الله رحمة واسعة– أتممت البحث تحت إشراف الدكتور شكري المبخوت، وفي ٢٠١٢ حصلت على الدكتوراه بملاحظة الشرف الأولى.

كيف تلقيتم خبر الفوز بالجائزة؟

تلقيت إعلاما أوّليّا عن طريق إدارة مكتب تنسيق التعريب بالرباط حيث وقع التحكيم، ثم أُعلمت رسميا عن طريق مراسلة الكترونية، أعقبها الترتيب مع الجهة الراعية للجائزة إعدادا للحفل الرسمي للجائزة في حفل مهيب بحضور صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي عضو المجلس الأعلى حاكم الشارقة رئيس مجمع اللغة العربية في الشارقة.

أسعدني خبر الفوز بالجائزة الأولى، وأذكى لديّ روح البحث العلمي الرصين، وعزّز لديّ قناعة مركوزة في نفسي بأنّ الوفاءَ للعلم مسالكُ تثمينه متعددة. ولدى التثمين ليس للباحث إلا أن يُثني على كل من يرعى البحث العلمي الرصين ويجدد حوافز الباحثين في بلادنا العربية، فللجوائز مع قيمتها المادية قيمةٌ رمزية تثمّن رعاية الجهة الداعمة فيما تجد عزم الباحث وتشجع نظراءه من المخلصين للمعرفة.

ما الدور الذي يمكن أن تقوم به جائزة الألكسو الشارقة في مجالي اللغويات والمعجميات؟

تقديري أنّ جائزة الألكسو الشارقة ستستقرَ في أذهان الباحثين مناسبة دوريّة لتجديد علاقتهم بالبحث العلميّ الرصين، وبفضل التحكيم العلمي النزيه والعادل للأعمال المترشحة سيستقر للجائزة اعتراف وعرفان بين الباحثين. وسيُسهم ضبط محاورها سنويا في توجيه البحث إلى الزوايا التي يجب أن يتجه إليها الدارسون العرب في اللسانيات والمعجميات. ومما سيوثق القيمةَ الاعتبارية للجائزة في الأوساط العلمية العربية قيامُها على أسس علمية من حيث الغاية والجهة المشرفة.

ما أبرز مدارات اهتماماتكم بمجال الدراسات اللغوية؟

يتجه اهتمامي إلى دراسة قضايا الدلالة في بُعْدَيْها اللساني والسيميائي؛ ففي المستوى اللساني أتجه إلى دراسة الضمنيات الدلالية، وأسعى في ذلك إلى تجسير العلاقة بين خلفيتين علميتين، أولاهما المقاربات اللسانية الحديثة التي تطرق قضايا الدلالة في إطار تضافر مع مباحث مثل المنطق والتداولية وعلوم الإدراك، والثاني هو المقاربات العربية التراثية، وأخص بالذكر منها مبحث علم أصول الفقه، فهو الإطار التقني الذي اهتم

بمسائل المعنى، فبلغ فيه درجة من التجريد والترييض والشكلنة بما يشي بأنّ ضبطَ درجات المعاني الثواني لصيقٌ بكيفيات انتظام علاقات الناس وكيفيات وجودهم في الكون، لاسيما والأسس التي تنظم حياة المسلم في كل أبعادها هي نصوص لغوية تُستمد منها الأحكام والقوانين بين صريح يُفهم وضمني يستنبَط.

وفي المستوى السيميائي فتحت لي أفقا على مجالات بحثية تتجاوز المستوى اللغويّ إلى الأنظمة السيميائية التي تكتنف حياتنا اليوم، فنشرت بحوثا سعيت فيها إلى تطبيق السيميائيات في تحليل المجالات الحيوية، وركزت في ذلك على الطرافة وعلى اقتناص المواضِع التي لا تتجه إليها الأفهام لشدة تلبسها باليومي المعيش، فكان من ذلك دراستي لظواهر مثل اللباس والمدينة والعطر والضحك.

تواجه اللغة العربية اليوم مجموعة من التحديات تفرضها خيارات العولمة واقتصاد المعرفة وتكنولوجيا الاتصال؛ كيف يمكن للعربية أن تواكب هذه التحولات؟

ليست المواكبة في هذا المقام وضعا اختياريا، وإنما هي شرط حياةٍ للغة ولمتعلقاتها. فالمشهد اللغوي الكوني قائم على صراع هويات لغوية، وقد بلغ الأمر ذروته في أواخر القرن العشرين ومطلع القرن الحادي والعشرين.

إن الرقمنة لم تعد خيارا، ولا يتعلق الأمر بالانخراط فيه، بل بتطويره والاستثمار فيه، وتقديري أن للغة العربية في هذا المجال آفاق استثمار كبيرة، فالعربية هي لغة نحو نصف مليون عربي، وهو يمثل إلى جانب ذلك مرجعية اعتبارية لأكثر من مليار مسلم غير عربي؛ كلهم يتوقون إلى اكتساب اللغة العربية، فإن لم يتقنوها لأنها ليست لغتهم القومية فإنهم يناصرونها ويَحتمون بأنموذجها.

وأمام الواقع التكنولوجي والاتصالي الراهن، أصبح المخططون الاستراتيجيون يقيسون مستقبل الألسنة بروائز ومعايير جديدة لقياس مظاهر حياة اللغة، فللغة اليوم حياة في الواقع الافتراضي هي أكثر حسما وأثرا من حياتها الخارجية على ألسنة المتكلمين. لذلك تجد اللغة الكورية مثلا تصنف اليوم باعتبارها من أهم اللغات الصاعدة. فعدد الناطقين بهذه اللغة لا يتجاوز ٨٠ مليونا في الكوريتين الشمالية والجنوبية وفي الصين. ولكنها اليوم تعدّ من اللغات الحائزة على رصيد الكتروني ضخم على نحو يؤمّن لها قيمة تبادلية افتراضية مهمة. وذلك رغم أنها في بعض التقديرات توضع في خانة اللغات الصعبة، فهي مصنفة أمريكيًّا ضمن الفصيلة الرابعة في سلّم الصعوبة مع العربية واليابانية.

ومن أوجه تقصيرنا إزاء لغتنا أننا لا نجد استثمارا حقيقيا في القيمة الاعتبارية للغة العربية لاسيما والإحصاءات تدل على إقبال متنام على العربية الكترونيا؛ فإنّ عدد المستعملين لها في الانترنيت حسب الموقع الإحصائيّ للأنترنيت (internetworldstats.com) يبلغ نسبة ٥,٢ ٪، ورتبتها هي الرابعة بعد الإنجليزية والصينية والإسبانية. وتعدّ نسبة الإقبال على العربية الأعلى بين لغات العالم، فهي تقدَّر بين السنتين ٢٠١٠ و٢٠١٩ بنسبة ٨,٩١٧,٣ ٪ مقابل ٦٨٥,٧ ٪ للإنجليزية و٢,٥٧٢,٣ ٪ للصينية و١,٤٢٥,٨ ٪ للإسبانية.

إن للعربية آفاق استثمار كبيرة، وإذا توفر تجسير حقيقي للجهود بين الباحثين العرب فإنّ الاستثمار في اللغة هو استثمار في القوة الناعمة الحقيقية اليوم.

اعتبارا لخبرتكم العلمية الرفيعة واجتهاداتكم البينة، هل من نصيحة توجهونها للغويين الشباب؟

تتعلق نصيحتي للغويين الشباب بثلاثة أمور:

أولها: أن على الباحث الجاد أن يجمع بين الاطلاع على النظريات اللغوية الحديثة ومواكبة المتجدد منها من جهة، والتشبع بالرصيد التراثي العربي في حقل اللغويات من جهة أخرى، فالباحث العربي الغيور على العربية وتراثها هو وحده المرشح لهذه المهمة لاسيما والتراث اللغوي العربي متلبس بالتراث اللغوي الديني ومبثوث في كل الجداول المعرفية لهذا التراث.

الثاني: أنّ من مهام الباحث العربي أن يؤصّل البحث اللساني في البيئة العربية، فلا تكون النظريات المعاصرة مجرد معرفة تستضاف استضافة سلبية، فإن من أسباب عزوف الطالب العربي عن النظريات أن يجدها في مدارج الجامعة مجرد درس رتيب لا صلة له بالواقع، وفي غياب توطين حقيقي للعلم نجد فئة من المتعلمين يرون في اللسانيات علما وافدا يهدد علومنا الأصيلة.

الثالث: أنّ الجميع مطالب بتجسير العلاقة بين الباحثين العرب على نحو مثمر، فعمل الباحثين في شكل جزر معزولة مضْيعة للوقت ومجلبة للتكرار ومدعاة لتشتت الجهود. وقد ثبت عبر تاريخ العلوم أن في تشبيك العلاقة بين الباحثين مرقاة للمعرفة وللسياق الثقافي والحضاري الحاضن لها.

الفائزون في الدورة الثانية مع صاحب السمو رعاه الله

سلطان القاسمي

يلتقي أعضاء الهيئة العلمية لجائزة الألكسو الشارقة للدراسات اللغوية والمعجمية في مقر مجمع اللغة العربية بالشارقة

زار الشارقة في نهاية شهر أكتوبر الماضي أعضاء المجلس العلمي لجائزة الألكسو الشارقة للدراسات اللغوية والمعجمية، وقد تشرّفت اللجنة باستقبال كريم خصّها به صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي عضو المجلس الأعلى للاتحاد حاكم الشارقة، والرّئيس الأعلى لمجمع اللغة العربية بالشارقة.

انعقد اللقاء في مقر المجمع اللغوي، وتقدم صاحب السمو حاكم الشارقة في بداية اللقاء بالشكر لأعضاء الهيئة العلمية على جهودهم خلال الفترة الماضية، وعلى ما يبذلونه من جهود طيّبة في سبيل تطوير الجائزة، واستمع سموه منهم إلى شرح مفصّل حول المشاركات المقدّمة والمتنافسة على الجائزة في دورتها الثالثة ٢٠١٩.

وتعرّف سموّه على عدد المشاركين في الجائزة البالغ عددهم ٧٣ مشاركا في شتى التّخصصات اللغوية ومن مختلف البلدان العربية وغيرها، وأهم البحوث والموضوعات العلمية الدقيقة التي تناولوها سواء فيما يختص باللغويات أو المعجميات، ووقف سموه على استعدادات الدورة الحالية والاحتفالية التي ستقام بمناسبة تكريم الفائزين بها.

وناقش سموه مع أعضاء الهيئة العلمية لجائزة الشارقة الألكسو للدراسات اللغوية والمعجمية خطوات تطوير الجائزة التي انطلقت دوليا منذ ثلاث سنوات، ويُكَرَّمُ الفائزون بها بالتزامن مع احتفالات اليوم العالمي للغة العربية والذي يصادف ١٨ من ديسمبر من كل عام، وذلك في مقر منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة اليونيسكو بالعاصمة الفرنسية باريس.

وبارك صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي بهذه المناسبة إطلاق العدد الأول من المجلة الفصلية «العربية لساني» التي تصدر بإشراف مباشر من مجمع اللغة العربية بالشارقة، وتعد مجلة أدبية لغوية فصليّة تعنى بقضايا اللغة العربية المتنوعة والآداب وشتى الفنون والأجناس الأدبية، ويكتب فيها لغويون وأدباء من شتى أقطار المعمورة، ووجّه سموّه إلى ضرورة أن تتناول المجلة القضايا والموضوعات التي من شأنها تحبيب اللغة العربية الفصيحة لأبناء الجيل وتعود بالعربية إلى عهدها الزاهر المجيد.

شمس المجالس الأدبيّة تسطع من جديد في سماء الشارقة

إشعاع أدبيّ في سماء الشارقة يُنير دروب الآداب وسُبُلَ الإبداع الشعري من جديد. على هامش معرض الكتاب في الشارقة في دورته الثامنة والثلاثين، دعا صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي حاكم الشارقة إلى ندوة أدبيّة شعريّة حضرها مديرو اثني عشر بيتا من بيوت الشعر وعدد من المثقفين في العالم العربي.

قبل أن نتطرّق لهذا اللقاء وما جاء فيه، يحسن أن أسوق بين يديك، أخي القارئ، قصّةَ هذا اللقاء وسبب الدّعوة إلى انعقاده.

كتبت الأديبة الشاعرة الجزائرية ربيعة جلطي، فيما كتبت، مقالا نقديا مفاده أنه لا دور للشعر يلعبه الآن في الساحة الثقافية، مقلّلة من أهمية الشعر الذي لم يعد يُؤدّ رسالته اليوم في العالم المعاصر، ويصعب التواصل به، ووَرِثَتْه الرواية التي تزعّمت قطار الإبداع المعرفي. وممّا جاء في حديثها: « **لذلك يصعب التواصل به (أي: بالشعر) لقول كل شيء نظرا لنُخْبَويته؛ فالرواية هي البديل الآخر للقول بالتفاصيل. بالنسبة لي إذا كان الشعر الحديث يشبه الركوب على صهوة حصان مروّض هادئ بطيء الخطو، فإن الرواية مثل عربة تجرُّها مجموعة من الأحصنة قلقة ونزقة**».

من حُسن طالع هذه الناقدة الشاعرة التي أشاحت وجهها عن الشعر، بعدما كانت تتعاطاه ردحا من الزمن، أنّ الشيخ الدكتور سلطان القاسمي الأديب الأريب المثقف المؤرّخ « حفظه **الله** ورعاه » قرأ مقالها هذا، ورأى وأدرك خطورة مضمونه، فهمّ بكتابة مقال رادّا عليها تفنيدا لما كتبت، ودَرْءا عن رسالة الشعر التي كان ولا يزال يؤديها في دنيا الآداب والفنون، وهل يخلو زمنٌ من شعر نافع، له غرض في الحياة شريف، ورسالة يؤدّيها في تهذيب النفوس وصقل الشّخصيات وبناء الأخلاق؟

ثم فكّر وقدّر، ثم فكّر وقدّر، ثمّ أبصر أنه لا يكون لردّه على مقالها كثيرُ جدوى، وأنّه لو أحضر الناقدة بنفسها وجها لوجه، وأقام ندوة حول هذا الموضوع الجلل، ودعا إليه نخبة من الشعراء وأهل العلم بالشعر، لكان الردّ جميلا، والنفع شاملا، والتأثيرُ عميقا، واتّسعت دائرة المستفيدين من غرض الندوة وما جاء فيها، ولعادت الشاعرة الناقدة عن رأيها المتشائم، وأبصرت رسالة الشعر من جديد، لعلها تكتب في مستقبلها ما يقوّي حب الشعر لدى الناشئة، ويفتح آفاق الإبداع، ويفتّق أكمام فنون الشعر لدى قرائح المبدعين والمبدعات من أبناء العرب وغيرهم من عاشقي لغة الضاد.

وهَمّ وفَعَل، وإذا بسموّه يرى في مناسبة معرض الكتاب في الشارقة خير مناسبة، وهو الذي أسّس معرض الكتاب منذ نشأته الأولى ليكون ملتقى للشعراء والأدباء، وموئلا لأهل العلم من الأكاديميين واللغويين وهواة الفنون، يؤمّونه من كلّ حدب وصوب. فأطّلت المناسبة المعشوقة، وأقيمت الندوة المرتقبة، وما كان خاطرا في وقت من الأوقات، أصبح واقعا مرئيا ومشهودا، وإذا بالمثقفة الناقدة أمام طودٍ من العلم شامخ، وبحر من العلم واسع، جمع لها في مجلسه الأدبي كوكبة من الشعراء والنّقاد، ولم تصدّق الشاعرة ما رأت، وصرّحت بلسان المقال والحال أمام جماهير الحاضرين من أهل العلم والأدب والصحافة والإعلام: ما كنت أحلم أن يقرأني عالمٌ مثقف هو أمير ويُعنى بالأدب والفنّ والشعر والتاريخ. وعاد شريط ذكريات الخلفاء والأمراء العباسيين والأندلسيين يحفُّ بالمشهد المهيب، وسما بالحاضرين ذلك المحفل الشعري غير المعهود.

وتساءل كلّ من حضر اللقاء قائلا في نفسه ولسان حاله: أوَثمّة من يعيش للفن والأدب وهو تحت قبّة الحكم اليوم في عالمنا المعاصر؟! أوَثمّة من يبني بيوتا للشعر في زمن انشغل فيه السياسيون وأربابُ الأموال وأهل الصناعات والتجارات بالعناية بتنمية المال من كل جانب؟ أوَنحن نعيش في بلاط أميري حقيقي أم هذا ضربٌ من الوَهْم وطيفٌ من الخيال؟

تبخّرت كلّ هذه التساؤلات حين افتتح الأديب المؤرّخ الشيخ الدكتور سلطان القاسمي الندوة معرّفا بالأديبة التي أجلسها

عن يمينه، ذاكرا سبب دعوته للندوة، موجّها موضوع النقاش للحاضرين جميعهم: **هل للشعر رسالةٌ يقدّمها اليوم؟ هل للشعر غرضٌ أصيل يسعى لتحقيقه في دنيا الناس أم أنّ رسالة الشعر قد عفت آثارُها، وخلت ديارها، وانطمست أطلالها، واندثرت مرابعها وانكدرت نجومها؟**

وطفق سموّه يشرح البدايات الأولى للشعر العربي في أسلوب أدبيّ رصين، كيف وُلد لدى الأنباط وهاجر إلى الحيرة والجزيرة العربية إلى أن راجت تجارته في سوق عكاظ، وذكر تفاصيل تاريخية، أقرّ كثير من الحاضرين، وهم من الأدباء والمطالعين للشعر، أنّهم لم يكونوا على علم بها قبل ذلك المجلس الميمون.

لقد حلّق بالحاضرين في سماء الفنّ الرفيع الذي يوجّه الشعر إلى غاياته المحمودة وأغراضه النبيلة المنشودة، وأعطى درسا للنقاد والأدباء والشعراء، وضرَبَ لهم المثل الأعلى للحاكم الأديب المثقف الذي يزن أحداث التاريخ بميزان العقل، ويقرأ الآداب والأشعار بميزان الفنّ الرفيع، والحسّ المرهف، والنقد الباني المثمر، ليرتقوا بمستويات الأعمال الأدبيّة إلى جوزاء الفنّ الطاهر العفيف، وذُرى قضايا الأمّة المجيدة، **وأعاد إلى الأذهان والعيان، وأحيا في الوجدان، مجالس الخليفة المأمون، ومحافل الشاعرة سُكينة بنت الحسين، ومنتديات الوزير ابن زيدون والأميرة ولادّة بنت المستكفي في عهد الأندلس المجيد، إلى أن وصلت الراية إلى الأديبة مي زيادة في صالونها الأدبي الذي كان يؤمُّه عمالقة الأدب والفن في العصر الحديث.**

هذا الذي وقع بالفعل، وسُقط في أيدي أصحاب الندوة، وبُهِت مديرو بيوت الشعر لما سمعوا من حديث وشاهدوا من تحليل لظاهرة الشعر في أيّامه الأولى، ثم طفق كلٌّ منهم يتحدث عن دور الشعر في دنيا الناس، ضاربين أمثلة حيّةً من واقع بيوت الشعر التي أنشأها سموّه في اثني عشر قطرا من أقطار البلاد العربية المترامية الأطراف، رغبةً منه في العودة بالشعر إلى مساره الصحيح، وعهده الغابر المجيد، والعودة بالفنون والآداب إلى أدوارها المؤثرة التي كانت تؤدّيها في عهودها المشرقة المنيرة، والتي ينبغي أن تستمرّ وتبقى إلى أبد الآباد؛ فالإنسان مادّة وروح، يحتاج إلى الغذاء المادي والغذاء الروحي، والغذاء الروحي للعرب هو ميراثهم من القرآن الكريم والحديث الشريف، وتراثهم المجيد من الأشعار والأخبار والقصص والخطب التي تروي للمعاصرين أحداث التاريخ المجيد الذي سطّره آباؤهم الأقدمون.

قلت: استعرض الحاضرون الأدوار العظيمة التي تقوم بها بيوت الشعر في القيروان والأقصر ومراكش ونواكشط والسودان وغيرها من البلدان في صقل مهارات قول الشعر لدى الشباب، وتحفيز هممهم للإبداع وخوض تجارب الشعر، وأثاروا نقاطا طيبة ومفيدة في بيان رسالة الشعر، ودوره العظيم في إحياء الأمة من موات، وبعثها من سبات، وتحريكها من جمود، وإيقاظها من همود.

وتجدر الإشارة أنّه في نهاية تلك الندوة الأدبية الأنيقة المُونقة الرشيقة، أقرّت الأديبة الجزائرية بالغرض العظيم الذي يؤدّيه الشعر في دنيا الناس، وقدّمت شكرها الوافر، وامتنانها العظيم للحاكم المثقف الذي أتاح لها الجلوس مع سموّه بصحبة صفوة من أهل العلم والأدب، وانصرف الأدباء والشعراء من ذلك المجلس الأدبي بغبطة غامرة وسعادة وافرة لا يحيط بها نظمٌ من الشعر ولا نثرٌ من الخطب.

بقلم د. امحمد صافي المستغانمي

الأمين العام لمجمع اللغة العربية بالشارقة

مجمع اللغة العربية بالشارقة يستقطب وفودًا وزوارًا من مختلف بقاع العالم

أ.د. بكري محمد الحاج رئيس مجمع اللغة العربية بالخرطوم

د. عمر مسلّم العكش- باحث أكاديمي وأستاذ علوم اللغة العربية جامعة عجمان

جامعة هانكوك

الدكتور الخليل النحوي رئيس مجلس اللسان العربي بموريتانيا

وفد جامعة قازان الروسية بحضور رئيسها الدكتور رفيق محمدشين

العِبارَةُ غَيْرُ اللَّفْظيّةِ والقَيْدُ التَّفْسِيريُّ في القُرْآنِ الكَريمِ

أ.د. نَصْرُ الدّينِ وَهّابي نَصْرُ الدّينِ وَهّابي
أستاذ وباحث أكاديمي

١- مَفْهـومُ العبـارة غيـر اللفظيـة والقيـد التفسـيري: سنجعلُ الكلامَ، هنـا، فـي شَيئين؛ هُمـا:

بَيانُ المُرادِ بالعبارةِ غيرِ اللّفظيّةِ المقصودة بالدّراسة.

التّفسيرُ المُصاحبُ لها باطّراد. وقد سَمّيناه، هنا، قيدًا مِن أَجْلِ وظيفتهِ في الحدِّ من درجةِ الانفتاحِ الدّلاليِّ المُحْتملِ في العبارةِ غَيْرِ اللَّفْظيّة، وفي الحدّ، كذلك، مِنَ الاضْطرابِ التَّداوليّ المُحْتَمل فيها، كذَلك.

العِبـارةُ غيـرُ اللَّفْظيـةِ فـي القُـرآنِ الكَريـم: وَجَدْنـا في الدّراساتِ التي رَجَعْنا إِلَيْهـا اخْتِلافًا في تَحْديدِ مَفْهوم التَّعْبير، أو الاتِّصالِ غَيْرِ اللَّفْظي، وكذا في التَّسْميةِ الاصْطِلاحيّة لِهَذا الضَّرْب مِن التّواصُل[١]؛ وهو اخْتِلافٌ ناجِمٌ عن شَيْئين؛ هُما:

رَبطُ الاتِّصالِ غَيْرِ اللَّفْظي بالاتّصالِ اللَّفْظي؛ على جِهةِ عَدَمِ إِمْكانِ تَصوُّرِ تَعبيرٍ غَير لفظيٍّ غيرِ مُرافقٍ للغةِ الكلماتِ التي مَادَّتُها الصَّوتُ[٢].

تَعْيينُ المَجالاتِ التي تَدْخُلُ ضِمْن الاتّصالِ غيرِ اللَّفْظي[٣].

ولذلك تعدّدتِ التَّعْريفاتُ، وإن كانَ الجامعَ بينها هو إبْعادُ الصَّوْتِ فيها، حتّى إنّ الدّكتور أَحْمد مُخْتار عُمر آثرَ أن يُسَمّي بحثًا له في هذا المَجال: «لُغةٌ بغيرِ كَلِماتٍ»[٤]، أو كما عبّر غَيْرُه بأنّه: «الكَلامُ مِن غيرِ كلماتٍ»[٥].

ونُحِبُّ أن نَسْتفيدَ مِنْ تعريفٍ قَدْ بُنيَ على مُناقشةٍ جادَّةٍ لغيرِ قليلٍ مِنَ التَّعْريفاتِ المُخْتلفةِ لهذا اللّونِ من التَّواصُل؛ وهو أنّ الاتّصالَ غيرَ اللَّفْظيّ هو: **«الرَّسائلُ التّواصليَّةُ المَوجودةُ في الكَوْن الذي نَعيشُه، ونَتلقّاها عَبْرَ حواسِّنا الخَمْس، ويَتِمُّ تداوُلها عَبْرَ قَنواتٍ مُتعدّدة، وتَشْملُ كلَّ الرّسائل التَّواصُليّة، حتّى تِلْك التي تَتداخَلُ مع اللُّغةِ اللَّفْظيّةِ والتي تعد من ضِمن بِنْيتها، وتَتجلّى رسائلُ الاتّصالِ غَيْر اللّفظيّ عَبْرَ سُلوكِ العَيْن، وتَعْبيراتِ الوَجْه، والإيماءات، وحَركاتِ الجَسَد، وهَيْئاتِ الجَسَد، وأَوْضاعِه، والشَّمّ، واللّمس، والذَّوْق، والمَسافة، والمَظْهر، والمُنْتَجاتِ الصِّناعيّة، والصّوت، والوَقْت، ومَفْهوم الزَّمن، وتَرْتيبِ البِيئةِ الطَّبيعيّة، والاصْطِناعيّة»**[٦]

ومَع ذلك لم نَشأ أنْ نُسلِّمَ لهذا الإطلاقِ الواردِ في هذا التَّعْريف، وفي بعضِ الدِّراساتِ الأخرى؛ فَلَقَد عدَّ بعضُهم المَشْيَ، مثلًا، في مَعْناهُ المُطْلق، اتِّصالًا، ولا نَراهُ كذلك؛ لأنّ الماشي لا يُرسِلُ، بما يَفْعلُ مِنَ المَشْي دلالةً خاصَّةً لمُتلقٍّ مُعَيَّنٍ بصُورةٍ واعيةٍ تتضمَّنُ قصدًا إلى تَوْصيلِ مَضْمونٍ مُعَيَّنٍ. ومِنْ أجلِ ذلك بَدا لنا أنْ نُقيِّدَ مفهومَ الاتّصالِ غيرِ اللَّفْظيِّ الذي سَندرُسُهُ في الاسْتِعْمالِ القُرْآنيِّ بوُجودِ المُرْسِلِ، والمُرْسَلِ إليه، والرّسالةِ، والقَصْد. فنقولُ: إنَّ مِن أَمْثلةِ التَّعْبيرِ غيرِ اللِّسانيِّ، في القُرْآنِ الكريم، قولُه تَعالى:

﴿يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ﴾ [البَقَرة: ١٩].

فالتَّعْبيرُ غيرُ اللَّفْظيّ هو ﴿يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم﴾[٧]. إنَّ جَعْلَ الأصابعِ في الآذانِ قد يَنْصَرفُ إلى وُجوهٍ مُختلفةٍ منَ الفَهْم؛ فمِنْه صَرْفُ الأَسْماعِ منهم عَنْ كلامٍ غيرِ مَرْغوبٍ لديهم، ومِنْه اتِّقاءُ وُقوعِ التَّلَفِ في الأَسْماع؛ كالذي في الآية. ورُبّما كان في مَعانٍ أخرى، ممّا كانت العربُ تَفْهمهُ مِنْ جَعْلِ الأصابعِ في الآذانِ في زَمَنِ نُزولِ الآية، أَوْ في ما وَلِيَهُ مِن الزَّمَنِ بالتَّطوُّرِ الاصْطِلاحيِّ بتَعاقُبِ الأَجْيال. ومِنْ هُنا جاء قَيْدٌ للمُرادِ في الآيةِ في قَوْلِه: «حَذَرَ المَوْت»؛ فكانَ تَفْسيرًا للحركةِ مِنْهم، وقيدًا في دَلالَتِها، وانْفِتاحًا في تَداوُليّتها[٨]. وآليةُ التَّقْييدِ، هُنا، نَحْويَّةٌ؛ هي نَصْبُ المَفْعوليّة الذي في الحَذَر؛ فإنّه مَفْعولٌ له[٩]، وفائدةُ هذا القيدِ هي حَصْرُ المُرادِ مِنْ هذا التَّمْثيلِ، والتَّصْويرِ، ضِمْنَ غرضِ الخوفِ مِنْ أَثَرِ الصّاعقة، وبيانِ أنّهُ مُميتٌ، وتَجاوَزَ كَوْنَهُ ذا صَوْتٍ شديدٍ، فقط. والدّليلُ القَوْليُّ، في الآية، على إرادةِ صَرْفِ الحركة، وقَيْدِها في مَعْنى اتِّقاءِ الهَلاك، قولُهُ: ﴿وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾؛ فهو تَذْييلٌ للآيةِ مُلائمٌ لنَفْيِ اتِّقاءِ الهَلاك، لا لِنَفْيِ تَخْفيفِ وَقْعِ الصّاعقةِ على السَّمْع. فالقيدُ مُفْهِمٌ لاتِّقاءِ هُلْكِ النَّفْسِ، لا تَلَفِ السَّمْع، كما في بَعْضِ التَّفْسير[١٠].

٢- آلياتُ التَّقْييدِ في القُرْآنِ الكَريم[١١]: مُرادُنا بصيغةِ الجمعِ في آلياتِ التَّقْييدِ التَّنْبيهُ إلى أنّ ثمّةَ أساليبَ مختلفةً تَرِدُ عليها العِبارةُ الشّارحةُ للتَّعْبيرِ غيرِ اللَّفْظي؛ فمِنْها أنْ تكونَ مُصَدَّرةً بالمَفعولِ لأَجْلِه؛ كما في الآيةِ السّابقة، ومِنْها أنْ تكونَ مُصدَّرةً بحرفٍ مِن حُروفِ التَّفْسير، ومِنْها أنْ تكونَ جُمْلةَ مَقولِ قَوْلٍ، وهو الغالبُ، ومِنْها غيرُ ذلك:

آلِيةُ التَّفْسيرِ بالقَوْل: ومِنْه قولُهُ تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا﴾ [الفُرْقان: ٢٧].

فالعِبارةُ غيرُ اللَّفْظيّة قولُهُ: ﴿يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ﴾، والقَيْدُ قوله: «يَقولُ: يا لَيْتني ....». ويَنْصَرفُ العضُّ، في كلامِهم، إلى التَّكْنيةِ عن معانٍ عِدَّةٍ؛ مِنها:

(١) يُنْظرُ في: الاتِّصالُ غَيْرُ اللَّفْظيِّ في القُرْآنِ الكَريم، مُحَمّد الأَمين مُوسى أَحْمد، ص:٣١ وما يَليها
(٢) يُنْظرُ في: التّواصُلُ الإنسانيُّ، دِراسةٌ لِسانِيَّةٌ، ص: ٦٠
(٣) يُنْظرُ في: الاتِّصالُ غَيْرُ اللَّفْظي في القُرْآنِ الكَريم، ص:٩٩.
(٤) لُغةٌ بغيرِ كلماتٍ، د. أَحْمدُ مُخْتارُ عُمَر، بَحْثٌ ضِمْن الكتابِ التِّذْكاري: تَمّامُ حَسّانٍ رائدًا لغويًّا، د. عَبْدُ الرَّحْمنِ حَسَن العارِف، ص:٥٣.
(٥) العِبارةُ والإِشارة، دِراسةٌ في نَظريَّةِ الاتِّصال، ص: ١٠٠.
(٦) الاتِّصالُ غَيْرُ اللَّفْظيِّ في القُرْآنِ الكَريم، ص: ٤٠. والعِبارةُ والإِشارة، دِراسةٌ في نَظَريّةِ الاتِّصال، ص: ١٠١.
(٧) رُوحُ المَعاني في تَفْسِيرِ القُرْآنِ العَظيمِ والسَّبْعِ المَثاني، للآلوسي، ١/ ٢٧١. والتَّحْريرُ والتَّنْوير، للطّاهرِ بنِ عاشُور، ١/ ٣٢٠.
(٨) يُنْظر: التَّحْريرُ والتَّنْوير، للطّاهر بنِ عاشور، ١/ ٣٢٢.
(٩) الاتِّصالُ غَيْرُ اللَّفْظيِّ في القُرْآنِ الكَريم
(١٠) لِسانُ العَرَب، ٩/ ٢٩٥.
(١١) الاتِّصالُ غيرُ اللَّفْظيّ في القُرْآن الكَريم، ص: ٧٤.

٣– التَّمسُّكُ بالشّيء: وهو قولُهم «عَضُّوا عليه بالنَّواجِذ»[١٢]

٤– الإفْحاشُ لغرضِ التَّبْكيت: ومِنْهُ قولُ النَّبيِّ، ﷺ: «**أَعِضّوهُ بهَنِ أَبِيه**» لِمَن تعزَّى بعزاءِ أهلِ الجاهليّة[١٣]

٥– التَّكلُّمُ في عِرْضِ الرّجل: وذلك قولُهم: عَضَّهُ بلِسَانِه؛ أيْ تَكلَّمَ فيه[١٤].

٦– الصَّبْرُ على الألم: وذلك قولُهم: عضَّ على جُرْحِه.

٧– الغَيْظُ: وقد جاء في القُرْآن الكَريم؛ وذلك قولُه تعالى:

﴿هَٰٓأَنتُمۡ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمۡ وَلَا يُحِبُّونَكُمۡ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمۡ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ عَضُّواْ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَنَامِلَ مِنَ ٱلۡغَيۡظِ﴾ [آل عِمْران:١١٩].

وغَيْرُ هذا، فلو أنّ العضَّ على اليَدَيْن جاء عاريًا عنِ القيدِ الذي في جُمْلةِ القولِ بَعْدهُ لاحتملَ أنْ يَكونَ الظّالمُ مُغْتاظًا، مثلًا، والغيظُ غيرُ النَّدَم، أو لاحتملَ مِنْ جُمْلةِ المَعاني كلَّ ما يُرى له وَجْهُ مُناسبةٍ عِنْد المُتأَوِّل، أو لاحْتملَ كلَّ وجهٍ ممّا قد يَجيءُ به التَّطوُّرُ اللُّغويُّ المُمْكنُ في كلامِ العَرب، ممّا قد يَتَّفقُ مع التَّعْبيرِ بالعضِّ على اليَدَيْن.

٢-١ آليةُ التَّفْسيرِ بالأداةِ النَّحْويّة: ومِنْ ذلك اسْتِخْدامُ حرفِ التَّعْليل، أو التَّفْسير؛ فمِن ذلك قولُهُ تعالى:

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ﴾[١٥] [عَبس:١–٢].

فالعِبارةُ غيرُ اللَّفْظيةِ ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾، وهِي قد تُحْملُ على غيرِ ما وجهٍ منَ التَّأْويل، رغم اجْتِماعِها كُلِّها عِنْد غَرَضِ إظْهارِ كُرْهِ الشّيء، وإنكارِه، فلمّا كان ذلك مَفْتوحًا على إمكانِ تَفْسيرِ سُلوكِ النّبيّ ﷺ، بما لا يَليقُ به مِنْ تأويلاتٍ فاسدةٍ[١٦]، آثرَ القُرْآنُ الكريمُ إرْفاقَها بقيدٍ في مَدْلولها؛ فقال: «أنْ جاءَهُ الأَعْمى»، والآليةُ في التَّقْييدِ حَرْفُ التَّفْسير «أَنْ»[١٧]. ولوْ لَمْ يَرِدْ القَيْدُ لاحتملَ التَّعْبيرُ مُطْلقَ العُبوسِ في دعوةِ المُخالِفِ إلى الإيمان، ولَأَدّى إلى خِلافِ الحقِّ في ذلك؛ ولكانَ على الضِّدِّ مِن مِثْلِ قَوْلِه: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ [النَّحْل:١٢٥].

وغيرِ ذلك. لكنَّ القَيْدَ، هُنا، حَصَرَ هذا التَّعْبيرَ غيرَ اللَّفْظيِّ ضِمْنَ موقفٍ مُحَدَّدٍ في قِصَّةٍ مُحدّدة.

٢-٢ آليَةُ التَّفْسيرِ بِغَيْرِ القَوْلِ وأداةِ التَّفْسيرِ النَّحْويّة: وذلكَ كبيانِ حالِ مُسْتعمِلِ الحَرَكة؛ فتُفْهَمُ الحركةُ مِن جُملةِ المفهومِ مِنَ الحال، وكالعَطْفِ بما يُفْهِمُ المُراد، وكالتَّمْييز، والتَّمْييزُ تَفْسيرٌ، والمَفْعولِ لأَجْلِه، وهُوَ مُفْهِمٌ للتَّعْليل[١٨]، فمِنْ ذلك قولُهُ تَعالى: ﴿قَدۡ كَانَتۡ ءَايَٰتِي تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَكُنتُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡ تَنكِصُونَ مُسۡتَكۡبِرِينَ﴾ [المُؤْمِنون:٦٦].

فالعِبارةُ غيرُ اللَّفْظيّةِ قَوْلُهُ: ﴿أَعۡقَٰبِكُمۡ تَنكِصُونَ﴾، ونَكَصَ مَعْناهُ رَجَعَ عمّا كانَ عَلَيْهِ مِن الهُدى؛ وهو يُسَوِّيهِ بقَوْلِه: «انْقَلَبْتُم على أَعْقابِكم»، ولكنَّ الرَّجلَ قد ينقلبُ على عَقِبَيْه رجوعًا عمّا كان عَلَيْه إحْجامًا عنه لظُهورِ الخيرِ في غَيْرِه، وكُتُبُ اللُّغةِ تَذْكُرُ أنّ النُّكوصَ يَكونَ في مُطْلَقِ الرُّجُوع، قال ابنُ فارسٍ: «النُّونُ، والكافُ، والصَّادُ، كلمةٌ؛ يُقال: نَكَصَ على عَقِبَيْهِ؛ إذا أَحْجَم عنِ الشَّيْء خوفًا وجُبْنًا»، ففي هذا خَوفٌ، وجُبْنٌ، وفي الآية اسْتِكْبار، وهي مَعانٍ مُخْتلفة، فاحْتِيجَ إلى قَيْدٍ في الآيةِ لِبَيانِ الوَجْهِ مِنْ نُكُوصِهم، فقالَ: ﴿مُسۡتَكۡبِرِينَ﴾؛ وهوَ حالٌ[٢٣] وبالحالِ ظهرَ الغرضُ ممّا فَعلوا حينَ نَكَصوا على أَعْقابِهم.

خاتِمةُ البَحْثِ ونَتائِجُهُ: وبِهذا القَدْرِ مِنَ العَرضِ التَّمْثيليِّ المُوجَزِ يَصِلُ البحثُ إلى بيانِ فِكْرتِهِ الأَسَاس؛ وهِيَ أنّ العِبارةَ غَيْرَ اللِّسانِيَّةِ لها في عَرَبيّةِ القُرْآنِ الكريمِ اسْتِعْمالٌ خاصٌّ مَنْظورٌ فِيهِ إلى عالَمِيّةِ خِطابِه؛ وذلك بأَنْ تُسْتَعْملَ مَصْحوبةً بما يُقَيِّدُ دَلالتَها بالمُرادِ مِنِ اسْتِعْمالِها ضِمْنَ الثَّقافةِ العَرَبيّة، وهو إجْراءٌ يَسْري باطِّرادٍ في كلِّ مَواضِعِ وُرُودِها، وهو اسْتِعْمالٌ يَتَكفَّلُ بعالَمِيَّةِ الخِطابِ القُرْآنيِّ مِنْ جِهة:

١- أنّ العبارةَ غَيْرَ اللِّسانِيَّةِ قد يكونُ اسْتِعْمالُها مَوجودًا في ثَقافاتٍ شتّى بمَدْلولاتٍ شتّى كذلك؛ وهو ما يَنْجُمُ عنه اضْطِرابٌ في تَداوُلِيَّتِها.

٢- أنَّ الآليَّةَ الحامِيةَ للتَّداوُليَّةِ، في مِثْلِ هذا التَّعْبيرِ، هِيَ إيرادُ العِبارةِ غَيْرِ اللِّسانِيَّةِ مَصْحوبةً بقيدٍ تَفْسيريٍّ يكونُ كَلِمةً، أو عِبارةً شارِحَة، يَحْصِرُ المُرادَ مِنْها ضِمْنَ القَصْدِ من اسْتِعْمالِها فتَسْتَقِيمُ تَداوُليَّتُها على وَفْقِ المُرادِ مِنِ اسْتِعْمالِها القُرْآنيّ.

٣- أَنْ القيدَ التَّفْسيريَّ قد يَرِدُ:

٨- فِعْلًا قَولِيًّا+ جُمْلة مَقولِ قَوْلٍ.

٩- أداةً تَفْسِيريَّةً مِنْ نَحْوِ: لامُ التَّعْليلِ، أو (أَنْ) التَّفْسِيرِيّة، أَوْ غَيْرِ ذلك.

١٠- وَظِيفةً نَحْويَّةً مِنْ نَحْوِ: التَّمْيين، أو المَفْعولِ له، أَوْ غَيْرِ ذلك.

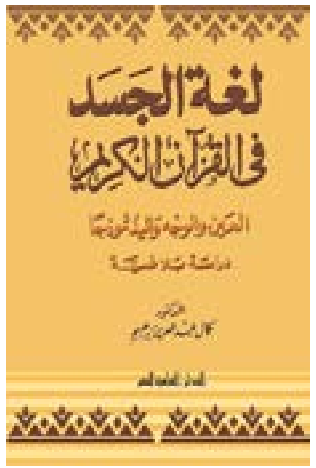

(١٢) مَفاتيحُ الغَيْب (التَّفْسيرُ الكَبير)، للفَخْر الرّازي، ١٥٨/٢

(١٣) الجَنى الدّاني في حُروفِ المَعاني، للمُرادي، ص:٢٢٠.

(١٤) شَرْحُ ابنِ عَقيلٍ على أَلفيّةِ ابنِ مالكٍ، ٥٢٠/١.

(١٥) جامِعُ البيانِ في تَفْسيرِ القُرْآن، (تَفْسيرُ الطَّبريّ)، المُجلَّدُ العاشِر، ٤٠/١٨.

(١٦) كِتابُ مُجْمَلِ اللّغة، لابنِ فارسٍ، ص:٧١٣.

(١٧) مُعْجمُ المَقاييس في اللّغة، لابنِ فارسٍ، ص:١٠٤٨.

(١٨) الياقوتُ والمَرْجان في إِعْرابِ القُرْآن، مُحمّد نُوري بن مُحمّد بارتجي، ص:٣٥٤.

مكانة اللغة العربية عند علماء الحديث تحصيلا وتأليفا

أ.د. عبد العزيز دخان
أستاذ الحديث وعلومه بجامعة الشارقة

لقد كانت اللغة العربية ـ وما زالت ـ الآلة التي تكتسب بها العلوم والمعارف، والوعاء الذي يحمل جميل المعاني، وجيّد الأفكار، وينقلها من عقل إلى عقل، ومن مكان إلى مكان، ومن زمان إلى زمان، لذلك، لا غرو ولا جرم أن تكون لها المكانة السامية، والمنزلة العالية في اهتمامات العلماء، تحصيلا، وتأليفا، ولم يكن علماء الحديث ورجاله ليشذوا عن هذا، أو يذهلوا عنه، أو يزهدوا فيه، ولذلك فقد ضربوا فيه بالسهم الأكبر، والنصيب الأوفر، فانصرفوا في بدايات حياتهم، وأوّل نشأتهم إلى النهل من معين هذه اللغة الجميلة، نحوا وصرفا وبلاغة، فاستقامت ألسنتهم عليها، وجرت أقلامهم بها، ومن ثمّ كانت وسيلتَهم وطريقَهم إلى تحصيل العلوم والمعارف الشرعية، ثمّ لم يكتفوا بذلك، بل كانت مشاركتُهم في ردّ الجميل لهذه اللغة، فأبدعوا في التعبير بها عن علومهم ومعارفهم من خلال مصنفاتهم الكثيرة التي تضمنت جوانبَ من شرح الحديث، تتعلق بالنحو أو الصرف أو البلاغة، أثناء شروحهم لكتب الحديث، أو تأليفهم في علومه، بل إنّ كثيرا منهم لم يكتفوا بذلك، وإنّما أدلوا بدلائهم، فألفوا مؤلفاتٍ من صميم معارف اللغة وقواعدِها.

وقد حدا بي إلى الكتابة في هذا الموضوع ما رأيته من قلّة الاهتمام باللسان العربي في كتابة البحوث المتعلقة بالحديث وعلومه، وعدم الاهتمام بالأخطاء الفظيعة التي نراها في كثير من رسائل الماجستير، بل وحتى الدكتوراه، وهو عيب كبير، فأردت أن أبيّن أنّ هذا التقصير الواقع مذموم جدا، وقد كانت سيرة علماء الحديث حافلة بالاجتهاد في تعلّم هذه اللغة، وفي التنبيه على أهميتها في فقه الحديث ومعرفة معانيه، وأنّ هذا الفصام النكد بين اللغة وعلوم الشريعة الذي نراه عند بعض طلبة العلم والباحثين في الحديث وعلومه لم يكن معروفا إطلاقا عند السابقين من علماء الحديث وغيرهم.

أهمية اللغة العربية على ألسنة أهل الحديث:

وأوّل ما يؤكّد هذا الأمر ما ورد من الأثار النبوية وآثار الصحابة وأقوال علماء الشريعة ـ ومنهم علماء الحديث ـ في شأن اللغة والاهتمام بتعلّمها والحذر من الخطأ في ذلك، والتشنيع على من يصدر منه الخطأ واللحن في قوله أو كتابته، بل بلغ الأمر ببعض الصحابة إلى ضرب أولادهم على ما يقع منهم من لحن وتصحيف.

وإنّ الآثار الواردة في ذلك كثيرة جدّا، بلغت مبلغ التواتر المعنوي، نكتفي منها ببعضها.

١ ـ فمن الأحاديث ما رواه الحاكم، من حديث أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعَ النَّبِيُّ ﷺ رَجُلًا قَرَأَ فَلَحَنَ، فَقَالَ رَسُولُ **اللَّهِ** ﷺ: «**أَرْشِدُوا أَخَاكُمْ**»[١].

٢ ـ ومن آثار الصحابة ما جاء عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنّه قال: «**تعلّموا السنّة والفرائض واللحن، كما تتعلّمون القرآن**»[٢].

والمراد باللحن هنا: اللغة.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: « وهذا الذي أمر به عمر رضي الله عنه من فقه العربية وفقه الشريعة، يجمع ما يحتاج إليه؛ لأن الدين فيه أقوال وأعمال، ففقه العربية هو الطريق إلى فقه أقواله، وفقه السنة هو فقه أعماله»[٣].

وعنه –أيضا– قال: « تعلموا العربية، فإنها تزيد في

(١) المستدرك على الصحيحين، ٢/٤٧٧، وقال: «صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ».
(٢) شعب الإيمان للبيهقي (٢/٢٥٧، ٤٢٩)، المدخل إلى السنن الكبرى للبيهقي (١/٢٦٦).
(٣) اقتضاء الصراط المستقيم، ١/٨٢٥.

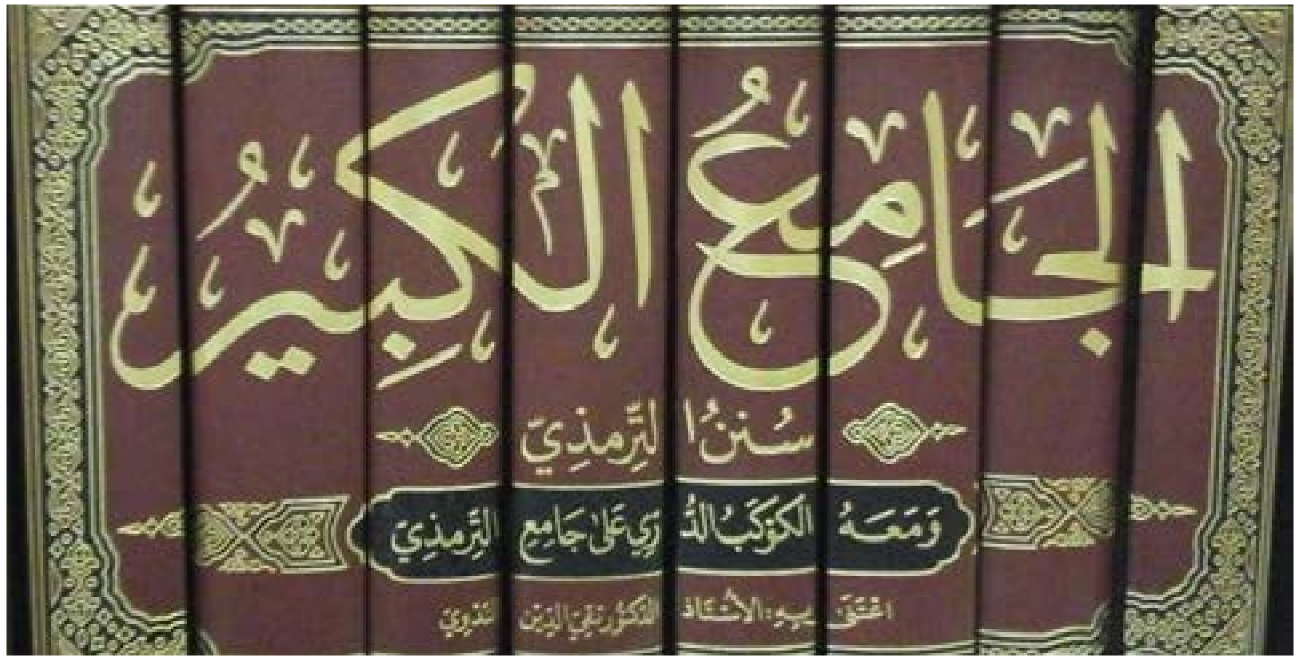

المروءة»[٤].

ومن ذلك –أيضا– ما ورد عن نافع عن ابن عمر (رضي الله عنهما) أنه: (كان يضرب ولده على اللحن)[٥].

وقد اشتد نكير العلماء على من قصر باعه في علوم اللغة وهو يروم الكلام في الشريعة، ويقتحم حصونها المنيعة، وإنّ من شأن ذلك أن يوقعه في اللحن والتصحيف والتحريف، وما يلحقه بسبب ذلك من المعرّة والقدح والانتقاص كبير وشنيع.

ولذلك شدّد كثير من سلف هذه الأمّة على وجوب تعلّم اللغة العربية.

ومن ذلك –أيضاً– ما جاء عن الإمام الشافعي (رحمه الله) من وجوب أن يكون العالم بصيرا باللغة، بصيرا بالشعر، وأنّه - يعني الشافعي - أقام علم العربية وأيام الناس عشرين سنة، فقيل له في ذلك، فقال: «**ما أردت بها إلاّ الاستعانة للفقه**». وجاء عن إبراهيم الحربي أنه قال: «**من تكلّم في الفقه بغير لغة تكلم بلسان قصير**»[٦].

وقال شعبة (رحمه الله): «**من طلب الحديث ولم يبصر العربية، فمثله كمثل رجل عليه برنس ليس له رأس**»[٧].

ومن كلام التابعين ومن بعدهم ما جاء عن ابن المبارك، فقد بلغه أنّ أبا عمرو بن العلاء كان يقول: «علمُ العربية هو الدين بعينه»، فقال: صدق؛ لأني رأيت النصارى قد عبدوا المسيح لجهلهم بذلك، قال الله تعالى في الإنجيل: «أنا ولَّدتُك من مريم، وأنتَ نَبِيّ»، فحسبوه يقول: أنا ولدتك، وأنت بُنَيّ، بتخفيف اللام، وتقديم الباء، وتعويض الضمة بالفتحة، فكفروا»[٨].

(٤) شعب الإيمان، ٣/٢١٠. وفي رواية: «تعلموا العربية فإنها تثبت العقل، وتزيد في المروءة». وفي رواية: « فإنها تُشبِّب العقل». طبقات النحويين واللغويين، ١٣.
(٥) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه، ٥/٢٤٠، والبخاري في الأدب المفرد، ٣٠٤.
(٦) الفقيه والمتفقه/ ٢/٢٢.
(٧) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (٢/٢٦)، تدريب الراوي (٢/١٠٦).
(٨) معجم الأدباء، ١/١٠.

وقال الامام الشافعي (رحمه الله): «**إنّ من جهلَ سعة لسان العرب وكثرة ألفاظها، وافتنانها في مذاهبها جَهِل جُمل علم الكتاب، ومن علمها، ووقف على مذاهبها، وفهم ما تأوّله أهل التفسير فيها، زالت عنه الشبه الدّاخلة على من جَهل لسانها من**»[٩].

وقال ابن تيميّة (رحمه الله): «لا بُدّ في تفسير القرآن والحديث من أن يُعرَف ما يدلّ على مراد الله ورسوله من الألفاظ، وكيف يُفهَم كلامُه، فمعرفة العربية التي خُوطبنا بها ممّا يُعين على أن نفقه مرادَ الله ورسولِه بكلامه، وكذلك معرفة دلالة الألفاظ على المعاني، فإنّ عامّة ضلال أهل البدع كان بهذا السبب، فإنّهم صاروا يحملون كلامَ الله ورسوله على ما يَدّعون أنّه دالٌّ عليه، ولا يكون الأمر كذلك»[١٠].

أمّا كلام أئمّة الحديث وعلمائه فما أكثر ما ورد عنهم في هذا الباب، يكفينا منه ما يأتي:

١ ـ قال شعبة (رحمه الله): **(تعلموا العربية فإنها تزيد في العقل)**.[١١]

٢ ـ وقال الإمام النووي (رحمه الله): «وعلى طالب الحديث أن يتعلّم من النحو والله ما يسلم به من اللحن والتصحيف»[١٢].

وفي هذا يقول الحافظ العراقي في ألفيته المشهورة[١٣]:

وَلْيَحْذَرِ اللَّحَّانَ وَالْمُصَحِّفَا ... عَلَى حَدِيْثِهِ بِأَنْ يُحَرِّفَا

فَيَدْخُلاَ فِي قَوْلِهِ: مَنْ كَذَبَا ... فَحَقُّ النَّحْوُ عَلَى مَنْ طَلَبَا

وقال الأصمعي في تأكيد هذا المعنى: «إن أخوف ما أخاف على طالب العلم إذا لم يكن يعرف النحو أن يدخل في جملة قوله ﷺ: «**من كذب عليَّ متعمّدًا فليتبوأ مقعده من النار**»[١٤].

ومن ذلك ما جاء عن أبي سلمة حماد بن سلمة أنه قال لإنسان:

(٩) تهذيب اللغة، ١/٥.
(١٠) الإيمان، ص: ١١١.
(١١) إكمال تهذيب الكمال، ٦/٢٦٥. تهذيب التهذيب، ٤/٣٤٦.
(١٢) التقريب والتيسير لأحاديث البشير النذير، ٣٠٠.
(١٣) ألفية العراقي، ١/٩٤١.
(١٤) تاريخ دمشق، ٣٧/٨٠، تهذيب الكمال، ١٨/٣٨٨.

«إن لحنتَ في حديثي فقد كذبتَ عليّ فإنّي لا ألحن»[١٥].

ويذكر أنّ سيبويه شكا إلى الخليل بن أحمد أنه سأله - يعني أبا سلمة - عن حديث هشام بن عروة عن أبيه في رجل رعُف - بضم العين، على لغة ضعيفة - فانتهره، وقال له: أخطأت، إنما هو رعَف - يعني بفتحها - فقال له الخليل: صدق، أتلقى بهذا الكلام أبا سلمة[١٦].

من المسائل التي تداولها علماء الحديث بينهم كثيرا، وطال فيها نقاشهم مسألة إذا روى المحدث فلحن، فمن قائل: يرويه كما سمعه ولكنه ينبه عليه؛ لاحتمال أن يكون له وجه من العربية لا يعرفه، ومن ذلك ما عند أحمد في العلل أن رجلا حدّث عن رقبة بن مستقلة بحديث فلحن فيه، فقيل له: مالك وللحن؟! قال: هكذا حدّثني[١٧].

ومنهم من أوجب أن يرويه - إذا كان عالما بالعربية - معربه صحيحا مقوّما، ودليل ذلك عندهم أنّ رسول الله ﷺ كان أفصح العرب و أعربَها، وقد نزّهه الله تعالى عن اللحن، وإذا كان كذلك، فالوجه أن يُروى كلامُه مهذَّبا من كل لحن[١٨].

ولم يزل علماء الحديث يتعقب أحدهم الآخر في ألفاظ من العربية يقع اللحن في قراءتها والتصحيف في نقلها، فيردون الكلام إلى الصواب، مما يدل على براعتهم، وقوة ملكتهم، وسعة اطلاعهم على قواعد اللغة العربية وفنونها.

ذكر بعض أقوال العلماء في شأن اللغة العربية في تحصيل علوم الشريعة:

إنّ من أسباب الانحراف عن فهم نصوص السنة هو افتقاد كثير من طلاّب العلم والمتصدّين لدراسة الحديث لعلم اللغة، وأنا هنا أعني اللغة بكل جوانبها، بدءاً بالقواعد الأولى التي لا يعذر أحد بجهلها، وانتهاء بفقه اللغة الذي لا يمكن فهم نصوص الشريعة

(١٥) فتح المغيث بشرح ألفية الحديث، ٣/١٥٩.
(١٦) المصدر السابق.
(١٧) العلل ومعرفة الرجال، ١/٣٨٧.
(١٨) انظر: مأخذ العلم لابن فارس، ص٣٧.

قرآنا وسنة بمعزل عنه.

في حين أنّ علماءنا السابقين نصّوا في كثير من مصنّفاتهم على وجوب أن يكون الراوي فقيها؛ أي في لغة العرب، عارفا بألفاظها ومعانيها وتصاريفها، لأنّ هذا من شأنه أن يعينه على فهم ألفاظ الحديث وصيانتها وحمايتها، فإذا ساقها أو ساق معناها بألفاظ من عنده لم يقع في الخطأ، وكثير من الانحراف الذي يقع فيه من يتصدّى للأخذ من السنة يكون منشؤه الجهل بعلوم اللغة وفقهها.

وربّ حديث اختلف استنباط الحكم الشرعي منه بسبب اختلاف ألفاظه، وهو أمر لا يهمّ راويَ الحديث من حيث الرواية، ولكنّه مهمّ جدا لمن ينظر في فقه الحديث ومعرفة الحكم الشرعي منه.

وقد ذكر العلماء أمثلة كثيرة لما يقع فيه تغيّر المعنى بتغيّر اللفظ الواحد، وينبني على ذلك اختلاف العلماء في استنباط الحكم الشرعي.

فمن ذلك حديث أبي هريرة (رضي الله عنه) عن النبيّ ﷺ أنّه قال: «**إذا سَمِعْتُمْ الإِقَامَةَ، فَامْشُوا إِلَى الصَّلاَةِ وَعَلَيْكُمْ بِالسَّكِينَةِ وَالوَقَارِ،**

وَلاَ تُسْرِعُوا، فَمَا أَدْرَكْتُمْ فَصَلُّوا، وَمَا فَاتَكُمْ فَأَتِمُّوا»[19].

هكذا روى البخاريُّ هذا الحديثَ، من طريق الزهري، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة، مرفوعا، بهذا اللفظ، بينما هو عند الإمام أحمد في مسنده، من طرق، والنسائي في سننه[20]، وغيرهما، إلى أبي هريرة، والجملة الأخيرة فيه: «**وَمَا فَاتَكُم فَاقْضُوا**».

فهذا الاختلاف في اللفظ الواحد ترتّب عليه اختلاف بين الفقهاء في استنباط الحكم الشرعي.

فالذين أخذوا بلفظ: «**فأتمّوا**» ذهبوا إلى أنّ ما يدركُه المصلّي المسبوقُ من صلاته هو أوّلُ صلاته، وعلى هذا فما يؤدّيه بعد ذلك يكونُ آخرَ صلاته، وبناءً على ذلك فإنّه يقرأ في ركعاته التي يؤدّيها بعد سلام الإمام كما يفعل في صلاته عندما يكون منفردا ... الخ.

أمّا الذين أخذوا بلفظ «**فاقضوا**» فقالوا إنّ ما يدركُه المسبوق هو آخرُ صلاته، فإذا قام ليأتي بما فاته، فإنّه يكون ذلك بداية صلاته فيقرأ فيها ما يقرأه لو كان منفرداً ... الخ.

علماء الحديث واهتمامهم باللغة في مرحلة التحصيل والتأليف:

لم يكن علماء الحديث بدعا في الاهتمام باللغة العربية وعلومها وفنونها تحصيلا وتأليفا واستدلالا، بل هي الظاهرة العامة، لا تكاد تخطئها العين، أو تغيب عن نظر الباحث والدارس لتراث هذه الأمة، ففي كل جوانب المعرفة الشرعية والفقهية المختلفة، وفي كل كتب التراجم والطبقات والتاريخ تقف هذه الحقيقة ماثلة للعين، فلم يُعرف في تاريخ أمتنا عالم من العلماء في فنونهم المختلفة إلا وكان له نصيبه من هذه اللغة الجميلة تحصيلا وحفظا، أو استدلالا واحتجاجا.

سوف نختار علَمين كبيرين من فرسان الحديث من تاريخ الإسلام، من شرق الأرض وغربها: الإمام المغربي الكبير القاضي عياض، والإمام الكبير المشرقي الحافظ ابن حجر العسقلاني، فهذان الإمامان اختلف مذهبهما الفقهي، ولكن توحدت كلمتهما في خدمة الحديث النبوي الشريف، وأغنيا المكتبة الإسلامية بالمؤلفات العظيمة في علوم الحديث، ونالت كتبهما في شرح الحديث وبيانه المنزلةَ الكبيرة، وشرّقت وغربت في طول بلاد المسلمين وعرضها.

فكيف كانت علاقتهما باللغة العربية ومبلغ اهتمامهما بها وكبير عنايتهما بها، وإبرازهما لفنونها المختلفة.

اهتمامهما باللغة في مرحلة التحصيل:

القاضي عياض رحمه الله:

لقد بلغ القاضي عياض في العلوم شأوا بعيدا ومبلغا كبيرا، فحفظ أسماء الرجال، وثقب في علم النحو، وقيّد اللغة، وأشرف على مذاهب الفقهاء وأنحاء العلماء، وأعراض الأدباء، وتحقق بالنظم والنثر، ومهر في الفقه، وشارك في اللغة والعربية، واشتهر بالاعتناء بضبط الألفاظ النبوية على اختلاف طرقها، ومن يرى كتابه (المشارق) يرى مصداق ذلك وحقيقته.

ويكفي أن نسجّل هنا على سبيل الاختصار، ولتأكيد هذه الحقيقة عناوين الكتب والمؤلفات التي أخذها القاضي عياض عن شيوخه، ممّا يتصل باللغة وعلومها وفنونها، بل إنّ بعض هذه المؤلفات قرأها على أكثر من شيخ من شيوخه.

فقد قرأ الكامل لأبي العباس المبرّد، وكتاب الزاهر لابن الأنباري، وغيرها كثير.

الحافظ ابن حجر رحمه الله:

إنّ الذي يتابع ويقرأ ترجمة الحافظ ابن حجر يغلب على ظنّه أنّ هذه كانت بداية عالم اشتغل بعلوم اللغة وفنونها، وأنّه لا صلة له بالحديث وعلومه؛ وذلك لكثرة ما قرأ من كتب اللغة وعلومها على مشايخه منذ صغره.

(19) رواه البخاري. كتاب الأذان/ باب: لا يسعى إلى الصلاة وليأت بالسكينة والوقار (١/٢٢٨)

(20) المسند، ٢/٢٣٨، ٢٧٠، ٣١٨، ٤٨٩، ٥٣٢.

اهتمامهما باللغة في مرحلة التأليف والاستدلال:

القاضي عياض رحمه الله:

لقد ألان الله للقاضي عياض قياد اللغة، وأمكنه من ناصيتها، فبرّز بها أقرانه وتفوّق عليهم، بل إنّه تأهّل ليضع ما يصل إليه من تراث أهل اللغة المتقدمين موضع النقد، وقد ظهر هذا كثيرا في **كتابه العظيم: مشارق الأنوار على صحاح الآثار**.

وانظر إلى هذا المثال من الكتاب المذكور، والذي يكشف لك عن مبلغ الدقّة والمعرفة باللغة التي كان عليها هذا الإمام المحدّث الفقيه.

قال رحمه الله: «اعلم أن حرف «عن» حرف جر مثل «من»، قالوا: وهي بمعنى «من» إلا في خصائص تخصها؛ إذ فيها من البيان والتبعيض نحو ما في «من»، قالوا: إلا أن «من» تقتضي الانفصال في التبعيض، أما «عن» لا تقتضيه، تقول: أخذت من زيد مالاً، فتقتضي انفصاله، وأخذت عنه علماً فلا تقتضي انفصالاً، ولهذا اختصت الأسانيد بالعنعنة». ثمّ قال: «وهذا غير سديد، وإن قاله مُقتدًى به؛ لأنه يصح أن يقال: أخذ من علم من زيد، وأخذت منه علماً، فلا تقتضي انفصالاً، وأخذت عن زيد ثوباً، فتقتضي انفصالاً، وقد حكى أهل اللسان: «حدثني فلان من فلان، بمعنى عنه، وإنما الفرق بين الانفصال والاتصال فيهما فيما يصح منه ذلك أو لا يصح، لا من مقتضى اللفظتين»[21].

الحافظ ابن حجر رحمه الله:

إنّ للحافظ ابن حجر أن يفتخر بهذه المواكب الكريمة من علماء اللغة الذين تشرّف بالتتلمذ على أيديهم، ونهل من علومهم ومعارفهم اللغوية، فأثمر ذلك كلّه هذه الظاهرة الموسوعية التي نراها في هذا الإمام - وفي غيره من أئمة الحديث - والتي تظهر واضحة جلية من خلال العلوم والمعارف التي زخرت بها مؤلفاته، وأخصّ منها بالذكر كتابه العظيم فتح الباري، الذي قال فيه الإمام الشوكاني: لا هجرة بعد الفتح.

ورغم أنّ الحافظ ابن حجر رحمه الله اتخذ من علوم العربية سلّما ارتقى به في مدارج الكمال في دراسة الحديث والاهتمام بعلومه والنظر في معانيه، إلاّ أن ذلك لم يمنعه أن يترك بعض بصماته في علوم اللغة.

(21) مشارق الأنوار على صحاح الآثار، ٢/٨٩.

أدب النبي ﷺ في معالجة العنف اللغوي

يؤرخ كثيرٌ من نصوص الحديث الشريف للحقبة الزمنية التي كان يحيا فيها النبي ﷺ في المدينة، متعايشًا مع غيره من أصحاب الديانات الأخرى، يستقبلهم في بيته، ويعاملهم بالحسنى ويقابلهم بالود، وإن قابلوه هم بغير ذلك من السوء؛ من بعض ما يعكس ما انطوت عليه نفوسُهم من الخبث والضغينة، وورد من نصوص الحديث الشريف ما يكشف لنا عن بعض ما كان يواجهه النبي ﷺ في تعاملاته مع أولئك المتعنتين، فقد دخل عليه مرةً بعضُ اليهود الذين كانوا يترددون عليه من حين لآخر، لاستكشاف ما لديه من أخبار السماء حينًا، أو لامتحان نبوته حينًا آخر، أو الاستهزاء به أحيانًا كثيرة، بحكم ما كانوا يتخلّقون به من صفات ذميمة تدفعهم إلى النيل من الآخرين والسخرية بهم، وبما جُبلوا عليه من تحريف الكلم عن مواضعه وليِّ الألسن لتخرج من خلالها العباراتُ معوجَّة، فتصل إلى مستمعيهم على المَحمَل الطيب، لحسن ظن المستمعين، ولكن المتكلمين لا يريدون بها إلا الدلالات القبيحة.

الأستاذ الدكتور محمد مصطفى منصور
أستاذ الأدب العربي بكلية دار العلوم (جامعة الفيوم)

فجاء في الحديث الشريف: «**أَنَّ يَهُودَ أَتَوْا النَّبِيَّ ﷺ فَقَالُوا: السَّامُ عَلَيْكُمْ. فَقَالَتْ عَائِشَةُ: عَلَيْكُمْ وَلَعَنَكُمْ اللَّهُ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ. قَالَ: مَهْلاً يَا عَائِشَةُ، عَلَيْكِ بِالرِّفْقِ وَإِيَّاكِ وَالْعُنْفَ وَالْفُحْشَ قَالَتْ: أَوَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا؟! قَالَ: أَوَلَمْ تَسْمَعِي مَا قُلْتُ؟! رَدَدْتُ عَلَيْهِمْ، فَيُسْتَجَابُ لِي فِيهِمْ وَلا يُسْتَجَابُ لَهُمْ فِيَّ**».

لقد حذف اليهود اللام ـ متعمدين ـ من كلمة «السَّلام» فقالوا للنبي ﷺ لما دخلوا عليه: «السَّام عليكم» لتنقلب الكلمةُ بهذا الحذف المتعمَّد من السلام ـ الذي هو الأمن والرحمة والوئام ـ وتصير «السَّام» الذي هو الموت والهلاك والدمار، وهم واثقون أن المستمع لهم لن يستطيع كشف أمرهم، لأن ترادف الحروف وتتابعها على الأذن لا يمكِّن المستمعين عادة من تحقُّق تفصيلات الحروف، واعتمادًا على أن المستمعين لن يبحثوا في أمر اللام المحذوفة من كلمة «السلام»، إن كانوا يحسنون الظن بالمتكلمين، ولا يتوقعون فيهم تحريف الكلم عن مواضعه. غير أن اليهود كان يعنيهم مثلُ هذا التحريف، ويحقق لهم في نفوسهم نشوة وسعادة، لأنه يُرْضي ما جُبِلُوا عليه من غرائز التمرد والطغيان واللجاج والسخرية، وذلك أمر أصيل فيهم، قد أخبرنا الله تعالى به في كتابه العزيز، في مثل قول الله تعالى ﴿ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النساء: ٤٦]

فأبت طبيعة اليهود عليهم إلا التحريف والتزييف، والزيغ والاعوجاج، لأن شخصياتهم تهوى الغموض وتكره الوضوح، وتهوى الكذب وتكره الصدق والصراحة، ويعتبرون من المكسب لهم أن يُصَدِّق الناس زيفَهم وبطلانهم، فذلك هو دينهم الذي يعيشون من أجله. فلما دخلوا على النبي ﷺ وقالوا له تلك القولة الشنيعة، التي يُوهم ظاهرُها الخيرَ، وتحمل في طياتها الشرَّ والهلاك، فَطِنَ النبي ﷺ لمرادهم، وفطنت كذلك زوجُه السيدةُ عائشة رضي الله عنها .

إن ردَّ فعل النبي ﷺ تجاه قولة اليهود اختلف عن ردِّ فِعْل السيدة عائشة عليهم، بحسب مشرب كل منهما ومقامه، فردَّت السيدة عائشة رضي الله عنها ردَّ المعاقب العادل الذي يردُّ الشرَّ بالشر، ويدفع البلاءَ بالبلاء، بعد أن فهمت مرادَ اليهود ووصل إلى مسامعها حقيقةُ مقصدهم، ولم تُخدع بظاهر لفظهم، وفى ذلك ما يشير إلى ذكائها رضي الله عنها وألْمَعِيتها، أو أن الذكاء والألمعية أحدُ مظاهر منن الله تعالى ونفحاته بعباده المؤمنين، فيطلعهم على ما يغفل عنه غيرهم من حقائق الأمور وبواطن الأشياء.

لقد ردَّت السيدةُ عائشةُ ردًّا قويًّا يناسب القولةَ الشديدة التي صدرت عن اليهود، فقالت لهم: « **عَلَيْكُمْ وَلَعَنَكُمْ اللَّهُ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ**» أو قالت لهم ـ كما ورد في بعض روايات الحديث ـ: «**السَّامُ عَلَيْكُمْ يَا إِخْوَانَ الْقِرَدَةِ وَالْخَنَازِيرِ، وَلَعْنَةُ اللَّهِ وَغَضَبُهُ**»، تُعْلِمُهم بذلك الردِّ الشديد أنها فهمت كلامهم ووقفت على حقيقة مرادهم الذي انطوت عليه صدورهم، وأن أفعالَهم الدنيئةَ ظاهرةٌ بيِّنةٌ لا تحتاج في كشفها إلى نزول وحي ولا إلى إرسال مَلَك، وهي بهذا الردِّ الشديد ـ بحكم الأعراف الصحيحة ـ ليست مخطئة ولا متعدية، لأنها لم تكن بادئةً بالشر، فالبادي أظلم كما تقول العرب في أمثالها.

ولكن النبي ﷺ كان له رأيٌ آخر وردٌّ غير الذي لجأت إليه السيدة عائشة، فقد سمع ما سمعتْ وفهم ما فهمتْ، ورد عليهم بمثل قولهم، ولكنه ردُّ الحكيم الذي لا يسجل الناسُ عليه خطأً، حتى وهو في لحظات الغضب ودفع الشر عن نفسه؛ بل إن النبي ﷺ طلب من السيدة عائشة رضي الله عنها الترفُّقَ في ردِّها على القوم، لأن الله تعالى لا يُحِبُّ الْفُحْشَ وَلا التَّفَحُّشَ، وهم على أية

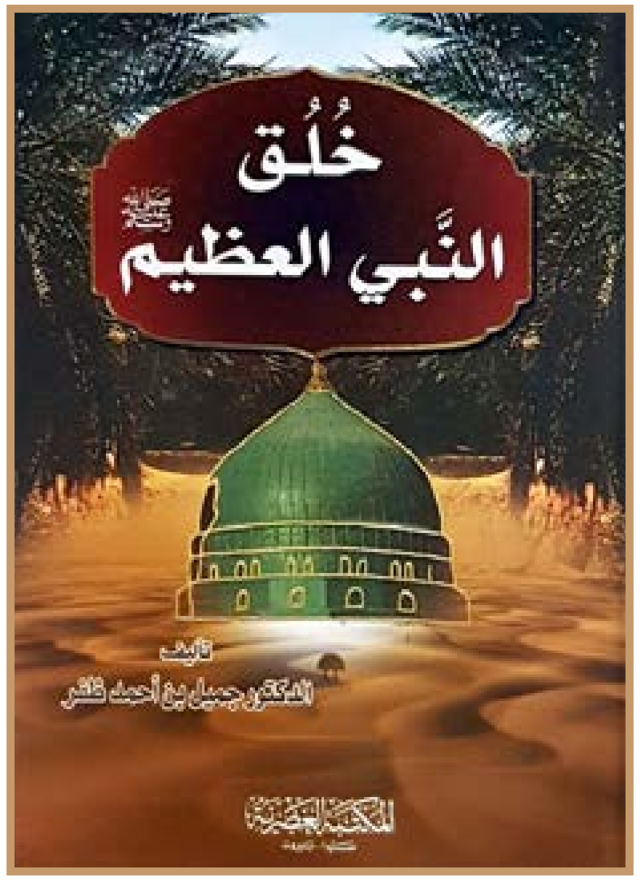

حال ضيوفُ النبي، ولهم حق الضيافة ـ وإن أساؤوا الأدب ـ ليس قيامًا بما تستحقه شخصياتهم، بل قيامًا بالواجب الديني الشرعي، من إكرام الضيف والحفاوة به والتجاوز عن أخطائه والعفو عن زلاته. فقال النبي ﷺ توجيهًا لعائشة، واليهود يسمعون: «**مَهْلاً يَا عَائِشَةُ، عَلَيْكِ بِالرِّفْقِ وَإِيَّاكِ وَالْعُنْفَ وَالْفُحْشَ**».

لقد أمر النبي ﷺ عائشة بالرفق في الكلام، ووصف رَدَّها ـ الذي هو ردُّ المُدافِع ـ بالعنف والفحش، مراعاةً لحق الضيف من الرعاية والإكرام، وبيانًا لليهود أن الدين الذي جاء به محمد ﷺ هو دينٌ سماويٌّ حقٌّ، ليس بدين فحش ولا بذاءة، كما سلك هؤلاء الضيوفُ الأبذياء، فالنبي ﷺ ـ وإن كان يوجه كلامَه لعائشة ـ لم يُغْفل اليهودَ من ذلك التوجيه، لأنه إن كان قد وصف ردَّ المدافع بالفحش، فما صفةُ كلام البادئ؟ لعل هذا التوجيهَ النبوي الراقي يواجه في بعضهم بقيةً من عقل صحيح أو آثارًا من ضمير حيٍّ صادق، يعينهم على استقبال ما

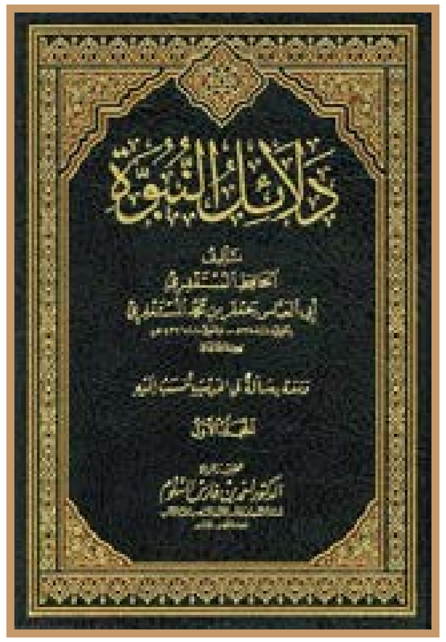

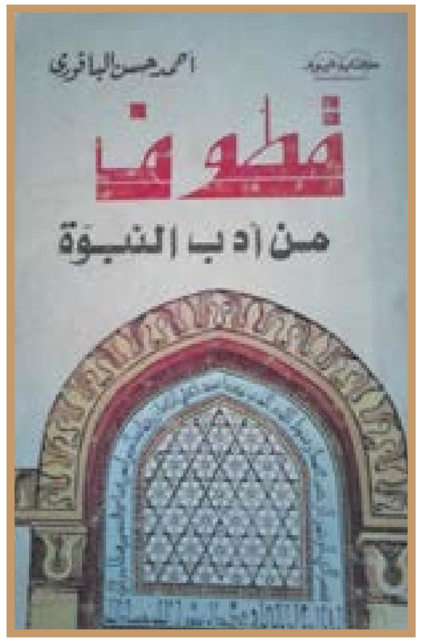

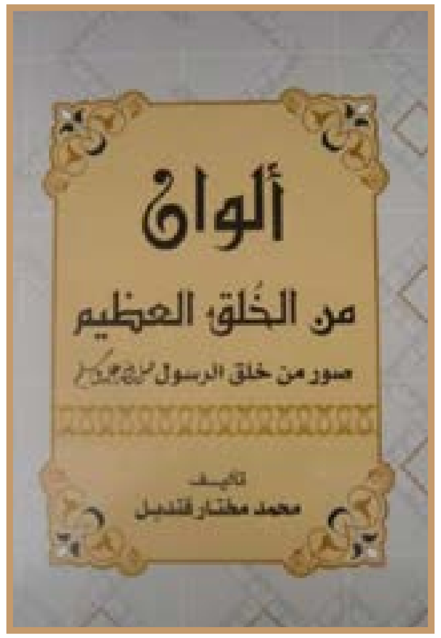

جاء به هذا النبي ﷺ الصادق، لتُكتب لهم السعادةُ في الدارين بحسن اتباعه. فهو يريد بهم الخير والنجاة، مع فحشهم وبذاءتهم وسوء أدبهم، وإن لم يدلَّهم على نبوته وحْيُه دَلَّهم عليه حسنُ أدبه ورحمتُه بأمته.

وفي هذا التوجيه كذلك تدريب للمسلمين على مراعاة أدب القول في جميع أحوالهم، لأن النبي ﷺ ندب السيدة «عائشة» إلى استعمال الرفق واللين في لحظات الغضب ومواجهة فحش الفاحشين، فيكون الندب إلى استعماله في غيرها من الأوقات أولى وأجدر.

وعلى ذلك فإن المسلم لا يصدر عنه __ أبدًا __ شيءٌ من البذاءة وسوء الأدب، ولو تعرض لِمَا يحرِّضُه على ذلك، لأنه على كل أحواله داعٍ إلى ربه، وإن مواجهةَ الناس بالأنفس الكريمة التي تبذل لهم اللين والرفق والعطف خيرٌ _في مجال الدعوة إلى الله تعالى_ من بذل الخطب الفصيحة والدروس المليحة، تصدر عن أنفسٍ بالرحمة شحيحة. فالرفق زينة الحياة وبهجتها، وهو مطلوب في الأمور كلها، فلا يُنزع من شيء إلا أساءه وقَبَّحَ منظرَه، كما ورد في بعض روايات الحديث الشريف من قول النبي ﷺ: **«لَمْ يَدْخُلِ الرِّفْقُ فِي شَيْءٍ إِلاَّ زَانَهُ، وَلَمْ يُنْزَعْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ شَانَهُ»**.

ولا يخفى ما في الحديث الشريف من بُعْدٍ تربوي في معالجة العنف ومواجهة الفحش؛ لفتَ النبي ﷺ نظرَ السيدة عائشة إليه، ويظهر في الردِّ الطيب الرفيق الذي يناسب الموقفَ ويُرضي رغبة المتلقي في الدفاع، وفي الوقت نفسه لا يحمل في طياته فحشًا ولا بذاءة، وذلك بعد أن أمر النبي ﷺ عائشة بالتزام الرفق، فقالت له: «**أَوَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا**» ظنًّا منها أن النبي ﷺ لم يفطن لكلامهم البذيء، كأنها تلتمس عذرًا في ردها ذلك إن كان النبي ﷺ قد وصل إلى مسامعه ما وصل إلى مسامعها، فبيَّن لها النبي ﷺ أنه قد استمع إلى ما استمعت إليه، وفطن _قبلها_ إلى ما فطنت هي إليه، إلا أنها قد غاب عنها _في حال الغضب_ ردُّ النبي ﷺ، ولم تفطن إلا لردِّهم، فذكَّرها رسولُ الله ﷺ بما صدر عنه _مما حال غضبُها دون سماعه_ فقال: «**أَوَ لَمْ تَسْمَعِي مَا قُلْتُ؟ رَدَدْتُ عَلَيْهِمْ، فَيُسْتَجَابُ لِي فِيهِمْ وَلا يُسْتَجَابُ لَهُمْ فِيَّ**»؛

وذلك لأن النبي ﷺ اكتفى عند سماع قولهم بقوله: «**وعليكم**» فإن كان ما صدر عنهم خيرًا ردَّ النبي ﷺ عليهم الخير بمثله، وإن كان شرًّا ردَّ عليهم بمثل قولهم، فجعل النبي ﷺ أمرَ النتيجة في أيديهم هم، وهو في ذلك كله يعوِّلُ على ما هو مطبوعٌ عليه من الطبع الكريم والخلق العظيم، ويسعده أن تكون أمَّتُه متطبعةً بطبعه الكريم ومتخلِّقةً بِخُلُقِه العظيم.

لقد جاء أمرُ معالجة الموقف -في منهج النبي ﷺ- بسيطًا جميلاً، يعتمد على مراعاة مراقبة الله تعالى ومشاهدته، ويعتمد على تغليب محبة الله تعالى والانحياز لجناب مرضاته، وإن كان في ذلك مخالفة لرغبات النفس من حب الثأر والرغبة في التشفي والانتقام، وذلك هو الجانب الصعب في الشريعة الإسلامية، جانب تفعيل أوامر الدين في الحياة وفي المعاملات.

> لقد أمر النبي ﷺ عائشةً بالرفق في الكلام مراعاةً لحق الضيف من الرعاية والإكرام.

> إن الدين الذي جاء به محمد ﷺ هو دينٌ سماويٌّ حقّ، ليس بدين فحش ولا بذاءة.

عبدُ الحكيم زيَّان النِّيَّة
شاعر معاصر

سلطان القاسمي واللغة العربية

وهبت نفسي للفصيحة

أَلَا يَا مُزْنُ سُحِّي ثمَّ جُودِي ... عَلَى نَجْلِ مُحمَّدٍ الْوَدُودِ
بِهَطْلاءِ القَبولِ تَظلُّ تَسقِي ... رِياضَ اليُمْنِ والجِدِّ السَّعيدِ
سَعادتُهُ خَدومٌ للِّسَانِ ... حكيمُ الرأيِ ذو الأَدَبِ السَّديدِ
تَراهُ يَحِنُّ للُّغةِ السَّليمهْ ... حَنينَ الأمِّ فاقدةَ الوَليدِ
لهُ في سابقِ الأيَّامِ عَهدٌ ... تَكَلَّلَ فيه بالتَّاجِ العَقيدِ
فقالَ وهبْتُ نَفسي للْفَصيحَهْ ... فَهلْ من سَامعٍ هَلْ مِن مُريدِ
تُلاحظُهُ نَديَّ الكَفِّ غَيْثٌ ... أَياديهِ العميمةُ مِن تَليدِ
جهودُ سُمُوِّهِ أعطَتْ ضياءً ... ليَحْيَى النَّشْءُ بالهمِّ الجَديدِ
سموّهُ حَمَى لُغةَ اللِّسانِ ... بتأسيسِ المَجامعِ في الصَّعيدِ
كذا جمعيَّةُ الخَطِّ الفصيحِ ... وأصحابُ الخطوطِ من الوُفُودِ
بيوتُ الشِّعرِ في الأقطارِ عَمَّتْ ... وجائزةُ الثَّقافةِ للمَزيدِ
وَلِلْمخطوطِ دارُ القاسميِّ ... حَمَى لغةَ القريبِ معَ البعيدِ
فصارتْ كلُّ مدرسةٍ تُضيءُ ... بنَهْجِ القاسميِّ علَى الوُجودِ
تُرَى إن لاحَ في الأُفقِ السِّباقُ ... يُنَافسُهُ على الحزمِ المَشيدِ
كَمِيٌّ زاهدٌ عَلَمٌ نَجُودٌ ... فلَيْسَ لَهُ عديلٌ مِن نَديدِ
أخو ثقةٍ وَفِيٌّ بالعُهودِ ... علَى اللأْواءِ يغْدُو كالأُسُودِ
يظلُّ المَدحُ منِّي والقصيدُ ... بُحورًا من بسيطٍ أو مَديدِ
سألتُ اللهَ يحفظُكُم ويرْعَى ... حُكومتَكُم علَى الوَجْهِ الحميدِ
وأَختِمُ بالصَّلاةِ على النَّبيِّ ... بقدْرِ الخَطِّ بالدُّرِّ الفَريدِ

المتلازمات المعجميّة

د. علي الودرني
باحث أكاديمي تونسي

تُعدّ ظاهرة التّلازم من أجدّ الظّواهر الّتي تناولتها الدّراسات المعجميّة(١). لذلك كان الخلاف فيها ولا يزال كبيرا. ولعلّ أخطر خلاف وأعمقه ما تعلّق بتعريف المتلازمة المعجميّة وضبط حدّها، وهو ما يُفسّر – إلى حدّ ما – ندرة المعاجم الخاصّة بالمتلازمات وتأخّر ظهورها على الرغم من وجود كمّ هائل من هذه المتلازمات في بطون المعاجم العامّة وكذلك في المدوّنات اللّغويّة عموما(٢). على أنّ جمعها من تلك المعاجم أو من تلكم المدوّنات ليس بالأمر الهيّن، وذلك لسببَين:

– السّبب الأوّل – وقد ذكرناه – يعود إلى تعدّد التّعريفات المتعلّقة بالمتلازمة والاختلاف بينها مفهوما ومصطلحا أحيانا.

– والسّبب الثّاني يرجِع إلى صعوبة العثور على هذه المتلازمات ورصدها ضمن موادّ المعجم العامّ الّذي يبني ترتيب مداخله على أساس الإفراد اللّفظيّ(٣)، في حين أنّ المتلازمة هي تجميع لفظيّ أو وَحدة معجميّة في شكل عبارة(٤). فإعداد معجم خاصّ بالمتلازمات ليس بالأمر الهيّن اعتبارا للصّعوبتين المذكورتين آنفا، ولعلّ حلّ الصّعوبة الأولى أوكد، إذ لا مجال للقيام بصناعة معجم للمتلازمات دون تحديد المتلازمة وضبطها وتعريفها تعريفا دقيقا يجعل الحدود بينها وبين ما يلابسها فاصلة لتخليصها ممّا ليس منها. وهذا ما قمنا به في بحث لنا سابق اعتنينا فيه بمنزلة المتلازمات في المعاجم العربيّة وسنقوم هنا في الفقرات الآتية من هذا المقال بتلخيصه أو بالأحرى باقتطاف ما يهمّنا منه في تحديد المتلازمة المعجميّة وتعريفها لتخليصها ممّا يلابسها.

٢- المتلازمة وحدودها:

إنّ مصطلح «المتلازمة» أو «التّلازم» لم يحظَ بإجماع لدى اللّغويّين لا من حيث تعيينُه ولا من حيث تعريفُه على الرغم من المحاولات المتعدّدة والجادّة في هذا الشّأن وخصوصا في الدّراسات المعجميّة الغربيّة: فمن المعجميّين من جعل المتلازمة وسطا بين التّجميعات الحرّة والتّعبيرات الاصطلاحيّة، فحصرها في التّعابير التّحليليّة(٥)، ومنهم من أدخل في المتلازمات الأمثالَ السّائرة(٦)، ومنهم من أدخل فيها التّجميعات الحرّة(٧)،

(١) ظهر مصطلح «المتلازمة» (Collocation) لأوّل مرّة سنة ١٩٥١ مع «فيرث» Firth.

(٢) ظهر أوّل معجم للمتلازمات في اللّغة الفرنسيّة سنة ١٩٥٦ (معجم Lacroix). أمّا في الإنجليزيّة فلم يظهر إلاّ سنة ١٩٨٦ على حدّ علمنا وهو معجم: (The BBI Combinatory Dictionary).

(٣) يُنظر في ذلك بالخصوص: Alonso Ramos : Construction;p.p. ١٢–١٦.

(٤) ابن مراد: مقدّمة، ص ٢١، وأيضا: الوحدة المعجميّة، ص ٦.

(٥) يُنظر: Kahane et Polguère : Un langage formel .p2.

(٦) وذلك على غرار ما فعل حسن غزالة في «ترجمة المتلازمات اللّفظيّة»، ذكره محمّد حلمي هليّل في: «الأسس النّظريّة»، ص ٢٣٣.

(٧) مثلما فعل Emery، يُنظر: – هليّل: المرجع السّابق، ص.ص. ٢٣٣-٢٣٤.

ومنهم من أدخل فيها المتضامّات، بل منهم من قصرها على المتضامّات(٨) دون سواها(٩)، أو جعل الارتباط الاعتياديّ والتّضامّ أو التّصاحب المنتظم (Cooccurence) هو التّلازم (Collocation) ذاته(١٠).

إنّ هذا الخلط في المصطلحات وما ينجرّ عنه من اضطراب في المفاهيم يُعرقل عمل المُعجميّ عموما وعمل القاموسيّ بالخصوص ويقوم حاجزا بينه وبين إعداد معجم للمتلازمات يُمكن الاطمئنان إليه. لذلك لا بدّ من تحديد المتلازمة اعتمادا على معايير واضحة دقيقة صارمة تميّزها عن غيرها من المفاهيم المشابهة وتخلّصها ممّا ليس منها كالمتضامّات والأمثال.

• تمييز المتلازمة ممّا يُلابسها:

إنّ المتلازمات في نظرنا تعابير أي جمل مكتسبة لخصائص الجملة التّركيبيّة. فهي إذن تجميعات تركيبيّة، لكنّها تجميعات تركيبيّة جاهزة قد تواتر استعمالها منذ أجيال حتّى تجمّدت أو تكلّست أو تلازمت عناصرُها فصارت بتلازمها وَحدة معجميّة ذات وظيفة تُحيل على خصوصيّة مَا في تجربة الجماعة اللّغويّة(١١). وهذا يعني أنّه يتعيّن استعمال ألفاظ مغايرة إذا ما تعلّق الأمر بالتّعبير عن المعنى نفسه في لغة أخرى(١٢). فتعبير من قبيل "Casser sa pipe" في الفرنسيّة لا يُمكن أن يُعبّر عنه بالعربيّة بواسطة التّرجمة الحرفيّة للمفردات: «كسّر غليونه» (فهذا بعيد عن المعنى الّذي يقصده متكلّمو الفرنسيّة بعد السماء عن الأرض) بل وجب التعبير عنه بتركيب مفردات مغايرة تماما من قبيل: «لبّى داعيَ ربّه»، أو «قضى نَحْبَه». وليس الأمر كذلك فيما يتعلّق بالمتضامّات، إذ يكون التّركيب فيها إمّا جملة تامّة أو شبه جملة وقابلا للتّرجمة الحرفيّة. هذا علاوة على أنّ وظيفة المتضامّة تُفيد التّخصيص مثل: «خدمة اجتماعيّة» أو «جريمة نكراء»(١٣) أو التّعيين مثل: «آذان الأرنب» أو «آذان الجَدْي»(١٤) أو «تأبّط شرّا» أو «برَقَ نحرُه»(١٥)، كما إنّ المعنى الشّامل أو الكامل للمتلازمة لا يحصل بجمع معاني عناصر تركيبها مفردة وإنّما يكون للمتلازمة معنى مُخالِف لمجموع معاني عناصر التّركيب. وهذا هو سبب عدم قابليّتها للتّرجمة الحرفيّة، بينما يكون معنى المتضامّة في الأغلب محصّلة لمجموع معاني عناصرها(١٦). أمّا الأمثال فيمكن إخراجها عن المتلازمات بيُسر، ذلك أنّ الأمثال تختلف عن المتلازمات بقابليّة التّركيب فيها للتّرجمة الحرفيّة

نماذج من المتلازمات اللغوية

قام ميزانُ النهار: انتصف

فلانٌ تُضرَبُ إليه أكبادُ الإبل: يُرْحَلُ إليه في طلب العلم وغيره.

أكلَ لحمَ فلان: اغتابه

نأى بجانبه: تكبّر وأعرض.

عضّ على يديه: ندِمَ وتحسّر.

لا يُشَقُّ له غُبار: لا يُدرَك.

ضُرِبَت عليهم الذّلّة

(٨) يُنظر مثلا: - Alonso Ramos : Construction ; p.p. 8-12. و: Tutin et Grossmann: Collocations régulières; p.p. 5-6

(٩) يُنظر: - هليّل: في «الأسس النّظريّة»، ص.ص. ٢٢٧–٢٢٨ و٢٣٠–٢٣٢ و٢٣٤–٢٣٦.

(١٠) يُنظر على سبيل المثال: – عمر (أحمد مختار): المعجم والدّلالة، ص.ص. ١٥٤–١٥٦.

(١١) ابن مراد: الوحدة المعجميّة، ص ٦، وكذلك: - - Pergnier (M): Les fondements sociolinguistiquesde la traduction ; H. Champion, Paris 1980, p. 312.

(١٢) يُنظر: - Haussmann : Le dictionnaire de la collocation ; p ١٠١٣.، وكذلك: – ابن مراد: الوحدة المعجميّة، ص ٧.

(١٣) يُنظر المثالان في: هليّل: «الأسس النّظريّة»، ص.ص. ٢٣١ و٢٣٣ على التّوالي.

(١٤) اسمان لنوعين من النّبات من فصيلتَيْن مختلفتَيْن.

(١٥) الأمثلة الأربعة مأخوذة من: – ابن مراد: الوحدة المعجميّة، ص.ص. ٣–٤.

(١٦) بخصوص هذه المسألة يُنظر في: - - Alonso Ramos : Construction ; p.p. 7-9. وأيضا: - Blanco : Dictionnaires électroniques ; p.p. 4- وكذلك: - Tutin et Grossmann: Collocations régulières; p.p. 12-13.

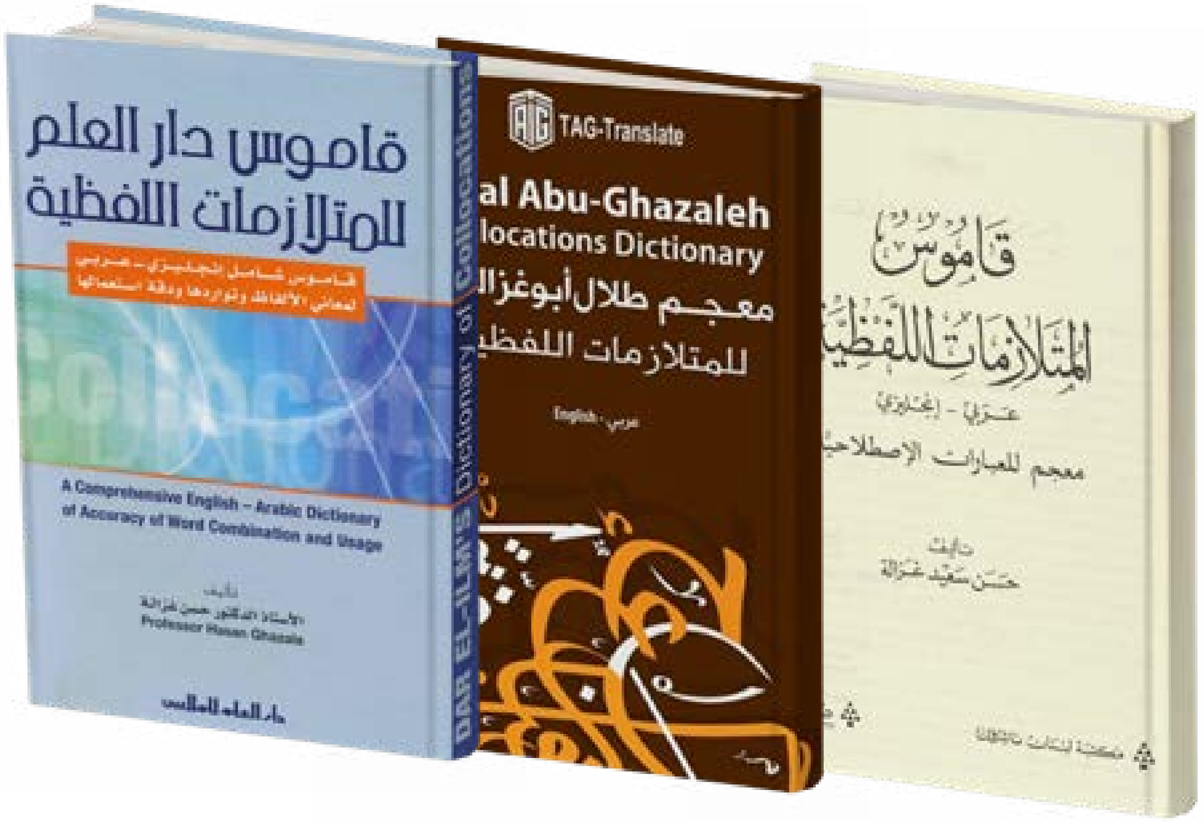

مع شدّة تقيّد المثَل وتكلّسه تركيبيًا. فالـمَثَل يستحيل حمله على حامل غير حامله الذي وُضع له في أصل التّركيب – بتعبير المناطقة – أو إسناده في مقولتَيْ الجنس والعدد – بتعبير النّحويّين– على خلاف المتلازمة الّتي يمكن تصريفها في مقولتَيْ الجنس والعدد. فمثلا في هذين المثَلَيْن: «تجوع الحرّة ولا تأكل بثدييها» (مثلٌ يدلّ على العفّة)، أو «أوّل ما أخرج ضبٌّ ذَنَبه» (مثَل يدلّ على الغباء)، لا يُمكن إسناد أيّ تركيب منهما إلى ضمير آخر لا في مقولة الجنس ولا في مقولة العدد، بينما في المتلازمة مثْل: «فلان يأكل خُلالته» (دلالة على الشّحّ والبخل)، أو «فلانٌ تُضرب إليه أكباد الإبل» (دلالة على علوّ مكانته في العلم أو في الفضل أو في غيرهما)، فإنّ التّركيب فيهما يمكن أن يُسند في مقولتَيْ الجنس أو العدد أو في المقولتَيْن معا إلى ضمير آخر، كأن نقول مثلا: «فلانة تأكل خُلالتَها» و«قوم تُضرب إليهم أكبادُ الإبل». من هنا يتبيّن لنا الفرق بين المثل والمتلازمة، فالمثلُ أشدّ تكلّسا وتحجّرا من المتلازمة تركيبيًا، فضلا عن كون المثل يقبل التّرجمة الحرفيّة من لغة إلى أخرى عكس المتلازمة. على أنّ هناك نوعًا من المتلازمات يقبل التّركيبُ فيه التّرجمة الحرفيّة سنعرض له في نهاية الفقرة الآتية.

• حدّ المتلازمة:

نستخلص ممّا سبق أنّه بالإمكان وضع معايير تحدّ المتلازمة حدًا يجعلها واضحة المعالم سهلة التّعيين. هذه المعايير تتمثّل في:

أ- المعيار التّركيبيّ:

فهي– أي المتلازمة – تجميع معجميّ في شكل تعبير. (وفي هذا تتّفق مع المثَل ولا تتّفق إلاّ نادرا مع المتضامّة).

ب- معيار التّقيّد:

هي تجميع تركيبيّ جاهز متكلّس. (وفي هذا تختلف المتلازمة عن المتضامّة، وتتّفق مع المثَل، غير أنّ المثل أشدّ تكلّسا منها).

ج- المعيار الدّلاليّ:

لا يحصل معنى المتلازمة بجمع معاني عناصرها منفردة، لأنّ الدّلالة فيها قائمة على المجاز، على أنّه يمكن أن يُشكّل معنى أحد عناصرها جزءًا من معناها لا أكثر، وهذا نادر على كلّ حال، (وفي هذا تختلف المتلازمة مع المتضامّة تمام الاختلاف وتتّفق مع المثل).

د- معيار التّرجمة:

لا يُمكن أن يُترجم التّركيب في المتلازمة ترجمة حرفيّة إلاّ في نوع مخصوص منها. (وفي هذا تختلف المتلازمة مع المثَل كما تختلف مع المتضامّة).

هـ- معيار الوظيفة:

وظيفة المتلازمة وظيفة إحاليّة تُحيل على خصوصيّة مَا في تجربة الجماعة اللّغويّة(١٧). (وفي هذا تتّفق المتلازمة مع المثَل وتختلف مع المتضامّة).

و- معيار البيان:

تقوم المتلازمة على المجاز (وهي في ذلك تتّفق مع المثل لكنّها تختلف عن المتضامّة الّتي تقوم على إرادة المعنى الحقيقي).

واعتمادا على هذه المعايير يمكن صياغة التّعريف التّالي: «المتلازمة هي تجميع معجميّ في شكل تعبير جاهز حامل لوحدة دلاليّة تُخالف مجموع دلالات عناصره منفردة. وترتبط تلك الدّلالة بخصوصيّة مَا في تجربة الجماعة اللّغويّة. وهي نوعان:

أ- التّعابير التّحليليّة

(Locutions analytiques): وخاصّيّة هذا النّوع أنّ المجاز فيه قابل للتّرجمة الحرفيّة إلى لغة أخرى، ومن أمثلته: «ضَرَبَ في الأرض»، «اقتفى الأثر»، «يمشي القهقرى»(١٨).

ب- التّعابير الاصطلاحيّة

(Expressions idiomatiques) أو (Idiotismes): والمجاز فيها غير قابل للتّرجمة الحرفيّة نتيجة الخصوصيّة الدّلاليّة الغالبة على التّعبير(١٩). ومن أمثلته: «ضَرَبَ آباط الأمور» (خَبر بواطنَها)، «شكَمَ فاهُ بالإتاوة» (رَشاه)(٢٠).

(١٧) يُمكن أن يُضاف إلى المعايير المذكورة معيار آخرهو المعيار النّحويّ لتمييز المتلازمة عن المثَل مثلما بيّنّا أعلاه، لكنّنا أسقطنا ذلك المعيار تجنّبا للإثقال سيما وأنّ معيار التّرجمة وصفة الخصوصيّة الّتي ذكرناها في معيار الوظيفة يفيان بالحاجة.

(١٨) يُنظر: ابن مراد: الوحدة المعجميّة، ص ٦

(١٩) يُنظر: – ابن مراد: الوحدة المعجميّة، ص ١٧. وعمر: المعجم والدّلالة، ص.ص. ١٥٥–١٥٦.

(٢٠) المعجم الوسيط ١/ ٣ و٤.

تطوُّر دلالات الألـــفـــاظ الإسـلاميـة

د. عمر مسلّم العكش
باحث أكاديمي وأستاذ علوم اللغة العربية
جامعة عجمان

يتناول هذا البحث جهود أئمة اللغة القدامى في تتبع تطور دلالة الألفاظ الإسلامية، ورصد الأفكار الدلالية والاجتهادات المهمة التي أتوا بها، فقد كان لهم إسهام مبكر في البحث اللغوي الذي وضع الأسس ومهّد السبيل لنهضة علم اللغة العام كما عرفته الإنسانية في العصر الحديث.

ووجد علماء اللغة المحدثون أنفسهم غير قادرين على تجاهل جهود علماء اللغة القدامى في مجال المعنى، فقد خلّف لنا السلف الصالح رصيداً ضخماً في شأن الدلاليات، ووضعوا في حسبانهم أن الأصل في مفهوم الدلالة ينصرف إلى دراسة المفردات وما طرأ عليها من تطور، فاللغة ظاهرة اصطلاحية كما يرى علماء العربية من المفسرين والمعجميين، كما أنهم أضافوا إلى علم الدلالة مفهوم (التأثيل اللغوي) الذي يحقق الأصول الأولى للكلمات، ثم ألحقوا بهذا العلم فرعاً آخر يستقل بالجانب المعجمي، فالمعاجم تؤرخ للمفردات وتتعهدها بالتتبع والمعالجة، وكانت لهم آراء وجيهة في البنية الدلالية للجملة العربية، ونظرات دقيقة في مفهوم اللغة، نثروا من خلالها ما له علاقة بيّنة بعلم الدلالة.

جهود اللغويين القدامى في تتبع تطور دلالة الألفاظ الإسلامية:

نـزل القـرآن الكريـم بلغـة قريش، لأن رسـول الله ﷺ قرشـي، ومن إعجازه أن جاءهم بأفصح ما انتهت إليه لغات العرب جميعاً، وهذه اللغات وإن اختلفت في اللحن والاستعمال، إلا أنها تتفق في المعنى، وقد ائتلفت لغة القرآن الكريم على وجه يستطيع العرب أن يقرؤوه بلغاتهم المختلفة.

وإن النص القرآني كان أول نص في اللغة العربية أقيمت حوله دراسة لغوية منهجية، تبحث في دلالة الألفاظ من حيث المادة الأساسية لأي نص من النصوص، ويعد هذا العمل منهم إدراكاً مبكراً لحقيقة على جانب كبير من الأهمية في دراسة دلالة الألفاظ، إذ إنهم لم ينظروا إلى اللفظ بعيداً عن الاستعمال في النص، بل اعتبروا أن قيمته ومدلوله يتحددان وهو داخل النص يؤدي وظيفته الأساسية في التعبير.

الجاحظ

أبو حاتم الرازي

وقد أدرك علماء العربية في وقت مبكر أن اللغة تتطور بتطور الحياة وما تفرزه من قضايا، ومضوا في أناة ومثابرة ناشدين الوقوف على مختلف الظواهر اللغوية وتقصي دقائقها والكشف عن أسرارها، مؤمنين بأن خدمة اللغة والاشتغال بعلومها تعد السبيل الأقوم لتدبر القرآن الكريم وفهم علومه، ولعل ذلك أقود إلى دقة الدراسة، وأقوم على الدربة والعمل العلمي، وأعود على الدّارسين بالفائدة، وأحفظ لأصالة اللغة والتراث، لأن معرفة قوانين اللغة لا تتيسر بغير معرفة الأصول، وإن التماس الحقائق والأصول في نشأة الاشتغال باللغة عند العرب يرتبط أوّلاً وقبل كل شيء بالقرآن الكريم، إذ إن بدايات الدرس اللغوي نشأت في الأصل لخدمة نصوصه وتفسير غريبه وشرح مشكله.

وقد راعى السلف الصالح مبدأ الأمانة العلمية وأعْلَوْا من شأن النقل، فما لم ينقل إليهم سليماً مسنداً لا يجتهدون في تأويله، يحفزهم على ذلك إجلالهم لمضمون هذا الكتاب العظيم وتورعهم من الاجتهاد الذي قد يعتوره شيء من الظن، والتخمين عند تفسير بعض الألفاظ،لأن ألفاظاً من القرآن الكريم كانت « غريبة» على بعض القوم يحتاج تقييد مدلولها إلى فضل تأمل وتدبر ومساءلة، إضافة إلى تضمن القرآن الكريم كلمات اكتسبت معاني إسلامية تختلف عمّا ألفه العرب من مدلولاتها في الجاهلية، ثم حاجة هذه الحضارة الجديدة إلى ألفاظ متطورة الدلالة تُسوِّغها نتائج الفتوحات والاختلاط بالأقوام الأخرى، وإلى ذلك يشير أحمد ابن فارس حيث يقول:

«وكانت العرب في جاهليتها على إرث من إرث آبائهم في لغاتهم وآدابهم ونسائكهم وقرابينهم، فلما جاء الله « جلّ ثناؤه » بالإسلام حالت أحوال ونسخت ديانات، وأبطلت أمور، ونقلت من اللغة ألفاظ من مواضع إلى مواضع أخرى بزيادات زيدت، وشرائع شرعت، وشرائط شرطت، فعفى الآخر الأول».

وقد وجد علماء العربية الغيارى الحريصون على القرآن والعربية أن الحاجة تدعو إلى قيام حركة علمية لغوية تستوجب وضع المؤلفات والتصانيف التي تخدم القرآن واللغة، وترصد أثر الحضارة في التطور الدلالي لألفاظ العربية، وقد أدركوا أن اللغة ظاهرة تحويلية ترتقي ألفاظها وتتطور بتطور الحياة وتقلب الأحوال، وتبدّل النظم الاجتماعية، وتأثر اللغة بلغات أخرى، فالألفاظ تكتسب دلالات جديدة مغايرة لما كانت عليه في أصل وضعها، وتتعرض إلى التغيير في معانيها، وتكون هناك معان جديدة لبعض الكلمات، إمّا ذات صلة بالمعاني القديمة وإمّا غريبة عنها، وذلك وفق قانون التطور الدلالي لمفردات اللغة، وذلك إمّا بتغيير الدلالة واستحداث معنى لم يكن من قبل، وإما بتعميم الدلالة بأن تكون المعاني الجديدة أعم من المعاني القديمة، وإمّا بتخصيص الدلالة بأن تحدّد الكلمة بعض ما كانت عليه قديماً؛ لأن الحضارة العربية كانت تتحول بالفكر العربي واللغة العربية في عملية مواكبة دائمة، وكانت اللغة تجدد خلاياها، وتنمي ثروتها اللفظية، وتطوّر أساليبها على مرّ العصور لتكون لغة الشعر، ولغة العقيدة الدينية، ولغة الحضارة الإسلامية،

صفحة من كتاب الحيوان

العالم اللساني جاي كوك

سابير وورف

ولغة العلوم النقلية والعقلية ولغة البلاغة والزخرف اللفظي، كما كانت لغة الموسوعات والتأريخ، وغني عن البيان أنّها كانت في هذه المراحل تزداد ثراءً وتطوراً.

وكانت للجاحظ آراء وجيهة ودقيقة في مفهوم اللغة، نثر من خلالها ما له علاقة بيّنة بتأصيل علم الدلالة، فقد أورد خبراً في كتابه (الحيوان) يدلّ على أنّ اللغة هي ظاهرة تحويلية، فيقول: «من الأسماء المحدثة التي قامت مقام الأسماء الجاهلية قولهم في الأسماء لمن لم يحج (صرورة)، وأنت إذا قرأت أشعار الجاهلية وجدتهم قد وضعوا هذا الاسم على خلاف هذا الموضع. قال ابن مقروم الضبي:

لو أنّها عرضت لأشمط راهب
عبد الإله صرورة متبتل
لدنا لبهجتها وحسن حديثها
ولهمّ من تاموره بتنزل

فالصّرورة عندهم من كان أرفع الناس في مراتب العبادة، وهو اليوم اسم للذي لم يحجّ إمّا لعجز وإمّا لتضييع، وإمّا لإنكار، فهما مختلفان كما ترى».

فالجاحظ اقترب في نصه هذا من البحوث اللسانية المعاصرة التي تعالج الدلالة الحديثة ونشوءها وتطورها وتحولاتها وتغيّراتها، وأدرك البعد الدلالي التطوري في البنية الدلالية من خلال نصوص عدة منتشرة في كتبه، كما أدرك التأثيرات اللغوية من الوجهة الصوتية والوجهة الدلالية، وذلك لأن اللغة عنده هي قدرة فعّالة ومنفعلة في الوقت نفسه.

وقد نبّه الجاحظ إلى حقيقة لسانية مهمة، وهي وجود بعض المترادفات المختلفة في البنية السطحية، والتي يظن المرء أنّ لها بنية عميقة واحدة، ولكن الواقع أنّ لهذه المترادفات ذات البنى السطحية الواحدة بنىً عميقة، فالمطر والغيث كلمتان مترادفتان في اللغة العربية، ولكن لكل منهما دلالة سطحية ثم دلالة عميقة، وإن تقارب معناهما من حيث الوجهة الترادفية. ويقول: «والناس لا يذكرون السغب، ويذكرون الجوع في حال القدرة والسلامة، وكذلك ذكر المطر، لأنك لا تجد القرآن يلفظ به إلا في موضع الانتقام، والعامة وأكثر الخاصة لا يفصلون بين ذكر المطر وبين ذكر الغيث».

فآراء الجاحظ في هذه الظاهرة اللغوية تتفق وآراء عالم اللسانيات (كوك) التي بثها في نظرياته الدلالية الحديثة كنظرية (القواعد الدلالية).

وأدرك الجاحظ مفهوم اللغة وعلاقتها بالفكر والواقع، فهو يرى أن للبيئة والواقع تأثيراً لغوياً قوياً على الحسّ والفكر، فابن الصحراء حين تلفظ بقربه كلمات مثل: النار والصيف والحرارة وما أشبه ذلك، فإن هذه الكلمات ستوحي له بحرارة الصحراء

المخيفة التي تكاد تذيب أي شيء لشدتها، فهو يرى في ذلك العذاب نفسه والشقاء عينه، وهذا يختلف عن ابن المناطق البادرة إذا سمع بكلمات البرد والشتاء والثلج وما أشبه ذلك سيوحي له بصور البرد القارس ومشاعر التشاؤم، فحين جاء (زرادشت) لأهل الجبال وعدهم بدار عقاب من الزّمهرير، وذلك للبيئة الجبلية، وتراكم الثلوج واستمرار سقوط البَرَد في أكثر فصول السنة، ولِقِصر أيام الصيف، فكان الناس يتخيلون في ألفاظ البرد والثلوج و الزمهرير، العذاب القاسي، يقول الجاحظ:

« إن زرادشت وهو صاحب المجوس جاء من بلخ وادّعى أنّ الوحي نزل عليه على جبال سيلان، وأنه حين دعا سكان تلك الناحية البادرة، الذين لا يعرفون إلا الأذى بالبرد، ولا يضربون المثل إلا به، حتى يقول الرجل لعبده: لئن عدت إلى هذا لأنزعَنّ ثيابك ولأقيمنك في الرّيح، ولأوقفنّك في الثلج، فلما رأى موضع البرد منهم هذا الموضع، جعل الوعيد بتضاعفه، وظنّ أن ذلك أزجر لهم عمّا يكره».

فالجاحظ في كلامه هذا يقترب من نظرية عالم اللسانيات (ودرف)، تلك النظرية التي تعتقد بأن الإنسان يقطع الواقع المحيط به إلى مستويات دلالية وشكليّة عدّة.

لقد أدرك الجاحظ بحسه اللغوي وعقله العلمي بعض المفاهيم اللسانية المعاصرة، وأصّل لعلم الدلالة، وفلسف معارف عصره ضمن الحدود الواقعية والفكرية لحركة التاريخ.

وجاء محاولات الرامي إلى التحليل الدلالي لبنية اللغة ونظرته إلى المعنى متسقة مع ما يسمى عند المحدثين بـ (سياق الحال) أو ما يدخل في إطار (نظرية المجال الدلالي) وراعى تحليله للموقف الكلامي العناصر المكونة لسياق الحال، ومنها شخصيتا المتكلم والسامع، وشخصيات من له علاقة بالسلوك اللغوي، والعوامل والظواهر الاجتماعية ذات العلاقة باللغة والسلوك اللغوي كمكان الكلام وأثر البيئة وحتى حالة الجو، أي أنّ فهم المعنى فهماً دقيقاً يتوقف على مجموعة من الحالات والملابسات التي تشكل الإطار العام للحدث اللغوي.

إن البحث في دلالة الألفاظ ومعرفة قوانين اللغات وسننها في قَرْن الألفاظ بمعانيها، وتبدلها وتطورها وأسباب ذلك، يعين على فهم اللغة فهماً عميقاً، كما أنه من جهة أخرى، يكشف عن مدى الارتباط بين اللغة وأصحابها بوجه عام، ويعين على تحديد مفاهيم عصر بعينه، وبذلك يستطيع ابن اللغة أن يتعرف إلى عقلية أسلافه و نفسياتهم، ومن الشواهد على ذلك لفظ الصديق في العربية وهو مشتق من الصدق، والعدوّ وهو مأخوذ من العدوان والظلم، ولفظ عقل مأخوذ من العقل بمعنى الربط و التقييد، ويدّل ذلك على أن في معنى العقل عند العرب مفهوماً خلقياً، بالإضافة إلى العنصر الفكري فهو يعقل عن المنكر أو الشر، ولفظ (الجار) والمجاورة مأخوذ من أجاره إذا رفع عنه الجور و هو الظلم،

صفحة من كتاب الحيوان

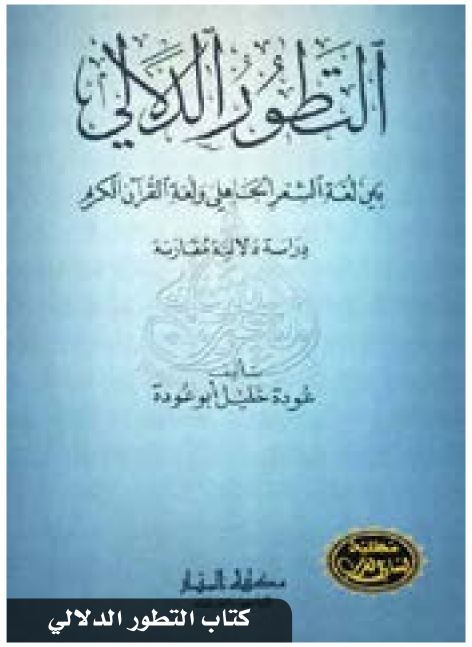

كتاب التطور الدلالي

ودخل في جواره أي في حمايته، فليس العنصر الأساسي في المجاورة المصاقبة في المسكن، وهي علاقة مادية، بل في علاقة معنوية خلقية هي الحماية ومنع الظلم، ولفظ الإنسان والناس مشتق من الأنس وهو ضد الوحشة؛ وبذلك يكون العرب قد جعلوا المميز الفاصل بين جنس الإنسان وغيره، أنه ألوف مستأنس أي اجتماعي.

وإن طريقة كل قوم في تسمية الأشياء تدل على نظرتهم إليها، وتكشف عن بيئتهم التي يعيشون فيها، أو عن عاداتهم التي ألفوها، كقول العرب: شفى الله غليله، والغليل العطش، وأقرّ الله عينه، والقُرّ البرد، وسقى الله عهده؛ وكلها تدل على التطلع إلى الماء والبرد، وذلك نعمة عند العرب يُسْعى إليها.

وبذلك أدرك علماء اللغة العرب الصلة بين اللفظ ومدلوله، وصلة اللغة بأصحابها، وكانت جهودهم الدلالية في هذا المضمار طريقاً إلى معرفة أسرار اللغة العربية وطرائقها الخاصة في تسمية الأشياء وتطور ألفاظها ومعانيها، ووسيلة لمعرفة عقلية الأمة العربية التي تتكلم بها وبيئتها وعاداتها ومراحل تفكيرها.

لقد كانت لبعض علمائنا المتقدّمين محاولات ناجحة وآراء سديدة في الكثير من قضايا اللغة. ولعلّ من أبرز المحاولات الناجحة في دراسة تطور دلالة الألفاظ تلك المحاولة العلمية الموفقة التي قام بها الشيخ أبو حاتم أحمد بن حمدان الرازي المتوفى سنة ٣٢٢ هـ، الذي ألف كتاب «الزينة في الكلمات الإسلامية العربية»، وينفرد هذا الكتاب بميزة خاصة من كتب الغريب و إن عالج غريب الألفاظ أحياناً، ذلك أنه أول كتاب من نوعه يعالج ما يسمّى عند الغربيين Semantique أي علم الألفاظ وتطور مدلولها، أو علم معاني الألفاظ، ولعلّ كتاب «الزينة» أول كتاب يتوفر على الدرس اللغوي الخالص الذي يمثل مرحلة نامية من التطور اللغوي، والابتكار في الموضوع، فهو يعالج مجموعة من الألفاظ العربية الفصيحة المعروف مدلولها قبلاً، بيد أنّ الإسلام غيّر مدلولها ذاك وأكسبها مدلولات جديدة،

وفي هذه الفكرة فَهْمٌ مبكر لطبيعة اللغة، وإدراك فطن لسنة التطور، ورصد لظاهرة لغوية مازالت تحظى باهتمام اللغويين وتشغل تفكيرهم إلى يومنا هذا.

ويستعين الرازي في فهمه للألفاظ بحروفها الأصلية ومادتها الاشتقاقية، ويفسر معانيها وما طرأ عليها من تطور دلالي بين الجاهلية والإسلام مستشهداً بالقرآن الكريم والحديث الشريف والشعر، وقد يفسر الكلمة أحياناً تفسيراً لغوياً لا نرى فيه أثراً لتغيير المعنى.

قال أبو حاتم: «إن الأسماء التي هي مشتقة من ألفاظ العرب ولم تعرف قبل ذلك مثل المسلم والمؤمن والمنافق والكافر لم تكن العرب تعرفها؛ لأن الإسلام والإيمان و النفاق و الكفر ظهر على عهد النبي ﷺ وإنما كانت العرب تعرف الكافر كافر النعمة، لا تعرفه من معنى الكفر بالله. قال الشاعر:

ولا تحسبنّي كافراً لك نعمة

وقال آخر:

والكفر مخبثة لنفس المُنْعِم

وكانت تعرف المؤمن من جهة الأمان. قال الشاعر:

المؤمن العائذات الطير يمسحها
ركبانُ مكة بين الغيل والسَّند

أمّا المنافق فإنه لا ذكر له في كلام العرب.

وقال: «فالإسلام هو اسم لم يكن قبل مبعث النبي ﷺ، وكذلك أسماء كثيرة مثل الأذان والصلاة والركوع والسجود، لم تعرفها العرب إلا على غير هذه الأصول ؛ لأنّ الأفعال التي كانت هذه الأسماء لها لم تكن فيهم و إنّما سنّها النبي ﷺ وعلمها الله إيّاه، فكانوا يعرفون الصلاة أنها الدعاء. قال الأعشى في صفة الخمر:

فإذا ذُبحت صلى عليها و زمزما

أي دعا لها. وعلى هذا كانت سائر الأسامي.

ويذكر الرازي كذلك بعض التراكيب الإسلامية التي لم تكن معروفة قبل الإسلام كقولهم: بسم الله الرحمن الرحيم، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وحسبنا الله ونعم الوكيل، والسّلام عليكم... و إنا لله و إنا إليه راجعون، وما شاء الله كان...

ثم يقول: «فهذه الكلمات كلها ظهرت في الإسلام على لسان محمد ﷺ بلسان عربي مبين، ولم تكن لسائر الأمم على هذا النظم العجيب، والاختصار الحسن، فلمّا وردت عليهم اضطروا إلى قبولها و تدوينها والإقرار بفضلها».

ولعلّ ممّا يميز كتاب الرازي أنّ المؤلف استقصى واستوعب ولم يقف فيه عند ألفاظ القرآن والحديث، وإنّما تجاوزها موسّعاً أفق دراسته حتى كانت له ثروة ضخمة من الألفاظ الإسلامية التي وضعها الفقهاء، واستعملها المسلمون.

وصفوة القول: إنّ اللغويين أدركوا عوامل التطور الدلالي والتطور الصوتي، ورصدوا مظاهر الثراء اللغوي في العربية، ووقفوا عند ظواهر لغوية تعد من صميم المباحث الدلالية كالترادف والاشتراك والتضاد، وكانت دراساتهم اللغوية وآراؤهم تمثل إدراكاً واضحاً لهذه المباحث الدلالية، فوضعوا في حسبانهم أن الأصل في مفهوم الدلالة ينصرف إلى دراسة المفردات وما طرأ عليها من تطور، كما أنهم لاحظوا أن لعلم الدلالة قضايا أخرى ينبغي أن تعالج في إطاره لتستكمل أبعاده وتستجلي خفاياه، فأضافوا إليه مفهوم (التأصيل اللغوي)، ولعلّ أهم جهودهم في هذا الميدان (المعاجم التأصيلية) وكتب (الفروق في اللغة) وكتب (المعرّب والدخيل).

وهكذا أصبح لعلم الدلالة عند اللغويين القدامى أركان ومقومات ومصطلحات، ونُظر إليه من زاوية خاصة تركز على الكلمة المفردة: معنى وتأصيلاً و اشتقاقاً، ومن زاوية عامة تتسع لتربط المعنى اللغوي بعلم المعجمات وصناعتها، وبالتراكيب وأساليب القول.

ونختتم هذا المبحث بقول عالم لساني معاصر: «**إن ما قاله العرب القدامى في حقل الدلاليات، يعدّ فكراً فلسفياً عميقاً لا بُدّ من الأخذ به في الفكر الدلالي المعاصر**».

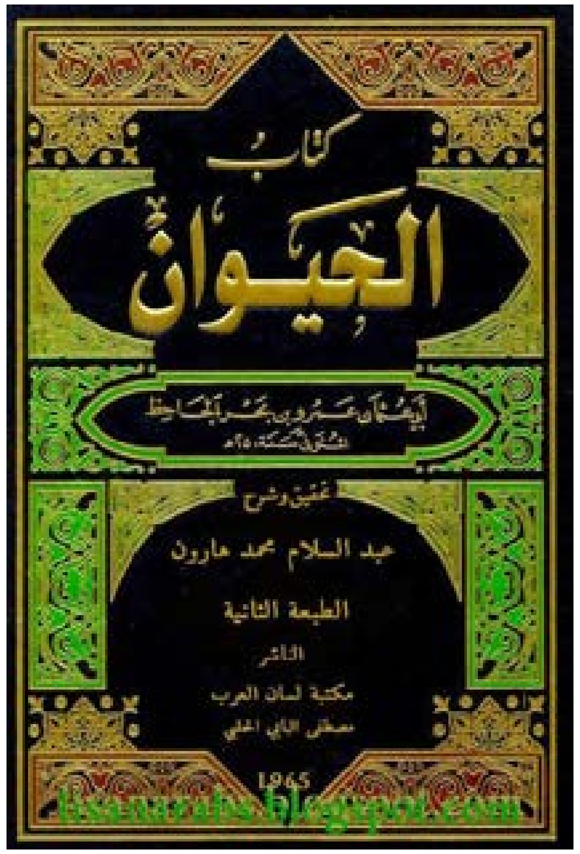

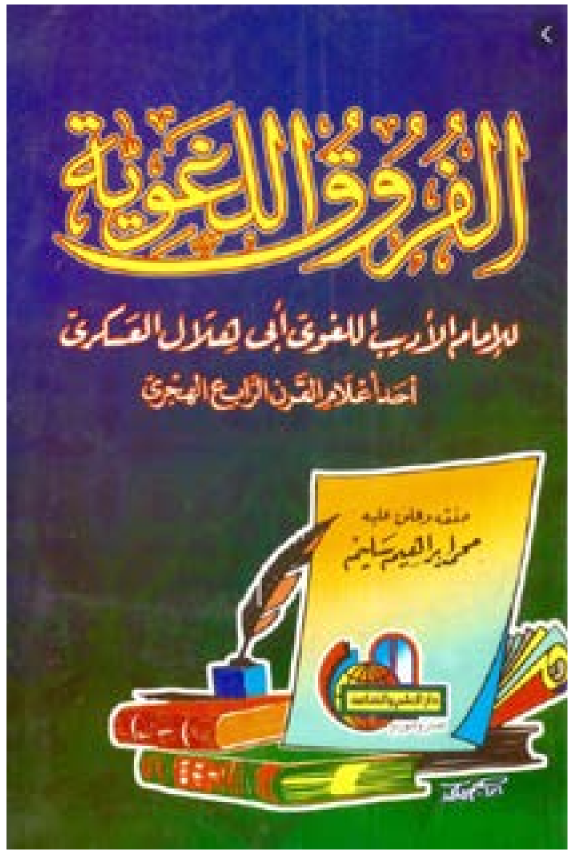

الطريق إلى اللغة العربية الفصحى للأطفال

د. فكري عبد المنعم النجار
أستاذ النحو والصرف جامعة الشارقة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

وبعد، فإن هذه المقالة ربما تجدف عكس التيار في بحر العولمة المضطرب الأمواج، الهائج الرياح؛ ذلك أن كثيرًا من الآباء والأمهات في الأُسَر العربية لا يروقهم أن يتعلم أولادهم (البنون والبنات) اللغة العربية، أو يدرسوا المقررات باللغة العربية في المدارس، ويدفعون بهم إلى المدارس الأجنبية منذ طفولتهم المبكرة؛ ظنًّا منهم أنهم يسايرون ركب العصر والحضارة، أو أن هذا الأمر يدل على رقي مستواهم الاجتماعي، وأنهم ليسوا بأقل شأنًا من زملائهم أو جيرانهم أو معارفهم الذين سلكوا هذا الطريق من قبل، ليس هذا فقط، بل إنهم يتحدثون معهم اللغة الأجنبية في البيت وخارجه، ويوجهونهم إلى الإعلام والفن الأجنبي؛ إرشادًا من مَدرَسَتهم، وحرصًا منهم على أن يتقن أبناؤهم هذه اللغة الأجنبية. ويا لَلْعجب!

إن جميع الأمم الأخرى تهتم بلغتها الأم كل الاهتمام، وتحرص على أن تكون اللغة الأم هي لغة البيت، والحياة العامة، والتعليم، والبحث العلمي، والإعلام بشتى أنواعه، والاقتصاد، والأحاديث السياسية، وغيرها. فأين موقع العربية من هذا كله؟! إنني لم أرَ كالعربية لغة يظلمها أهلوها، ويهضم حقَّها بنوها، فضلا عن كيد أعدائها لها، وتربصهم بها الدوائر. وإذا كان لا بد من تعلم لغة (أو لغات) أجنبية، فإني لا أعارض ذلك، بل أشجع عليه، ولكن ينبغي اللجوء إلى هذا الأمر بعد أن يتشرب طفلنا العربيّ اللغة العربية، وتسري في عروقه وشرايينه بعد مرحلة الطفولة المبكرة على الأقل. ونحن –بذلك– لا نعاند الوضع القائم حاليًا في المجتمعات العربية، بل نحاول الأخذ بيد هؤلاء وغيرهم ليولُّوا وجوههم شطر اللغة العربية؛ لئلا يكون لهم حُجة على أهل اللغة والمختصين فيها.

أهمية اللغة العربية في حياتنا:

إن للغة العربية أهمية كبرى في حياتنا؛ فهي رمز عزتنا، وسياج هُويتنا. إنها لغة شريفة لطيفة سامية المقام، تمتاز بخصوصية تعزُّ على كل اللغات بأن شرفها الله من بين اللغات جميعها لتكون لغة كتابه المقدس (القرآن الكريم) الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه؛ تنزيل من حكيم حميد. وقد تعهد الله –سبحانه وتعالى– بحفظها ورعايتها حين أكَّد حفظ كتابه، فقال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩].

ولهذا، فإن تعليم العربية واعتزازنا بها وإكسابها لأطفالنا أمر ضروري، يسمو بها إلى أن تصبح مَلَكَةً لُغوية طبيعية في أحاديثهم، ويُخرجها من ضيق الإهمال إلى سعة الاستعمال، ويجعلها تنساب على الألسنة غضة طرية، يستعذبها اللسان، وتأنس لها الآذان. كما أن هذا الأمر يجعل الأطفال يحبون اللغة العربية ويقبلون عليها: استماعًا، وتحدُّثًا، وقراءةً، وكتابة. فغياب الحُبِّ في علاقة الطفل باللغة يخلق بينهما اغترابًا، ويولد لديه استهانةً بها، ويقطع الصلة الوثيقة والأصيلة بينهما، على حين ينمِّي الحُبُّ شجرة الألفة والمحبة بين الطفل ولغته، ويقوي الاحتمال والمثابرة على تعلمها، وتحقيق الإنجازات في شتى المجالات من خلالها؛ فيتخلق لدينا الباحثون اللغويون، والإعلاميون، والأدباء، والشعراء، والكُتَّاب، وغيرهم من العلماء في شتى التخصصات.

واللغة العربية لغة بشرية متميزة متطورة، تنطبق عليها قوانين اللغات البشرية الأخرى التي نتعلمها ونعلمها، ونستخدمها في الاتصال والتواصل، ونقل الثقافات وثمار الحضارات. وقد تميزت اللغة العربية بكفاية تواصلية منقطعة النظير، وحملت فكرًا عميقًا، وثقافة سامية، وتراثًا عظيمًا ساق للبشرية الخير الكثير. وتؤدي اللغة عمومًا، ومنها العربية بالطبع، وظائف تواصلية متعددة في حياة الفرد والمجتمع؛ ذلك أنها وسيلة كل فرد للتعبير عن مشاعره وعواطفه وأفكاره ومطالبه وحاجاته وتجاربه وخبراته، وأنها –كذلك– أداة التعلم والتعليم، وذاكرة الإنسانية، وحافظة التراث. إنها –باختصار– الجسر الذي تعبر عليه أجيالنا الجديدة من الماضي إلى الحاضر، ومن الحاضر إلى المستقبل، فهي العروة الوثقى التي لا انفصام لها، ومن خلالها تقوى العلاقة بين أفراد المجتمع العربي خاصة، أو بين أفراد المجموعة البشرية عامة؛ فاللغة مؤسسة اجتماعية إنسانية، ولا يتم الاجتماع البشري والتواصل البشري بدون هذه اللغة.

أطفالنا والممارسة اللغوية:

أبدأُ بالسؤال الآتي: كيف نُرْضِع أبناءنا حب العربية؟ والإجابة تأتينا من سيرة رسولنا الكريم محمد ﷺ حين يقول عَلَيْهِ الصلاة السَّلام: «**أُوتيت جَوَامِع الْكَلِم. وأنا أَفْصح الْعَرَب بيد أنّي من قُرَيْش واسترضعت في بني سعد بن بكر**» وكانت قبيلة بني سعد من القبائل المشهورة في الفصاحة والبيان ونقاء السليقة قديمًا؛ لأنها بطن من بطون قبيلة هوازن

التي يُحتجُّ بكلامها، وعنها يؤخذ اللسان العربي، مع قبائل أُخَر، هي: (قيس، وتميم، وأسد، ثم هذيل، وبعض كنانة، وبعض الطائيين). وإرسال الأولاد إلى الجهات المشهورة بالفصاحة والعلم معمولٌ به منذ القديم حتى يوم الناس هذا، مع أخذ التطور العصري والمصطلحي في الاعتبار. والخلفاء والأمراء كانوا يعنَون بتنشئة أولادهم في البادية؛ كي يشبوا على الفصاحة، تأسيًا بتنشئة رسول الله ﷺ. والعرب في عصرنا الحديث –مثلا– يرسلون أولادهم إلى بريطانيا لإتقان اللغة الإنجليزية، أو يبعثونهم إليها للحصول على الشهادات العليا.

وهذه الفقرة ترينا كيف تسهم البيئة السماعية السليمة في إتقان اللغة، وتعلُّمها بالفطرة والممارسة، أو ما يسمى بـ (الانغماس اللغوي)، كما نتعلم منها أن الطفل يتقن اللغة التي يسمعها من محيطه الذي يعيش فيه، لا من كتب النحو والبلاغة والأدب. وقد شب أطفال العرب في العصر الجاهلي –مثلا–، وأصبحوا رجالا كبارًا وشعراء مشهورين، وخطباء مفوهين، وأصبحت لغتهم مصدر التقعيد لتعليم اللغة العربية فيما بعد، كل هذا دون أن يذهبوا إلى المدرسة أو الجامعة، أو غير ذلك من أماكن التعلم. وقد كانت الكتابة نادرة لصعوبة توفر أدواتها، ولم يكن لديهم –حينئذ– إلا الأذن التي تسمع، والعقل الذي يعي ويفهم ويحفظ، وتخرَّج من مدرسة (الأُذن، والعقل) الرواة الذين نقلوا إلينا الثقافة العربية مشافهة في العصر الجاهلي، والعصر الإسلامي، إلى أن انتشر التدوين في العصر الأموي.

ظلت اللغة العربية لغة العلم والمعرفة زمنًا طويلا، وأنتجت لنا حضارة عريقة استمرت خمسة قرون، وصدَّرت العلم والنور إلى العالم كله، وخاصة أوروبا التي تلقفت علم العرب والمسلمين، وطورته، وبدلت وغيرت، وتطورت، وحدث الانقلاب الحضاري أو الضياع الحضاري للعرب على حد تعبير الدكتور جمال حمدان رحمه الله، وتغيرت الأحوال العلمية والثقافية والسياسية والاقتصادية في بلاد

العرب والمسلمين، وانتصر الغرب على العرب بالعلم، واستُعمرت البلاد العربية، وتقسَّمت، وبدأ الغازي ينشر لغته، ويُبعِد اللغة العربية، فساء حالها، وانتشرت اللهجات المحلية، وأصبح مَن في الشرق العربي ربما لا يفهمون مَن في غربه، والجميع يزعمون أنهم يتحدثون اللغة العربية. وقد أثر كل هذا على التعليم عمومًا، وتعليم اللغة العربية خصوصًا، وأخذ الاستعمار ينفث سمومه، بالتهوين من شأن العربية، وتحقير معلميها، والدعوة إلى العامية ونبذ الفصحى، وغير ذلك. وتخرجت أجيال تعاني الضعف العام في العربية تحدثًا وقراءة وكتابة. ثم أحس القائمون على التربية في العالم العربي بهذا الأمر الخطير، وعُقِدَت المؤتمرات لمناقشة هذا الأمر، وبدأت تظهر الحلول، وكان من بينها دعوة د.عبد الله الدنان إلى تعليم اللغة العربية الفصحى للأطفال العرب بالفطرة والممارسة في مرحلة رياض الأطفال وفي مرحلة التعليم الأساسي (المرحلة الابتدائية)، وهما المرحلتان اللتان تكون فيهما قدرة الأطفال الفطرية أكثر نشاطا في اكتساب اللغة؛ وذلك باعتماد اللغة العربية الفصحى لغة وحيدة للتواصل الشفهي في المدرسة طَوال اليوم المدرسي داخل الصف وخارجه. وأرى أن تمتد الدعوة إلى التحدث بالفصحى والكتابة بها إلى قطاعات أُخرى في المجتمع، كالإعلام بوسائله، والفن بأنواعه، وخاصة الرسوم المتحركة، والأغاني، وإذاعة مباريات كرة القدم؛ لتتكون لأطفالنا البيئة السماعية المناسبة والطبيعية للغة الفصحى، فلا يشعر الجميع بالغرابة أو الخجل. وبالهمة والعزيمة وعدم الانقياد للهزيمة النفسية يتحقق لنا المراد، ونتواصل بالفصحى على أكمل وجه.

وإذا تساءلتُ: أين تكمن بالضبط أزمتنا مع اللغة العربية الفصحى؟ هل تكمن في الطالب، أو في المعلم أو في الأسرة، أو في المجتمع، أو في ذلك كله؟ أقول: المنظومة كلها مسؤولة عن أزمة اللغة العربية: الطالب (دافعيته لتعلم اللغة ضعيفة، وليس لديه

التوجيه السليم)، والمعلم (يعاني من عدم جودة التكوين اللغوي والتربوي، وكثرة أعداد الطلبة، وضغوط الإدارة والأنشطة)، والأسرة (تفككت بسبب ما يطلق عليه «وسائل التواصل الاجتماعي»، وانشغل الوالدان عن رعاية الأطفال بالعمل وغيره)، والمجتمع (يتحدث العامية، على حين يتم التعليم في المدرسة بالفصحى، فماذا يتعلم الأطفال والطلبة؟)، والنظم التربوية (تنادي بعدم الحفظ مثلا، مع أن الحفظ يخدم اللغة العربية، ويُسهم في تكوين الملَكة اللغوية)، والإعلام (لا يجد فيه الطلبة البيئة المثلى لتحقق السماع اللغوي السليم، ومعروف أن السماع أبو الملَكَات اللُّغوية). والحل لدى كل هؤلاء. بالإضافة إلى القرارات السياسية الملزمة للتعامل بالفصحى في كل قطاعات الحياة. والحكمة تقول: «إن الله ليزع [يدفع] بالسلطان ما لا يزعه بالقرآن».

ماذا نفعل لإحياء اللغة العربية الفصحى على ألسِنة أطفالنا؟

هذا تساؤل مهم، وأقترح للإجابة عنه –باختصار– ما يأتي:

١-اهتمام الأسرة والمدرسة بالحفظ: فينبغي توجيه أولادنا منذ الصغر إلى حفظ القرآن الكريم، والأحاديث النبوية، والشعر العربي، ولا مانع من حفظ مقطوعات من كلام كبار الأدباء، كالرافعي، والمنفلوطي، وغيرهما. ويكون ذلك على مراحل العمر بالتدريج. والحكمة تقول: احفظ تقل؛ فإنما الكلام من الكلام. وحصول الملَكة اللغوية يكون بكثرة الحفظ كما يقرر ابن خلدون. وهذه الملكة كامنة في كل إنسان طبيعي، ولا يثيرها إلا الحفظ وكثرة الترداد.

٢-زيادة الوعي بأهمية اللغة العربية: فهي سياج هُويَّتنا، ورمز عزتنا، وحافظة تاريخنا وتراثنا، وأن الإنسان بغير لغته الأم يصبح ريشةً في مهب الريح.

٣-الإقبال على التحدث بالفصحى، وعدم التهوين من شأنها: وهذا التهوين يجعلنا نشعر بالهزيمة النفسية، ولا بد من مقاومة تلك الهزيمة التي أفقدت كثيرًا من الناس ثقتهم في أنفسهم، ومن

ثَمَّ أفقدتهم ثقتهم في كل ما هو عربي، وانجرفوا مع التيار نحو تقليد الأجانب في كل شيء!

٤-العربية أمانة نتحملها جميعًا: كلٌّ في عمله. ولا يجب إلقاء المسؤولية على المختصين في اللغة العربية وحدهم، وإنما هم ينظمون ويأخذون بأيدي الآخرين. فمعلم اللغة العربية في المدرسة مثلا عليه أن يوجه إخوانه المعلمين الآخرين في التخصصات المختلفة، ويساعدهم في النطق والكتابة والتدقيق اللغوي.

٥-إحياء دور المجامع اللغوية: وتفعيل الأهداف التي أنشئت من أجلها. **(ولصاحب السمو حاكم الشارقة الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي -حفظه الله- دور بارز في هذا المجال على المستوى المحلي، والإقليمي، والعالمي، وأدعو الله له بالتوفيق، وأن يجعل ذلك في ميزان حسناته).**

٦-إنتاج أو ترجمة مسلسلات الرسوم المتحركة بالعربية الفصحى: ويمكن أن يأتي بنتائج إيجابية، وهذه من الوسائل التي تربي المَلَكة اللغوية عند الأطفال، وتعودهم على النطق بالفصحى. ولكن ينبغي متابعة المضمون والحركات التصويرية؛ ليتوافق ذلك مع ثقافتنا وعاداتنا العربية الإسلامية. فكثير منها يقوم على العنف والضرب والرعب والتدمير، وهذا الأمر يأتي بنتائج عكسية في سلوك أولادنا.

٧-فرض اللغة العربية على طلبة جميع الكليات في البلاد العربية: وهذا الأمر من شأنه أن ينمي محصولهم اللغوي الذي تعلموه في صغرهم، وسينعكس إيجابًا على إنتاجهم الأدبي في هذه المرحلة العمْرية المهمة، بالإضافة إلى قدرتهم اللغوية في التواصل مع الأطفال وغيرهم، فلا يشعر الطفل بغرابة تواصله بالفصحى؛ إذ سيجد معظم أفراد المجتمع يتواصلون فيما بينهم بالطريقة نفسها، والأسلوب ذاته.

٨-الاهتمام بأدب الأطفال في العالم العربي: فهذا الأدب أداة تثقيفية مهمة، ويكون ذلك من خلال اختيار نصوص (شعرية ونثرية) شائقة وجذابة وراقية في المقررات الدراسية في مراحل التعليم المختلفة. وهذه النصوص الأدبية تعمل على صقل الملكة اللغوية للأطفال، وإغناء قاموسهم اللغوي، وتنمية خيالهم، ودفعهم إلى الإبداع والابتكار، وإثراء قدراتهم على التواصل بالفصحى مع المجتمع الذي يعيشون فيه، بالإضافة إلى تهذيب طبائعهم وعواطفهم وسلوكهم واتجاهاتهم.

٩-القرار السياسي: فالنهوض باللغة العربية، ومحاولة إحيائها لا يكون بالأماني، ولا بالخطب الرنانة، وإنما يكون بقرار سياسيّ: يُصْدَر، ويُنَفَّذ، ويُتَابَع.

١٠-استعادة الدور الحضاري: وهنا أشير إلى أن العِلْم تحدث باللغة العربية مدة خمسة قرون إبان العصر الذهبي للحضارة الإسلامية (١٣٢هـ –٦٥٦هـ). وبإحياء اللغة العربية نستطيع استئناف حضارتنا العربية الإسلامية. واللغة العربية جديرة بأن تتسع لكل العلوم والمعارف، ولا عيب فيها إطلاقًا، ولله درّه شاعر النيل حافظ إبراهيم حين قال على لسان العربية:

وَسِعْتُ كِتَابَ اللهِ لَفْظًا وَغَايَةً
وَمَا ضِقْتُ عَنْ آيٍ بِهِ وَعِظَاتِ
فَكَيْفَ أَضِيقُ اليومَ عَنْ وَصْفِ آلَةٍ
وَتَنْسِيقِ أَسْمَاءٍ لِمُخْتَرَعَاتِ

وقفة مع كتاب

دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني

(تقديم مضموني)

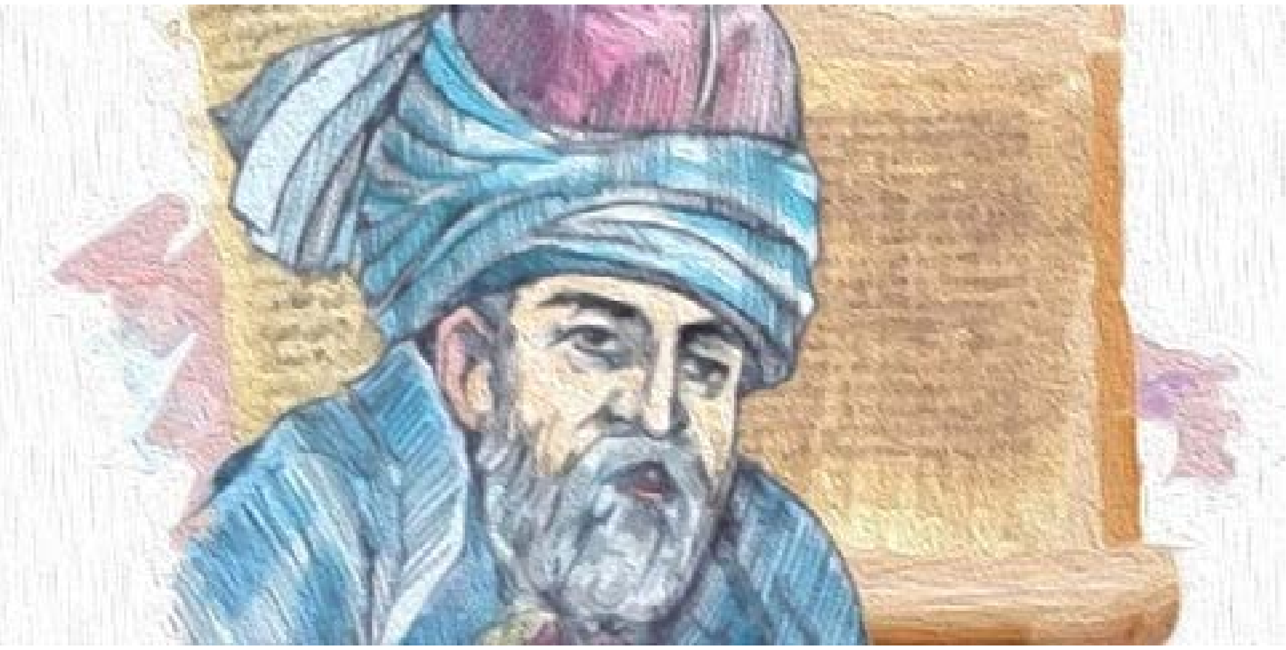

إنه من نافلة القول التنويه بمكانة كتاب دلائل الإعجاز بين مصادر اللغة العربية، وإبراز مستوى مؤلفه الفرد بين نظراء اللغة ونقادها؛ فلا يكاد يخلو أي بحث جاد يبغي التقصي والاستيفاء والبناء العلمي حول إشكالات النص العربي وتصميم نظرياته من اعتماد بدرجة ما للب هذا الكتاب أو بعض ما فاح به، هب مثلا ما عرف في النقد الحديث بمصطلح «الشعرية»، وما نظر له لسانيًا بـ«التداولية» وغيرهما. كل منهما يجد هويته التاريخية وانطلاقه الحقيقي عربيًا بالعودة إلى دلائل الإعجاز، هذا فضلا عما حواه الكتاب من مباحث لغوية وبلاغية وأدبية، وقضايا نقدية تمثل محطات بارزة في النقد العربي عبر مسيرته، وكل قراءة له تتجدد معها المعرفة ويسهل معها مسلك اللغة «العصماء» لغتنا العربية ذات الحقول المختلفة، والزهور الوافرة، والظلال الوارفة، لتعم فائدة الاستفادة والإفادة. لذلك أحببنا أن نقدم الكتاب تقديمًا قفزنا فيه على الشكل لنعانق المضمون عسانا بالفعلة تلك أن نقدم ما يهم دون ملل ولا سأم بالقوالب الشكلية، وإن كان لنا أن نذكر من ذلك شيئا فنقصره على إعلام القارئ باعتمادنا نسخة الكتاب التي حققها أبو فهر محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط٥، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٤م.

د. محمد الحافظ أحمد بديدي
باحث أكاديمي

التقديم المضموني للكتاب:

سنتناول مضمون الكتاب اعتمادًا على محورين هما: أهم القضايا النقدية في الكتاب، وكيف تجسدت تلك القضايا من خلال تحليل فقرة عاكسة دالة عليها.

أولاً: أهم القضايا النقدية في الكتاب:

إذا ما تجاوزنا بعض المواضيع التي تحدث عنها عبد القاهر بدءًا كحديثه عن العلم وفضله، وعن الشعر وأهميته، وعن النحو وضرورته، فإن مما لا شك فيه أن أبرز قضية دار حولها الحديث، وسيق أغلب أبواب الكتاب للتدليل عليها قضية «النظم» وما سواها نتف، وإشارات في ثنايا الكتاب؛ لذلك سيكون الكلام عنها، والقراءة من نصيبها وحدها.

نظرية النظم: ونتطرق لها انطلاقا من ثلاث نقاط هي: تعريف النظم، علاقته بإشكالية اللفظ والمعنى، مقوماته الأساسية.

١- تعريف النظم: ذكر عبد القاهر لمامًا تعريفات للنظم منها: أنه «صنعة يستعان عليها بالفكرة» مما يبرز علاقته بالفكر _ الذي هو المعاني _ أكثر من اعتماده على اللفظ. كما عرفه كذلك انطلاقا من النحو على أنه: توخي أحكام النحو، يقول: «**اعلم أن ليس «النظم» إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه «علم النحو»، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك، فلا تخل بشيء منها**»

٢- علاقته بإشكالية اللفظ والمعنى: لا تقوم المزية البلاغية عند عبد القاهر ولا تتأتى إلا بملاءمة اللفظ للمعنى؛ وتلك سمة النظم الأساسية، وحتى أن جميع الأوصاف التي يوصف بها اللفظ عند المنتصرين له استقباحا أو استحسانا إنما كانت قائمة على حسن الاتفاق بين اللفظ والمعنى يقول:

«وهل تجد أحدا يقول: «هذه اللفظة فصيحة»، إلا وهو يعتبر مكانها من النظم، وحسن ملاءمة معناها لمعاني جاراتها، وفضل مؤانستها لأخواتها؟ وهل قالوا: «لفظة متمكنة، ومقبولة»،

وفي خلافه: «قلقة، ونابية، ومستكرهة»، إلا وغرضهم أن يعبروا بالتمكن عن حسن الاتفاق بين هذه وتلك من جهة معناهما، وبالقلق والنبوّ عن سوء التلاؤم، وأن الأولى لم تلق بالثانية في معناها، وأن السابقة لم تصلح أن تكون لِفقًا للتالية في مؤداها؟»، ويضرب لذلك كثيرا من الأمثلة.

وتتضح أهمية المعنى عنده على أنه المطلب وليس اللفظ كذلك؛ فالمعاني هي التي يُسعى للظفر بها، وإنما الألفاظ تابعة لها، وبتحصيل المعاني تكون الألفاظ، ولأن افتراقهما محال يقول: «وكيف يُتَصور أن يصعب مرام اللفظ بسبب المعنى، وأنت إن أردت الحق لا تطلب اللفظ بحال، وإنما تطلب المعنى، وإذا ظفرت بالمعنى، فاللفظ معك وإزاء ناظرك؟ وإنما كان تصور أن يصعب مرام اللفظ من أجل المعنى، أن لو كنت إذا طلبت المعنى فحصلته احتجت إلى أن تطلب اللفظ على حدة. وذلك محال».

وبعد حديث مطول عن اللفظ والمعنى والتأكيد على مركزية

الأخير، وعلاقة ذلك بمقتضى الحال، وخفايا النفس، وأن كل ذلك لا يدرك إلا بالمعرفة والتعقل، يتوجه إلى مقومات النظم أو ما سماه بالجهات التي تعرض منها المزية.

٣- مقومات النظم: يقول ـ مشيرًا إلى ما ألمحت له في الأسطر الأخيرة ومتوجها إلى الحديث عن النقطة المحور ـ : «قد فرغنا الآن من الكلام على جنس المزية وأنها من حيز المعاني دون الألفاظ، وأنها ليست لك حيث تسمع بأذنك، بل حيث تنظر بقلبك، وتستعين بفكرك، وتعمل رويتك، وتراجع عقلك، وتستنجد في الجملة فهمك، وبلغ القول في ذلك أقصاه، وانتهى إلى مداه. وينبغي أن نأخذ الآن في تفصيل أمر المزية، وبيان الجهات التي منها تعرض...»

ومن جملة ما تعرض له في معرض حديثه عن ذلك: الكناية، والمجاز بنوعيه: الاستعارة والتمثيل، ليأتي بعدُ إلى النحو وارتكاز النظم عليه.

أما الكناية والمجاز: فلأن الجميع أجمع على «أن الكناية» أبلغ من الإفصاح، والتعريض أوقع من التصريح، وأن للاستعارة مزية وفضلاً، وأن المجاز أبدا أبلغ من الحقيقة»، وذلك يعود إلى أسباب هي: أن «إثبات الصفة بذكر مدلولها آكد وأبلغ في الدعوى من دلالتها العادية. أما الاستعارة: » فسبب ما ترى لها من المزية والفخامة « أنك إذا قلت مثلا رأيت أسدا؛ فكأنما جعلت صفة الشجاعة له ثابتة وحاصلة، عكس قولك رأيت رجلا كالأسد. وحكم التمثيل كحكم الاستعارة فإذا قلت: أراك تقدم رجلاً وتؤخر أخرى، فقد أوجبت له الصفة التي يقطع معها بتحيره وبتردده فهو أبلغ من قولك: قد جعلت تتردد في أمرك كمن يقول أخرج أو لا أخرج، فيقدم رجلًا ويؤخر أخرى.

ولا يفوت عبد القاهر في هذا الصدد أن يؤكد أن لا عناية له في الفصاحة والبلاغة بمعاني الكلم المفردة وإنما عنايته »بالأحكام التي تحدث بالتأليف والتركيب».

أما النحو فهو أكثر توجيها للنظم من سوابقه؛ فَرَبطَ صحته بتوخي أحكامه، وفساده بالخروج عليها، فضلاً عن حد النظم الذي انطلق فيه من النحو، ويتضح هذا بالقول الآتي:

«اعلم أن ليس «النظم» إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه «علم النحو»، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك، فلا تخل بشيء منها».

وذلك أنا لا نعلم شيئًا يبتغيه الناظم بنظمه غير أن ينظر في وجوه كل باب وفروقه، فينظر في «الخبر» إلى الوجوه التي تراها في قولك: «زيد منطلق» و«زيد ينطلق»، و «ينطلق زيد»...«وكذلك في الشرط والجزاء، وفي الحال، ثم النظر إلى الحروف، وكذلك الجمل وموضع الوصل فيها والفصل، ثم التعريف والتنكير، والتقديم والتأخير، وفي الحذف والتكرار، والإضمار والإظهار، «فيصيب بكل من ذلك مكانه، ويستعمله على الصحة وعلى ما ينبغي له»»، ويورد على ضوء هذا أمثلة على فساد النظم وحسنه.

ـ فمن الأمثلة على فساد النظم قول الفرزدق:

وما مثله في الناس إلا مملكا
أبو أمه حيٌّ أبوه يُقاربُه

وقول المتنبي:

ولذا اسم أغطية العيون جفونُها
من أنها عمل السيوف عوامل

فساد النظم في هذين المثالين يُرجعه إلى عدم توخي الشاعر أحكام النحو؛ «إن الفساد والخلل كانا من أن تعاطى الشاعر ما تعاطاه من هذا الشأن على غير الصواب، وصنع في تقديم أو تأخير، أو حذف وإضمار، أو غير ذلك مما ليس له أن يصنعه، وما لا يسوغ ولا يصح على أصول هذا العلم. وإذا ثبت أن سبب فساد النظم واختلاله، وأن لا يعمل بقوانين هذا الشأن، ثبت أن سبب صحته أن يعمل عليها ثم إذا ثبت أن مستنبَط صحته وفساده من هذا العلم، ثبت أن الحكم كذلك في مزيته والفضيلة التي تعرض فيه، وإذا ثبت جميع ذلك، ثبت أن ليس هو شيئا غير توخي معاني هذا العلم وأحكامه فيما بين الكلم».

ومن أمثلته على حسن النظم: قول البحتري:

بَلَوْنا ضرائبَ مَنْ قَدْ نَرى
فما إنْ رأينا لِفَتْحٍ ضَريبا
هو المرءُ أبدتْ له الحادثا
تُ عزمًا وشيكًا ورأيًا صليبا
تَنَقَّلَ في خُلُقَيْ سُؤددٍ
سماحًا مُرجّى وبأسا مهيبا
فكالسَّيف إن جئته صارخا
وكالبحر إن جئته مُستثيبا

يعلق عليها قائلاً: «فإذا رأيتها قد راقتك وكثرت عندك، ووجدت لها اهتزازا في نفسك، فَعُد فانظر في السبب واستَقْصِ في النظر، فإنك تعلم ضرورة أن ليس إلا أنه قدّم وأخّر، وعرّف ونكّر، وحذف وأضمر، وأعاد وكرّر، وتوخّى على الجملة وجهًا من الوجوه التي يقتضيها «علم النحو»، فأصاب في ذلك كله، ثم لَطُف موضع صوابه، وأتى مأتى يوجب الفضيلة.

أفلا ترى أن أول شيء يروقك منها قوله: «هو المرء أبدت له الحادثات» ثم قوله: « تَنَقَّلَ في خُلُقَيْ سُؤددِ» بتنكير «السؤدد» وإضافة «الخلقين» إليه ثم قوله: «فكالسيف» وعطفه بالفاء مع حذفه المبتدأ، لأن المعنى لا محالة: فهو كالسيف ثم تكريره «الكاف» في قوله: «وكالبحر» ثم أَنْ قَرَن إلى كل واحد من التشبيهين شرطًا جوابه فيه ثم أن أخرج من كل واحد من الشرطين حالًا على مثال ما أخرج من الآخر، وذلك قوله «صارخًا» هناك «ومستثيبًا» ههنا؟ لا ترى حسنا تنسبه إلى النظم ليس سببه ما عددت، أو ما هو في حكم ما عددت، فاعرف ذلك».

ـ ويمكن أن تضاف قضايا نقدية أخرى إلى النظم وإن لم تكن مركزية مثل موضوع السرقات الذي تطرق له في أماكن من الكتاب منها حديثه عن الاحتذاء، الذي عرفه قائلا: «واعلم أن «الاحتذاء» عند الشعراء وأهل العلم بالشعر وتقديره وتمييزه، أن يبتدئ الشاعر في معنى له وغرض أسلوبا و «الأسلوب» الضرب من النظم والطريقة فيه فيعمد شاعر آخر إلى ذلك «الأسلوب»... مثل قول الفرزدق:

أترجو ربيع أن تجيء صغارها
بخير، وقد أعيا ربيعا كبارها

واحتذاه البعيث فقال:

أترجو كليب أن يجيء حديثها
بخير، وقد أعيا كليبا قديمها

وكذلك مسألة الذوق: «واعلم أنه لا يصادف القول في هذا الباب موقعا من السامع، ولا يجد لديه قبولا، حتى يكون من أهل الذوق والمعرفة، وحتى يكون ممن تحدثه نفسه بأنَّ لما يومئ إليه من الحسن واللطف أصلا، وحتى يختلف الحال عليه عند تأمل الكلام، فيجد الأريحية تارة، ويعرى منها أخرى، وحتى إذا عجَّبته عجِب، وإذا نبهته لموضع المزية انتبه...»

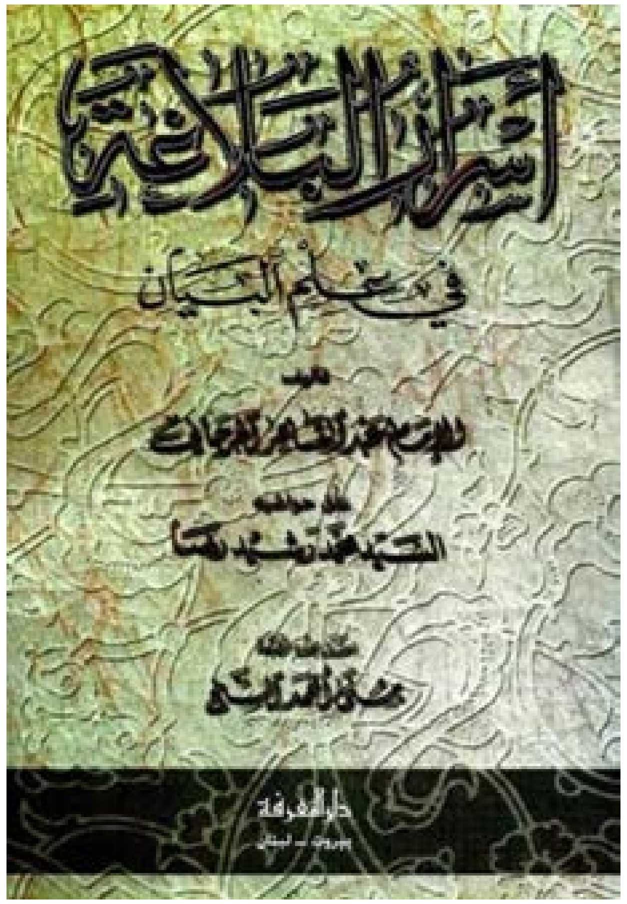

ثانياً- تحليل فقرة من الكتاب:

أ- النص:

يقول: «واعلم أن من سبيلك أن تعتمد هذا الفصل حدا، وتجعل النكت التي ذكرتها فيه على ذكر منك أبدا، فإنها عُمُدٌ وأصول في هذا الباب، إذا أنت مكنتها في نفسك، وجدت الشُّبَهَ تنزاح عنك، والشكوك تنتفي عن قلبك، ولا سيما ما ذكرت من أنه لا يتصور أن تعرف للفظ موضعا، من غير أن تعرف معناه، ولا أن تتوخى في الألفاظ من حيث هي ألفاظ ترتيبا ونظما، وأنك تتوخى الترتيب في المعاني وتعمل الفكر هناك، فإذا تم لك ذلك أتبعتها الألفاظ وقفوت بها آثارها، وأنك إذا فرغت من ترتيب المعاني في نفسك، لم تحتج إلى أن تستأنف فكرا في ترتيب الألفاظ، بل تجدها تترتب لك بحكم أنها خدم للمعاني، وتابعة لها، ولاحقة بها، وأن العلم بمواقع المعاني في النفس، علم بمواقع الألفاظ الدالة عليها في النطق».

ب- التحليل:

ينوه عبد القاهر في هذا النص بما قدّمه من حد لقضية النظم، ويُميل إليه المخاطب الباغي لحسم إشكالية اللفظ والمعنى؛ فإن هو فهم ذلك وأخذ به ابتعدت عنه شكوك المعتزلة وانزاحت عنه شُبَهُهُمْ، وذلك إيماء خفيٌّ إلى اعتمادهم اللفظ مدار الفصاحة والبلاغة أو المعجزة اللغوية أو ما يسميه الجرجاني بالمزية، فلا مزية لدى عبد القاهر في اللفظ من غير معرفة معناه، كما أن النظم ليس هو النظر إلى ترتيب الألفاظ بمجرد أنها ألفاظ دون الأخذ بمقتضى أبعاد النظم الأخرى من تلاؤم بين المعنى، والطريقة والسياق، أو الحال.

فالمعاني ابتغاءً سابق على طلب الألفاظ، والظفر بها ظفر بالألفاظ، وعملية إبداع المعاني مكانها النفس أولا، وبعد استوائها نفسيا لا تكون الألفاظ مستعصية؛ فهي تترتب على إثر ترتب المعاني، لأنها «خدم لها وتابعة لها» لينتهي النص إلى تقرير «أن العلم بمواقع المعاني في النفس علم بمواقع الألفاظ الدالة عليها في النطق»

_ فعبد القاهر في هذا النص يثبت تفوق المعنى في البناء البلاغي على اللفظ بمجرد أنه لفظ. لا بكونه داخل صياغة تُنبئ عن معاني النفس وتتلاءم ألفاظها تلو الأخرى في صياغة متناسقة منسجمة لها سمة تتعالى عن مستوى التخاطب العادي في الوضع اللغوي: تلك السمة أو الخاصة هي ما يطلق عليه المزية والتي بها النظم القرآني أعجز غيره من التعابير، لا بلفظه فقط، ولا بمعناه فحسب، وإنما باجتماعهما في النظم الذي هو البناء المتكامل لتلك الأبعاد كلها.

_ وفي سبيل إثبات تصوره ذلك وترسيخه وظّف في النص العديد من أدوات التأكيد والحجاج: من مثل عبارة «واعلم» التي بها بدأ النص وهي فعل أمر للمخاطب، واقتضاؤها أنه أقل معرفة بالملقى إليه من الملقي، ثم افتراض مقدمات تستوجب صحة النتائج المترتبة عليها، وذلك باستخدام الشرط وجوابه «فإذا تم لك ذلك...» فضلاً عن الأداتين الدالتين على التأكيد بجلاء هما: «بل» و«لكن» وبهما ختم النص.

فالنص تمحور حول ثلاث قضايا هي اللفظ والمعنى، والنظم: والأخيرة هي كانت موضع اهتمام عبد القاهر في الكتاب كله.

خاتمة:

إن كتاب دلائل الإعجاز يشكل محطة من محطات النقد البارزة في مسيرة علوم اللغة العربية: نحوا وبلاغة وأدبا؛ لما اضطلع به من قضايا نقدية حاسمة تروم تجاوز ما كان شائكا قبلها، وتؤسس مرحلة جديدة من الاستيعاب لمن جاء بعدها، كنظرية النظم التي ردمت هوة الجدل بين إشكالية اللفظ والمعنى، والتي توقفنا مع تعريفها، ومجالها، وأهم الجهات التي توجهها، وكقضية السرقات، والذوق الفني. فضلا عن تجليات ذلك كله في متن الكتاب من خلال فقرة تحليلية كان بها الختام.

معجم تاريخي له في القلوب منازلُ

أقولُ وقلْبي مُستَهامٌ ومُشفِقُ ... ودَمْعُ عيوني بالجوى يترقرَقُ
ألا أيُّها القاموسُ هلْ من زيارةٍ ... تمُنُّ بها بعدَ البِعادِ وتُشفِقُ
ألا أيُّها القاموسُ طالَ غيابُكم ... لَكُمْ في قلوب القارئين تَشَوُّقُ
هَجَرْتُمْ ديارَ العُرْبِ هَجْرًا مُطوّلا ... عُقودًا من التّنظير والأَمْرُ مُقلقُ
وهامَ بكم عُشّاقُ عِلمٍ وحكمةٍ ... وكُلُّ مُحِبٍّ في هواكُمْ مُعَلّقُ
تغنّى بكُم مُستعرِبون وأطرقوا ... وفيشَرُ وَلّى وَهْوَ مُضْنًى ومُطرِقُ
أيا مُعْجَمَ التّاريخ أهلا ومَرْحَبًا ... وَعَوْدُكَ ميمونٌ ووَجهُكَ مُشرِقُ
لئنْ فَرَّقتنا أَيْدُ مَكْرٍ خَفِيَّةٌ ... فإنَّ دِماءَ العُرْبِ لا تتفرّقُ
ويا أيُّها القاري المُحِبُّ لضاده ... هنيئا فأَشجارُ العُروبة تُورِقُ
بقاموسِ تاريخٍ عريقٍ مُبَجَّلٍ ... أحاديثُهُ صِدْقٌ وَقَوْلُهُ أَوْثَقُ
ويا أهلَ إبداعٍ وفِكرٍ ومنطِقٍ ... هنيئا بقاموسٍ أريجُهُ يَعبقُ
لقد أنعَمَ الباري علينا بحاكمٍ ... على مُعْجم التاريخ يسخو ويُغدقُ
هواهُ لُغَةُ الأجدادِ يشدو بِفَضْلها ... حريصٌ على القرآنِ يتلو وينطِقُ
لئنْ طالَ في الأوطانِ أَمرُ صُدورِكم ... فشارقةُ العِرْفانِ منها سَتُشرقُ

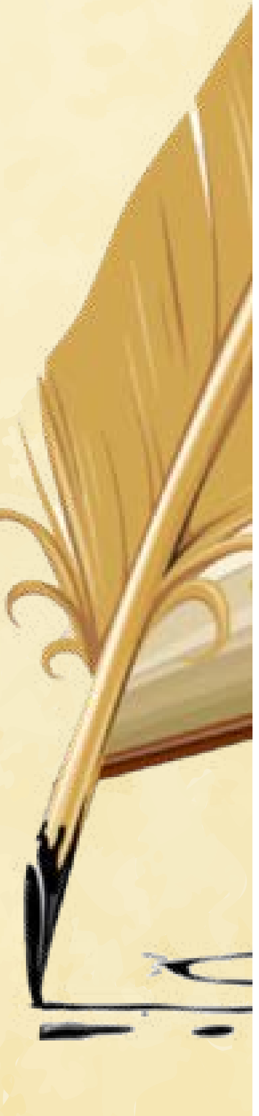

د. امحمد صافي المستغانمي

قصـــتي مـــع مخـطــوط

أ.د. عواد الخلف - عميد كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - بجامعة الشارقة

إنـه مخطوط كتاب مُعطّر بنفح الطّيب من غُصن الأندلس الرّطيب؛ ففـي صيف (١٤٣٢هــ) كنت فـي زيارة علمية لجامعة مدريد بإسبانيا، وكان ذلك بصحبة المحدّث الفاضل الدكتور قاسم علي سعد.

وبعـد أن التقينـا بالمعنيّيـن فـي جامعـة مدريد حـول مشـروع علمـي مشترك مـع جامعـة الشـارقة، اطلعنـا علـى مخطوطـات المكتبـة الوطنية هنـاك، وأخذنا رسالة رسمية من جامعة مدريد إلـى المسؤول عن المخطوطات في دير الأسكوريال –وهو القسّ خوسِي لويس دال فاليـي– الذي رحّب بنا أيّما ترحيب، وأطلعنا علـى كنـوز الأسكوريال وزودنـا بنسخـة مـن فهارسـها.

وقد سـألته الاطـلاع علـى كتـاب «المنتخـب فـي علـم الحديث» لرضـيّ الدين الطبري ﷺ فأطلعني علـى الأصل، وإذا هـو تحفة أندلسـية نـادرة مشقهـا بخطـه الأندلسـي الجميـل: الكاتـبُ الأديبُ الشـاعرُ محمد بـن محمد بـن سماك العاملـيّ الغرناطيّ، وأجـازه بروايتهـا خطيـب الجامـع الأكبـر بغرناطـة أبـو علـي عمر بن علي القرشـيّ، عن مُنْتَخِبِهـا رضـيِّ الديـن الطبـريّ.

وأدهشنـا ما لمسنـاه من العنايـة الفائقة بالمخطوطـات، وبطريقة عرضهـا والاهتمـام بهـا، الأمر الذي يفوق الوصف ويحتاج بيانه إلـى مقالات ومقالات.

وقبـل أن نغـادر قاعـة المخطوطـات تفضّـل المسـؤول بإهدائـي نسخـة إلكترونيـة مـن المخطـوط لتصويـره، ثم بدأتُ بنسخـه أثنـاء تلـك الرحلـة.

وتتجلـى أهميـة المنتخـب فـي أهميـة الأصـل فهـو انتخـاب مـن كتابـه «الملخـص» الـذي لخّـص فيـه كتـاب ابـن الصـلاح، كـذا فـي روايـة العلمـاء لـه وذكرهـم إيـاه فـي كتبهـم.

كـما أن المصنّـف تلميـذُ ابـن الصّـلاح وقـد أجـازه ابـنُ الصـلاح ﷺ بكتابـه «معرفـة أنـواع علم الحديث» أصـل أصلِ هذا الكتاب، والمصنف هـو الإمـام العالـم المحدّث الفقيه إبراهيم بن محمد بـن إبراهيـم الطبـريّ، إمـام مقـام الشـافعية بالمسجـد الحـرام وعائلـة الطبـري أبنـاؤها توارثـوا مناصب إمامة مقام الشافعية بالمسجـد الحـرام وخطابتـه، وقضـاء مكـة لعـدة قـرون، قال فيه الذهبي: «عالم فقيه محدث، عابد ورع، كبير القدر، ولي الإمامة وحدّث أزيد من خمسين سنة».

ولـم أعثـر إلّا علـى هـذه النسـخة المحفوظـة فـي مخطوطـات الأسكوريال، ضمن مجموع، وتقع في ٦٠ صفحة، وفي كل صفحة ١٦ سطراً، وهـي نسخـة قد كتبت بخَط أندلسي عتيق غايـة فـي الجمـال والروعـة.

وناسـخها كمـا جـاء فـي أول وآخـر المخطـوط هـو الكاتب الأديب الشـاعر محمـد بـن محمد بن سماك العاملي الغرناطي، اشتهر في الأندلس وصـار كاتبـاً للخليفـة، توفـي سنـة (٧٥٠ هــ)، ترجـم لـه لسان الدين ابـن الخطيب وأثنـى عليه بالفضـل والأدب، وأنشـد له عدة قصائـد، من ذلك قصيدة مطلعها:

بشـرى بهـا صبـح الهدايـة مسفـر
مـن لفظهـا مـاء البشاشـة يقطـر

وقـد بيّـن العاملـيّ تاريـخ نسخـه كمـا جـاء فـي آخـر «المنتخـب»، حيـث قـال:

«كمل الكتـاب بحمـد الله وعونـه فـي العشـر الآخـر لرجب الفـرد المبـارك عـام واحـد وثلاثين وسبع مئة، ممـا انتسخته مـن أصل الشـيخ الخطيـب النزيـه الحـاجّ الأفضل أبي علـيّ عمر بـن علي القرشـي ﷺ، بخـط يده نفـع الله بـه.

أفقـر الخلـق إلـى الله سبحانـه: محمـد بـن محمـد بـن سماك بن عبد الحقّ بـن سماك العاملـيّ لطف الله بـه، وتاب عليـه برحمته، وغفر لـه، لا ربّ غيره ولا سواه».

فقد نسخهـا العاملـيّ مـن نسخـة أبـي علـيّ القرشيّ، وقرأهـا عليه، وأجـازه بهـا، وإجازة القرشي بخطه على طرّة النسخـة.

زيارة سمو الشيخ لمكتبة الإسكوريال

وقد اعتنى الناسخ بضبط (شكل) النصّ، وكتب العناوين بالحمرة، وأشار إلى مقابلة النسخة بوضع علامة المقابلة (الدائرة المنقوطة) في أماكن مختلفة من فقرات الكتاب.

كما قام الناسخ بتخريج اللحق في عدة مواضع، حيث وقعت من الناسخ أسقاط خرّجها في الحواشي، وأتبعها بعلامة التصحيح «صحّ».

وقد كانت رحلة طويلة، زرنا فيها أماكن عديدة تنطق بتاريخ مجيد، آثارها لسان ناطق، وروحٌ حيّةٌ بأمجادِ وبطولاتِ حضارةِ الأندلس، منها: طليطلة عاصمة قشتالة التي يحيط بها نهر تاجه من جهاتها الثلاث، وسرقسطة، و قلعة أيوب وتسمى (قلعة أيوديا)، وهي من أعمال سرقسطة، بناها أيوب بن حبيب اللخمي رحمه الله (ابن أخت موسى بن نصير فاتح الأندلس وهو ثاني ولاة الأندلس بعد موسى بن نصير)، و يشقُّ بلدةَ قلعةِ أيوبَ نهرُ

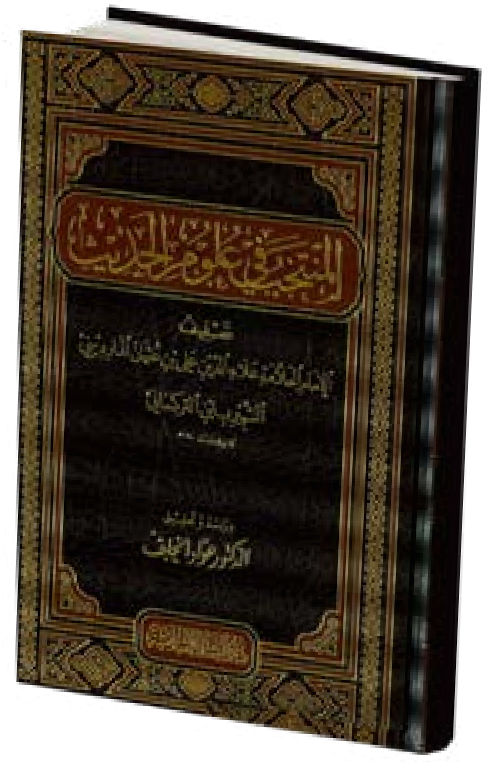

خالون.

كما زرنا غرناطة –ومعناها بالإسبانية: الرمّانة–؛ وهي شعارها التاريخي، و مع مرور أكثر من خمسة قرون على سقوطها، فما زالت غرناطة محتفظة بعدد من آثارها ومعالمها الأندلسية، وزرناها مراراً لأننا جعلناها منطلقاً لزيارة المدن الأخرى، وزرنا فيها معالم كثيرة كقصر الحمراء –دُرّة المعالم الأندلسية الباقية– وحيّ البيازين وأزقّته الضيّقة المتقاطعة، والقيصريّة (ويسمّونها اليومَ الكيثريّة) وأسواقها، وجامعة غرناطة، وباب إلبيرة، وغيرها من المعالم.

وزرنا قرطبة ومسجدَها الجامع، ومررنا بسهولها وهضابها وأنهارها وأشجارها الباسقة الظليلة، وقنطرتها العظيمة، وأطلال مدينة الزهراء، وبونة التي هي من أعمال قرطبة.

كما زرنا إشبيلية ونهرها (نهر الوادي الكبير) الذي لا يزال بهذا الاسم، ولا زال كما قال الرُّنديّ في مرثيّة الأندلس: ونهرها العذبُ فيّاضٌ وملآنُ.

وفي إشبيلية قصرُ ابن عبّاد (يُسمُّونه القثر –أيْ: القصر–)، تلك التحفة المعمارية التي تُشعرك بروح الفن الإسلامي في الزخرفة والبناء، ذلك القصر الذي تكاد تنطق جدرانه بما مرّ عليه من قصص وأخبار وحكايات تَغنّى فيها الأدباء والشعراء.

وزرنا مدينة إستجّة، ومالقة (مالكَا)، والجزيرة الخضراء (خسيرث)، وجيّان، وألمرية، وبلنسية، وشاطبة، ودانية وغيرها الكثير.

في تلك الرحلة –التي لا تُنسى– انتهيت من نسخ المنتخب وقابلته على الأصل مراراً، ثمّ قرأته في ثلاثة مجالسَ في غرناطة أوّلها في المدرسة المباركة في وسط غرناطة، والمجلسين الأخيرين على ضفاف نهر شنيل (فرع لنهر الوادي الكبير)، وقد طبع الكتاب في مجلد لطيف، والحمد لله على آلائه.

مكتبة الإسكوريال

أسلوب الكتابة في شبكات التواصل الاجتماعي وأثره في سلامة العربية

د. محمد فاضل صالح السامرائي
جامعة الشارقة ـ كلية الآداب قسم اللغة العربية

في عصر الثورة التقنيّة أصبح الناس يتهافتون على اقتناء الأجهزة الخلوية وأجهزة الحاسوب والجهاز اللوحي وغيرها بمناسبة وبغير مناسبة. إذ نرى كثيرًا منهم يحرصون على متابعة كلّ ما هو جديدٌ في السوق. وأصبحت هذه الأجهزةُ في متناوَل أيدي الكبار والصغار على السواء بعد أن كانت مقتصرة في أول عهدها على طبقة ضيقة في المجتمع كطبقة رجال الأعمال والأطباء والمختصين في مجال الحاسوب وغيرهم. ولا أبالغُ إذا قلت: إنها أصبحت من وسائل الحياة الضرورية عند كثير من الناس، بحيث يرى كثيرٌ منهم أنه لا يمكن أن يتخلى عنها لحظة واحدة. وصار الأمي في هذا العصر ليس الأميَّ في القراءة والكتابة، بل هو الأمي في عدم معرفته استعمالَ أجهزة التقنية الحديثة وعدم إتقانه لها، وخصوصًا جهاز الحاسوب والجوال.

ويغلب على هذه الأجهزة استعمالُ اللغة الإنجليزية في الكتابة، أو المزجُ بينها وبين العربية. وقد تسلل هذا الداء إلى شبكات التواصل الاجتماعي، إذ أضحت الكتابة بالعربية فيها ضعيفةً، ونجد صورًا من هذا الضعف في تعليقات القراء على الأخبار والأحداث والموضوعات المختلفة، فنرى أكثر هذه التعليقات يكتب إما باللهجات المحلية أو العربية المليئة بالأخطاء التعبيرية والإملائية.

ولا أقول إن ذلك يحصل من أنصاف المتعلمين أو ضعيفي الثقافة، بل إنه يحصل من أصحاب الشهادات العليا وذوي الثقافة العالية.

إن هذا البحث يسلط الضوء على أسلوب الكتابة في شبكات التواصل الاجتماعي كالفيس بوك والتويتر والفايبر والتانكو والواتس أب وغيرها من الشبكات، فيعرض نماذج من الأخطاء الإملائية والأسلوبية ويُظهر أثرها السيّء في الفرد والمجتمع.

ومنهجي في بحثي هذا أن أعرض بإيجاز تاريخَ الدعوة إلى الكتابة بالعامية أو الأحرف اللاتينية، وامتدادها إلى العصر الحاضر، وأذكر آثارَها السيئةَ ووسائلَ التخلص منها.

أسأل الله تعالى أن يرينا الحق حقًّا ويرزقنا اتباعه، ويرينا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه.

أسلوب الكتابة في شبكات التواصل الاجتماعي:

١ ـ بزغت لغةٌ جديدة في شبكات التواصل الاجتماعي لها مفرداتُها وتراكيبُها وأبجديتها، وقد انتشر ما يعرف بغرف الدردشة (الشات)، فصارت السرعةُ في استعمال لوحة المفاتيح هي المهارةَ الضروريةَ للتواصل عبر الشبكة. وقد ابتكر الشباب فيها كتابةً خاصة أصبحت تنتشر بينهم سواء في الرسائل المتبادلة عبر الهاتف المحمول أو غرف الدردشة أو في المواقع الاجتماعية، ومنها انتقلت إلى الشريط المتحرك الذي يظهر أسفل شاشات الفضائيات.

٢ ـ ونظرًا لوجود أعداد كبيرة من العرب المغتربين خارج الدول العربية، ونظرًا لعدم احتواء أجهزتهم لوحةَ مفاتيحَ عربيةً، رأوا أنفسهم مضطرين للدخول في عالم المحادثة أو في شبكات التواصل الاجتماعي بلوحةِ مفاتيحَ أجنبيةٍ، ومضطرين إلى كتابة الكلام العربي بالحروف اللاتينية ليتمكنوا من التفاهم مع من يكتب بالحروف العربية.

٣ ـ استمر تنامي تلك الطريقة بمرور الزمن، وزادت خبراتُ المغتربين فتمكنوا من إيجاد شكل معين لكل حرف عربي، وذلك بأن أضافوا أرقامًا إنجليزية للحروف اللاتينية فتكونت لغةٌ حاسوبيةٌ جديدة شاملة استبدلت بالحروف العربية في لوحة المفاتيح.

٤ ـ انتشرت الطريقة وعرفها كثير من الناس وتداولوها، وقالوا: إن السبب في اعتمادهم هذه الكتابةَ هو السرعةُ والسهولة والمرونة في كتابتها مقارنة بالكتابة العربية، حتى ذهب بعضهم إلى وجوب تعلم هذا النوع من الكتابة، بحجة أنه فرض وجوده في شبكات التواصل الاجتماعي، ويتطلع إلى زيادة أهميته في المستقبل، خصوصًا أن كثيرًا من الشبكات ضمنها إلى لغات البحث. وهذا النوع من الكتابة هو الذي يسميه بعضهم لغة (الأرابش) أي المشتقة من لفظي (Arab) و(English).

طريقة الكتابة بالحروف اللاتينية:

استعملت الحروف اللاتينية في كتابة الحروف العربية، فكلمة (شمس) تكتب: Shams، و(دفتر) تكتب: Daftar، و(كتاب) تكتب: Kitab . . . وهكذا.

وإذا لم يكن للصوت العربي صورة في الكتابة الإنجليزية جعلوا له رقمًا، فأضيفت الأرقام للحروف لتغطية العجز في الكتابة، وهكذا صارت الكلمة الواحدة تتكون من رقم أو أكثر ومن حروف، وقد اتفقوا على كتابتها على النحو الآتي:

ـ رقم (2): حرف الهمزة.

مثال: سؤال: So2al، مساء: Masa2، أسماء: Asma2.

ـ رقم (3): حرف العين.

مثال: عمارة: 3marah، سعادة: Sa3aadah،

إبداع: Ebdaa3

ـ رقم (3’): حرف الغين .

مثال: مشاغب: Moshaa 3’ Eb، مشغول: Mash 3’ ool.

ـ رقم (4): حرف الذال.

مثال: هذا: Haa4a، ذهب: 4ahab، منذر: Mon4er

ولعل هذا للاختصار، فحرف الذال يقابله في الإنجليزي(th)، ولكنهم استبدلوا به الرقم (4) اختصارًا، أو ليفرقوا بينه وبين حرف الثاء، إذ كلا الحرفين يكتب (th) كما هو معلوم.

ـ رقم (7): حرف الحاء.

مثال: سَحَر: Sa7ar، حمام: 7amaam، ساحة: Saa7a

- رقم (7’) أو رقم (5): حرف الخاء.

مثال: شموخ: Shomoo 7’، خَيال: 7’ayaal.

- رقم (6) حرف الطاء.

مثال: طالب: 6aaleb، مشط: mish6، مطرود: ma6rood.

- رقم (6’): حرف الظاء.

مثال: منظار: Min 6’aar، مظلوم: ma 6’ loom

- رقم (8) حرف القاف.

مثال: قرار: 8raar، سباق: Sibaa8، مقطع: Ma86a3

- رقم (9) حرف الصاد.

مثال: مصباح: Mi9baa7، رصاص: Ri9aa9،
مصير: Ma9eer

- رقم (9’) حرف الضاد.

مثال: راضي: Raa 9’ ee ، أرض: Ar 9’،

وهناك بعض الكتابات:

- كِلْمة ع الورق: 3al Wara8 Kelma
- يا ناس خلوني: Yanaas 7’ Allooni
- الله ينتقم من اللي خلاّها تعمل كده:

Allah Yenti8im Min Elly 7allaha Ta3mal Keda

وما مر لم يتم خلال يوم وليلة، بل استغرق فترة من الزمن ومرّ بتغييرات عديدة حتى استقر على الصورة التي رأيناها.

وهناك مصطلحات تعارف عليها الشباب في شبكات التواصل مثل Yup بمعنى (نعم)، و(تيت) بمعنى: خذ وقتك: Take your time، و(لول) بمعنى: كثير من الضحك Lot of laughs

وهذه - كما نرى - اختصارات لعبارات إنجليزية استبدلت بالعبارات العربية.

لقد تحقق ما كان يصبو إليه ولهام سبيتا وولمور وعبد العزيز فهمي من الكتابة بالحروف اللاتينية بدلاً من الحروف العربية، وذلك من خلال الكتابات التي رأينا صورًا منها في شبكات

التواصل الاجتماعي.

كتابة النغمة الصوتية:

على الرغم من أن النغمة الصوتية لا علاقة لها بالكتابة غير أننا نجد من يكتبها في وسائل التواصل الاجتماعي بتكرار الحرف، فلو أردت أن تتعجب بكلمة (معقول) كتبتها (معقووووول)، ولو أردت أن تعبر عن الكثرة المفرطة كتبتها (كتيييير) . . . وهكذا.

الضعف في الكتابة العربية:

استشرى الضعفُ في الكتابة العربية في شبكات التواصل الاجتماعي ، ومن مظاهره:

أ- فصلُ ما يستحق الاتصال، كالفاء في (فَ تبوح، فَ ربما، فَ يستغنى عنك)، ويلاحَظ ضبطُ الحرفِ المفصول في كثير من الأحيان.

ب- حذفُ حرف المبنى من بعض الكلمات حتى تبقى على حرف واحد مستقل كقولهم: (الحمد لله على مَ مضى، والحمد لله على مَ أنا عليه، والحمد لله على مَ سيأتي).

ج- الحذف من حرف الجر الثنائي والثلاثي حتى يبقى على حرف واحد، فالحرف (على) يكتب عينًا نحو (نتحاور ع النت) و(أنت ع العين والراس) و(جيت ع شانك) و(الحمدلّة عَ السلامة)، والحرف (في) يكتب فاء نحو (علي ف البيت).

د- كتابة كاف الخطاب المكسورة ياء نحو (كتابكي - بيتكي - لكي - بكي)، وكذلك هاء الضمير المكسورة نحو (كتابهي، قلمهي، بهي).

هـ- وصل ما يستحق الفصل نحو (إن شاء الله) فتكتب (إنشاء الله)، وشتان ما بين معنى العبارتين.

و- الكتابة باللهجات المحلية، فلكل دولة لهجتها أو لهجاتها، فنرى أبناء البلد الواحد يتحاورون في كتاباتهم بلهجاتهم المحلية، فإذا لم يكن الكاتب أو المتحدث من أبناء هذا البلد، أو لم يكن - على الأقل - عارفًا بلهجتهم المحلية فإنه لا يستطيع أن يفهم الحوار أبدًا، وهذا أوضح من أن أمثل له.

وسائل التواصل الاجتماعي
مرآة تعكس عقوق اللغة الأم

وفي ختام هذا البحث لابد من الإشارة إلى مقترح يعيد مستخدمي قنوات التواصل الاجتماعي المختلفة إلى العناية بالكتابة العربية؛ وذلك لما له من أثر إيجابي في هوية المستخدم، ومن هذه الوسائل تيسير قواعد الإملاء بما يتلاءم مع قدراتهم، وابتكار أساليب جاذبة وماتعة لإرشاد النشء وإقناعه بجمالية العربية ورسمها. والعمل على طرح مشروع سلسلة القصص والشعر القصصي والرسوم التشكيلية، بأساليب مميزة؛ تحبيبا وتشويقا وإثارة فضول المستخدم المعرفي لصالح أسس وجماليات اللغة العربية.

3marah

4ahab

7’ayaal

7’ayaal

Yanaas 7’ Allooni

لغة الخالدين

أحمد فراج العجمي
(شاعر معاصر)

أتْرعْتُ بالحبرِ البَهيِّ دَواتي ... وقَدَحْتُ حَرْفي وانتَدَبْتُ كُماتي
وكَنَزْتُ بحري باللآلئِ ثَرَّةً ... مِن قَبلِ غَوصِ أئمَّتي وسُراتي
ونَثَرْتُ في أُفْقِ اللُّغاتِ مواهبي ... فكأنَّني أُفُقٌ مِنَ الهالاتِ
لي منذُ مَولِدِيَ العظيمِ مآثِرٌ ... فاضَتْ كنهرٍ مُتْرَعٍ بِهِباتي
أنا دُرَّةُ العِقْدِ البهيَّةُ ليسَ لي ... كُفْءٌ ولا بينَ الفروضِ مَماتي
في أيِّ فَرْعٍ للعلومِ أُمِدُّهُ ... بمعارفٍ تَتْرى ومُصطلحاتِ
قُدْسِيَّةُ النَّفَحاتِ حَرْفي مائجٌ ... بالنُّورِ فالقرآنُ مِن كَلِماتي
لي في كثيرٍ مِن لُغاتٍ تَرائبي ... أثَرٌ ورَسْمي فاقَ كلَّ بَناتي
وبدائعي مكنونَةٌ كالدُّرِّ مَن ... ذا أوتيَ التَّنْقيبَ عن صَدَفاتي؟
لي مِن بَنِيَّ مُنافِحونَ تَبَوَّأتْ ... بِهِمُ العروبةُ أرفعَ الدَّرَجاتِ
وجَمَعْتُ تحتَ لِواءِ حَرْفي أُمَّةً ... شادَتْ بِناءَ شامخِ القاماتِ
حتّى أضاءَ شُعاعُها أُفْقَ الأُلى ... كانوا على جُرُفٍ مِنَ العَثَراتِ
فإذا الإمامةُ أصبحَتْ في قومهمْ ... جَحَدوا إمامةَ أحرُفي وحَصاتي
لكنَّهم غَفَلوا عنِ التّاريخِ إذْ ... إنّي البقيَّةُ رَغْمَ كلِّ سُباتِ
كَم قد شَهِدْتُ وفاةَ ألسُنِهم وما ... أزدادُ غيرَ وَجاهةٍ وثَباتِ
وأنا العريقةُ لا تطولُ حفائري ... لغةٌ وليدةُ أفْرُعِ النَّضِراتِ
لي مُعْجَمٌ ثَرٌّ يَمُدُّ دلالتي ... بمديدِ فَيضٍ دافقِ المَلَكاتِ
في كلِّ معنًى ألفُ لفظٍ دائرٍ ... ويدورُ غيري في مدى العَشَراتِ
ويَظُنُّني أهلُ الرَّطانةِ أنَّني ... قد مِتُّ إذْ وَأَدَ الدَّعِيُّ بَناتي
وأشاعَ ضعفي في الجرائدِ حانِثًا ... بالوَعْدِ يدعو أخطرَ الدَّعَواتِ

أبَني العُروبةِ كَم رَكَنْتُم للأُولى ... كَذَبوا عَلَيْنا أقبحَ الكَذِباتِ
تأتونَ بَحرَ الشَّكِّ دونَ مرابعي ... أوَتُؤثِرونَ على الهُدى الشُّبُهاتِ
أوَتَدْعونَ الخيرَ في دَعَواتِهِم ... كَذِبًا لَعَمري ذاكَ ليسَ بآتِ
تَتَحدَّثونَ وتَكتُبونَ بِحَرفِهِمْ ... أوذاكَ غزوُ الفكرِ ذي الغزَواتِ؟
لا والذي جعلَ الفصاحةَ عندنا ... إنَّ الدَّخيلَ يَظَلُّ غيرَ مُواتِ
إنَّ التَّقدُّمَ أن يكونَ بِفِكْرِكُمْ ... والفِكْرُ لا ينمو بدونِ لُغاتِ
إنّي البعيدةُ فاستحِثُّوا رَكْبَكُمْ ... والمستفيضَةُ مِن لُحونِ رُواتي
ألقَيْتُ في بَحرِ الثَّقافةِ فِكْرتي ... فتَشَبَّعَتْ مِن وَمْضَةِ الخَطَراتِ
وتحرَّكَتْ أمواجُهُ فتلاقَحَتْ ... فِكَرُ الشُّعوبِ بِشُعْلَةِ الكلماتِ
وتصاعَدَتْ سُحُبُ الجمالِ إذِ التقى ... فِكْرُ الأديبِ بِمُعْجَمي ودَواتي
الرّيحُ تعزِفُ نَغْمَتي والشَّمسُ مِن ... ألقِ الحروفِ تَشِعُّ مِن جَلَواتي
والبحرُ يلثُمُ موجُهُ الشُّطآنَ مِن ... بَوحِ القصيدِ المُتْرَعِ الزَّفَراتِ
أحتاجُ مَن يَجْتَثُّ كلَّ مواجعي ... أحتاجُ مَن يحنو على عَبَراتي
فينالُ بي شَرَفَ البُطولةِ باذِخًا ... وبِناءَ حِصْنِ المجدِ مِن عاداتي
مُتَوَشِّحًا حَرفي يَهُزُّ جوانبي ... فكأنَّني بحرٌ مِنَ النَّغَماتِ
مَن ذا يقولُ أنا الفتى لبيكِ يا ... لغةً تعيشُ الدَّهرَ في نَبَضاتي؟
أيانَ يلتفِتُ الزمانُ يجِدْكِ في ... مَرْمى رؤايَ فأنتِ كلُّ جِهاتي
لبيكِ مَهما عِشْتُ، أنَّى كنتُ، هل ... ينسى الفؤادُ مُكَوِّنًا مِن ذاتي
ستكونُ فيكِ حياةُ روحي دائمًا ... ويكونُ أيضًا فيكِ عِزُّ مماتي

اللغة العربية
بين الإهمال والإقبال

د. خولة محمد سعيد طه
كاتبة وباحثة سوريا

اللغة أصواتٌ يعبر بها كل قوم عن أفكارهم وأغراضهم، وهي عامل هام من العوامل التي تُكوِّن هوية الإنسان وتميِّزه عن أفراد جنسه، فنحن حين نلتقي بشخص غريب نحاول استقراء هويته من ملامحه أو لونه أو زيِّه، فيقودنا الاستقراء إلى انتماءات مختلفة، فإذا تكلَّم قطعنا الشك باليقين وحددنا انتماءه وهويته وعرفنا جنسيته، وإذا أراد أحدنا الاندماج في مجتمع ما، فإنه لا يكفيه أن يعبر حدوده ويلبس زيّ أبنائه بل يظل يشعر بالغربة عنه حتى يتعلم لغته، فإذا تعلمها أصبح قادراً على التواصل معه، فاللغة هوية الأمة وذاكرتها وجغرافيتها السياسية تجمع بين الأوطان ولو كانت متباعدة على الخارطة، وما من أمة حافظت على لغتها إلا صانت وجودها، وما من أمة فرطت بلغتها وأهملتها إلا تلاشت بين الأمم.

وأجدادنا العرب الذين كانت صحراء الجزيرة العربية مهدا لهم عاشوا فوق رمالها الحارة وتحت شمسها المحرقة حياةً بدوية قوامها التنقل والتّرحال،لم يجمع بينهم من رابط سوى اللغة، فمجتمعهم القبلي الذي يفرد لكل قبيلة خصائصها ومرابعها ولهجتها المميزة لم يُنْسِهم لغتهم الفصيحة التي كانوا يدركون قيمتها وأهميتها بالنسبة لهم، فهي رمز وحدتهم القومية أمام القوى العالمية المحيطة بهم من فرس وروم وأحباش، يقيمون لها المهرجانات والمنتديات الأدبية التي يتجلى بها تقدمهم ورقيهم الروحي والفني والبياني مع ماهم فيه من تخلف حضاري مادي بالقياس إلى الأمم المعاصرة لهم في ذلك الحين فكانوا يستغلون اجتماع القبائل العربية في مكة في مواسم الحج ليعقدوا أسواقهم الأدبية التي كانوا يخلعون عند عتباتها لهجاتهم القبلية ويرتدون زيّها الموحد الفصيح متفاخرين بما تجود به قرائحهم من روائع الشعر وعذب الكلام في مشاهد لا أروع ولا أبهى، يتقدم فيها الشعراء كلٌ ينافس الآخر بفصاحته وبلاغته وحسن أدائه أمام لجنة تحكيم من كبار شعرائهم المشهود لهم بالفصاحة والبلاغة، وعلى مرأى ومسمع جمهور عريض ناقد وذواق .

وجاء الإسلام ليعطي اللغة العربية مكانة مقدسة حين اعتمد القرآن الكريم لهجة قريش الفصيحة لغةً له، ووصف نفسه بكونه عربياً في أكثر من آية، قال تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴾ [فصلت: ٣] متحدياً العرب أنفسهم أرباب الفصاحة والبلاغة أن يأتوا بسورة من مثله، وانتشر الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها، وانتشرت معه اللغة العربية في كل الأصقاع، وأقبل الناس على اختلاف أوطانهم وألسنتهم على تعلمها وحفظها، يرددونها كل يوم في صلاتهم ودعائهم، ولم يجد العرب أنفسهم يوماً بحاجة لافتتاح مراكز لتعليم اللغة العربية في البلاد التي فتحوها، بل كان أبناء تلك البلاد الذين اعتنقوا الإسلام هم الذين يبحثون عمن يعلمهم اللغة العربية ليزدادوا علماً بدينهم الجديد وفهماً للقرآن الكريم.

واليوم في الوقت الذي يدير فيه أبناء العروبة ظهورهم للغتهم، نجد الكثيرين من أبناء المشرق والمغرب المعتنقين للإسلام يقبلون على تعلم اللغة العربية ودراستها وحفظها، وهم يتزايدون يوماً بعد يوم، واهتمام هؤلاء بالقرآن الكريم جعل الباحثين والدارسين منهم يقبلون على دراسة اللغة العربية عبر العصور إقبالاً منقطع النظير لا تكاد أيُّ لغة في العالم تضاهيها فيه، فألفت الكتب الكثيرة في مفرداتها وتراكيبها ونحوها وصرفها وأصواتها ومخارج حروفها وخصائصها التي تتميز بها بين لغات العالم، واستطاعت لغتنا العربية في عصور الازدهار الحضاري أن تستوعب كل الثقافات والحضارات التي اتصلت بها من فارسية ويونانية وهندية وغيرها؛ فنقلت علومها وآدابها وفلسفتها وفنونها بما تتميز به من خصائص الاشتقاق والنحت والتعريب والاصطلاح، ولاتزال حتى يومنا هذا قادرة على استيعاب حضارة الغرب ونظم السياسية والقضائية والإدارية ومعارفه العلمية والأدبية.

وإذا كان القرآن الكريم قد أعطى اللغة العربية مكانة مقدسة فإن لغتنا العربية تمتلك من المزايا ماتنفرد به عن لغات العالم، وأهم هذه المزايا الإيجاز في التعبير، ولعلنا ندرك ذلك بوضوح إذا قمنا بترجمة نص أو جملة من العربية إلى غيرها من اللغات فنجد أن المعنى ذاته عُبِّر عنه بألفاظ عربية قليلة بالقياس إلى الألفاظ التي احتاجتها اللغة الأخرى للتعبير عن المعنى نفسه.

ويبلغ الإيجاز فيها حداً لايضاهى إذ يمكن لحرف واحد من حروفها أن يكون جملةً كاملةً وهو في الإعراب مسند ومسند إليه كقولنا (ع، فِ، قِ) فهذه الأحرف هي أفعال أمر للأفعال الماضية (وعى ،وفى ، وقى) والفاعل ضمير مستتر تقديره أنت.

وإلى جانب ما حباها الله به من مزايا الإيجاز والاشتقاق والنحت والاصطلاح والتعريب **فإن لها سِحرَها الخاص في ملامسة المشاعر والعزف على أوتار القلوب والتعبير عن أدق المشاعر والأحاسيس، وأسلوبها الأرق والأبلغ في القرآن الكريم كان من أهم العوامل التي تشد القلوب إلى الإسلام،** وكلما تعمقنا في دراستها وسبرنا أغوارها وغصنا في أعماقها وقعنا على كنوز من نفائس اللآلئ ونادر الدرر لروائع الكَلِم وسحر البيان، وكما قال الشاعر حافظ ابراهيم على لسانها:

إقبال أطفال الألمان على تعلم اللغة العربية

فارس عربي

أنا البحر في أحشائه الدُّرُّ كامن
فهل سألوا الغواص عن صدفاتي

وتعرضت لغتنا العربية خلال مسيرتها الطويلة لحملات منظمة تستهدف وجودها باعتبارها أقوى الروابط القومية التي تجمع بين العرب على اختلاف أقطارهم، فكانت حملات التتريك والفرنسة ودعوات لإحلال اللهجات العامية محلها وغيرها من الدعوات المشبوهة، إلا أن هذه الحملات والدعوات باءت بالفشل وسقطت مهزومة أمام عظمة اللغة العربية وصمودها، ولعل ذلك يرجع إلى أنها لغة القرآن الكريم من ناحية، ولقوتها وجمالها الفني من ناحية أخرى حيث لم تستطع أية لغة أن تزاحمها أو تأخذ مكانها.

وفي زمن الاحتضار السياسي الذي تعيشه أمتنا العربية في هذا العصر وهي تتجرع كل يوم مرارة الهزيمة والهوان، وتقتات علقم الذل والانكسار، ننكفئ على ذاتنا باحثين عن حبل النجاة ودرب الخلاص مستذكرين عظمة ماضينا المجيد حين كنا سادة العالم وأرباب الحضارة، يعتصر قلوبنا الأسى ونحن نعاين البون الشاسع بين ماضي العرب وحاضرهم، ونعود إلى لغتنا العربية التي كانت في عصور الذل والقهر بشهادة الغرب من أقوى القوى التي قاومت المستعمر الغربي على أرضنا والتي حالت دون ذوبان المغرب العربي في فرنسا، نعود إلى لغتنا العربية باحثين عن مكانتها عندنا نحن عرب اليوم لنرى الكثيرين من أبنائها يستبدلون العامية بها أو يهجرونها إلى لغات أجنبية بدافع التظرف وادعاء التحضر جهلا منهم للغتهم، وإمعانا في عدم إدراك دورها الخطير في الحفاظ على شخصيتهم ووجودهم القومي.

إن الانحراف اللغوي ظاهرةٌ تدل على نية خفية في الانحراف القومي وفي تجريد الأمة العربية من أعظم مقوماتها وأهم عوامل الربط بين أبنائها وأقطارها، ونحن نرى اليوم أن أكثر الناس سعياً للترويج للعامية إعلامياً عبر القنوات الإذاعية والمرئية والخطب السياسية وحتى النشرات الإخبارية هم الذين يقفون اليوم ضد مصالح أمتهم يخدمون المشاريع الاستعمارية التي تستهدف أمتهم وأوطانهم ووجودهم. إن بقاءنا كما كنا أمةً لها مكانتها وحضارتها بين الأمم مرهونٌ بحفاظنا على لغتنا وصوننا لها وإعلاء مكانتها في نفوسنا وعلى ألسنتنا في البيوت والمحافل والشوارع، فإذا ضاعت منا فالخوف علينا لا عليها، إن تخلينا عنها فنحن الذاهبون إلى الضياع وإلى غياهب التاريخ، أما اللغة العربية فبقاؤها لاريب فيه، تعهده ربُّ السماء، قال الله تعالى في كتابه الحكيم: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر:٩]

وما دام الذكر الحكيم محفوظًا، ستبقى اللغة العربية في مأمن من كل ضعف وحيف، وإن تخلى عنها أبناؤها وعقوها، فإن هذا لن يطفئ نورها ولن يخمد شعلتها ولن يصيب جوهرها، بل سيحمل رايتها وسيوقد شعلتها أبناؤها المخلصون والمسلمون الجدد المقبلون اليوم على الإسلام وكتابه المقدس المتفانون في تعلم اللغة العربية وحفظها والحفاظ عليها.

لو لم تكُنْ أمَّ اللغاتِ هيَ المُنى
لكسرتُ أقلامي وعِفتُ مِدادي
لغةٌ إذا وقعتْ على أسماعِنا
كانتْ لنا برداً على الأكبادِ
ستظلُّ رابطةً تؤلِّفُ بيننا
فهيَ الرجاءُ لناطقٍ بالضادِ

مُعلّم اللغة العربية «الواقع والغاية»

د. الطاهر بن الأزهر خذيري
أستاذ وباحث أكاديمي

لقد أتى على العرب حينٌ من الدهر كانوا أمةَ حضارة وتميز علميّ منقطع الغرار، وبدت حواضرهم على السواء وبواديهم أنديةً مكنوزة الجعاب، فيها يُتلقّى العلم بنَهم وكَلَف، ويُلقّن بتولُّه وشغف؛ فالحاضرة مخصوصة بأنواع من العلم يحرص عليها فئامٌ من المتعلمين، كما انتصبت البادية قبلةً لنوع آخر من طلاب المعرفة وتقويم اللسان، وكانتا جميعا مَحجّا للمرتحِلين في سبيل تعلم اللسان العربي وآدابه؛ فاستقام أمرهم على تلك السابلة المهيبة قرونا متطاولة، لا يُنظَر إليهم إلا على أنهم قناديلُ الدنيا وشموسها، ولم يكن ثمة ما يعاب عليهم في هذا الميدان، بل على العكس من ذلك أضحت طرائقهم في المدارسة والتدريس نماذجَ متبعةً لدى الأمم الأخرى، وإن كانت تجوس خلال ديارهم -بين الفينة والأخرى- فتنٌ سياسية وحروب داخلية وخارجية طحنت الأخضر واليابس؛ كانت لها آثارٌ متْلافةٌ على نواح أخرى من حياتهم.

ثم لم يزل أمر العرب في إدبار؛ أمْلته ظروفٌ متنوعة، وأسباب متعددة، ولكنهم مع سفول حالهم –بعد قرون العز والغلبة– ظلّوا متمسكين بلغتهم؛ حديثا ومكاتبة ورُوحا؛ معتزّين بها على ضعفٍ واختلال! إلى أن غشيتْهم في هذا العصر غواش مهلكة، وأسقمتهم أمراضٌ مردية منهكة؛ فانسلخوا بالجملة من لغتهم، وطعنوا جيدها، وهجروا طريفها وتليدها، بل واعتقد بعض معاتيهِهم أن لسان العرب أضحى سبّة لذويه، وهجْنة لمن حرص عليه، ومثلبة لمن تمسك به؛ فتنكروا له، وقلبوا له ظهر المجن؛ ففسدت سلائقهم، ومرجِت عهودهم، وخابت ظنونهم؛ فراحوا يلتمسون الفخر في لغات الأعاجم، ويخطبون ودّها ورضا أهلها؛ كالأعمى يضع يده في فم الأفعى! حتى جرت حكمة ابن خلدون في مضمارهم جريا صحيحا، وهي قوله: «المغلوب مولَع أبدا بالاقتداء بالغالب؛ في شعاره وزِيه ونحلته وسائر أحواله وعوائده».

وبدا واضحا أن قِسما معتبرا من العرب خلّفوا كرامتهم ظِهْريا بالانسلاخ من عربيتهم، وهانوا في أنفسهم فسقطوا من عين عدوهم! وعابوا لسانهم وثلموه؛ فتسلطت عليهم ألسن غيرهم؛ فعرّتهم وعيّرتهم، وعابتهم وشانتهم؛ جزاء وفاقا، والجزاء من جنس العمل!

والعجيب أنهم يرون أُمما حواليهم أوهى قوة، وأقل عددا؛ تعصّبت للغتها، ونافحت دونها، وفرضت قانونها، حتى لا تكاد تجد بينهم أثر لغة أجنبية، ومع ذلك برزوا في العلم والمعرفة، ونافسوا في سائر فنون الأدب والثقافة، وكانت لهم كلمةٌ في علوم الحاسب والميكنة، ولم يُهْوِلْهم قطُّ لسانٌ غريب عنهم! ومع هذه المعاينة إلا أنهم مبتلَوْن ببَهْت لغتهم، والزراية بها، وامتهان أمرها، والإمعان في السخرية منها!

والعجيب المؤذي أن هذا الهوان اللغوي البادي للكبير والصغير لا تجد له أثرا من نِذارة على مستوى يليق بالنكبة الماحقة! اللهم إلا قلة من الخُلّص ذهبت صيحاتهم أدراج الرياح، والقوم في غفلة سادرون، ولا معْدى عن الصياح في آذانهم: إنه النذير العُريان بين يدي باقعة ساحقة؛ لا تبقي ولا تذر!

وقد تألم الشيخ محمود شاكر في مقال كتبه منذ أربعة عقود، وأسماه: (لغتنا في خطر داهم.. ونحن أيضًا)، وفيه تكلم عن

مؤتمر عُقد للغة العربية، تناول قضية ضعْفِها على ألسنة أبنائها، وكانت وصاياه منذرة بشَرّ مستطير، وكان المتوقع أن تقوم الدنيا وتهتز على وقع هذه الوصايا المرعبة، لكن العجب أن المؤتمر بنصوصه وحواشيه مرّ مرور الكرام على موائد الأيتام؛ لا حس ولا خبر! فقال أبو فهر في التعليق على ذلك التجاهل الغريب المريب: «انعقد أياما ثم انفضّ، وتلقته بعض أجهزة الإعلام خبرا ضئيلا يُنشر ثم يطوى، وكأنه كان لغوًا لا يحرك ساكنًا، ولا يثير أحدا، ولا ينذر بخطر، ولا يستحق أن ينال أسطرا قلائل من الآلاف المؤلفة من الأسطر التي تحوزها مشاكل الاقتصاد والإسكان والمرور، أو كرة القدم على الأقل. وهذا وحده نذيرٌ بشرّ لا يعلم إلا الله مداه».

إن مما لا تخطئه عينٌ حفيّة بالحق أنّ من أجلى أسباب وهن العربية، وانحسار سؤددها، وانكشاف كعبها، ضعفَ معلم اللغة والأدب العربي، ضعفا مترامي الأطراف متراحب الجهات، لا يختلف فيه عاقلان! حتى غدا ضعف المعلمين عموما، ومعلمي العربية خاصة؛ ظاهرة عامةً أو قريبا من العموم في البلاد العربية من أقصاها إلى أدناها؛ مشرقية ومغربية؛ على تفاوت نسبيّ في مدى الضعف؛ اللهم إلا صُبابة عُصمت من الانحدار إلى ما سلف الحديث عنه.

وإن الناشئة من طلابنا التي يعجز أكثرنا اليوم عن فهم علة ضعف لغتها، بل وكراهيتها لها؛ يرجع في جانب منه إلى شخصية المعلّم الذي يمثل الناطقَ باسم العربية أمامهم؛ فإذا كان خِلْوا من العظمة التي ينبغي أن يكون عليها، فارغا من المادة التي يعلّمها، جاهلا بفنون التلقين والإقراء، أو متشبّعا بالزور، منتفشا بالزّهْو الكاذب، مستبدا متعالما، غليظ الحاشية، مهزوز الثقة، سيء الأخلاق؛ فأيّ بلاء أحللناه على أجيالنا المتعلمة على يديه؟ وأيّ لأواء مجحفة أثقلنا بها أحمال أولئك الشُّداة المساكين؟ وأيّ حقد غرزناه في قلوبهم تجاه العربية المتمثلة في شخص ذاك المعلم البلوى!؟ إن المعلم بهذا النعت المرسوم لينادي على نفسه بلسان حاله؛ أن انج سعد؛ فقد هلك سعيد!

إنه لن تتم للمعلّم أُبّهته العلمية، وغَناؤه المنهجي في درسه التعليمي حتى ينسلّ من النمطية التي ينشأ عليها أكثر هذا الجيل؛ حيث يلوكون بعض المحفوظات الباهتة الباردة، ويدورون في فلكها لا يتجاوزونها، ثم يقع في خلد أحدهم أنه ثَرُّ المادة، ثابت الملَكة، ذو ذائقة أدبية ومُكْنة علمية أهّلته ليكون ما كان! ويقنع نفسه بذلك! ويقتنع بتهاويله زُحوفٌ من العامة! فتخرب العملية التعليمية من أساسها، ويكون ثمرها علقما قميئا، في مساليخ جيلٍ مستعجِم كارهٍ للغته وتراثه وتاريخه!

لا بد للمعلم إن أراد التميّز وتحرير ذاته من العجز والكسل؛ مِن هجران هذا النمط المقيت، والإقبال على علوم العربية وفنونها إقبال نهِم لا يشبع؛ على أن يكون وقّافا عند نصوصها الأثرية شعرا ونثرا، مُكْتَنِها أسرارَها، مُتذوّقا لها، مُدمنا على تأملها، وبذلك يضع قدمه في أول طريق معبدة لا تميل به عن الجادة إلا إذا هو مال، وما لم تسفر إرادة المعلّم عن عزْمة متّقدة كأنها شرارة نار؛ فيضطلع بمهمة تحسين مستواه اللغوي والأدبي عموما، ورفع منسوب ثروته فيهما، وفق خطة مدروسة؛ فلن تتجاوز إرادته بوابةَ شفتيه، وسيبقى حبيسَ فشله، ورهين همته البالية!

إنه ليس بين المعلم الذي تَضعضع صرحه، واختل مقامه، وانحطّ قدره، وبين ارتفاع الصرح واعتدال المقام وسُموق القَدْر والقيمة؛ إلا بضع سنوات من التعب والجهد الحقيقي المبني على منهجية صحيحة، ثم تكون العاقبة المنسوءة المذخورة! وكما قال الرافعي في نصيحته لأحدهم: «وما أرى أحدا يفلح في الكتابة والتأليف إلا إذا حكم على نفسه حكماً نافذاً بالأشغال الشاقة الأدبية، كما تحكم المحاكم بالأشغال الشاقة البدنية؛ فاحكم على نفسك بهذه الأشغال سنتين أو ثلاثاً في سجن «الجاحظ» أو «ابن المقفع» أو غيرهما»؛ إي والله! إنه لتَعَب مُضْنٍ يتعنّاه المعَلم الحريص على نفع نفسه وأبناء جيله، ثم لا يلبث أن يحمد السُّرى!

وإن شئت مثلا قريبا من هذا المنوال المحتذى؛ فاعلم أن إماما في اللغة –هو مصطفى صادق الرافعي– من هذا القرن الأخير كتب مصنَّفا جليلا معدودا في أمّات كتب التاريخ الأدبيّ ولمّا يجاوز الثلاثين! «وهي سن قلّما يتهيأ فيها لشاب أن يحصّل من أبواب العلم باللغة ما اجتمع للرافعيّ في هذا الكتاب؛ فضلًا عن أن يكون له فيما حصل من ذلك رأيٌ وموازنة واستنباط!»، وهذا مثال جليل ينبغي أن يظل قائما في الأذهان، مركوزا في واعية المعلّم الذي ينشد الانعتاق من إسار التخلف عن الركْب؛ فينطلق إلى مجْده كأجاويد الخيل لا يصدّها صادّ، ولا يردها عن منتهى بصرها رادّ.

وإن نَفْسا ترِعتْ بهذه المعاني وانتهت إلى مراشدها؛ لا تغيب عنها خَليقةٌ هي أمّ خلائق المحظوظين من المعلّمين، وبدونها يكون العلم كالعهن المنفوش، لا وزن له ولا قيمة؛ تلكم هي الأبوة العلمية التي تمنح الطلبة ما لا تمنحه الفائدة، وتشحذ هممهم نحو معالي المراتب ما لا تفعله المعلومة المجرّدة؛

فالمعلم «له معنى أبوة الأب في أبنائه؛ لا يراه من يراه منهم إلا أحسّ أنه شخصه الأكبر؛ فهذا هو الذي تكون فيه التكملة الإنسانية للناس، وكأنه مخلوق خاصة لإثبات أن غير المستطاع مستطاع».

وأما من أعوزته الحيلة، وتراخت دون همته الحبال؛ فدونه كلمة أبي حيان وقد نثرها في جعبة خالي الوفاض؛ حتى إذا تأمّلها وتقفّى حروفها؛ امتلأ إناؤه وفاض: «واعلم أن العلم لا يبدو إليك، والفضلَ لا ينجلي لك، والمجدَ لا يكْلَف بك، والصِّيت لا يعظم عليك،... حتى تقِف همتك على العلم، وتصرف نهمتك إليه، وتجعله ملهاة لطربك، ومَسْلاة لحربك، ومنتجعاً لعقلك، ومُستمَدّا لفضلك، وحتى ترى أن ختامك في الموت عليه، واستراحتك في التعب به، وحتى تؤثره على ثوبك الناعم، وبدنك الممتع، ومشربك الروي، ومطعمك الشهي، وجاريتك الحسناء، ودارك القوراء،...؛ فاستعن الله في خافي أمرك وباديه، وفي فروعه وأواخيه، فإنه مالِك الأمور، ومقلب القلوب، والجالب لكل خير، والصارف لكل شرّ».

وختاما.. فإن اللغة العربية بمعلّميها ومنتسبيها ومستوياتها ومناهجها لن تتحرك من الحضيض الذي تتمرغ فيه؛ ما لم تتخذ الدول العربية قرارها الجدّي العاجل بإعادة هيبتها، وردّ اعتبارها، وذلك بتهيئة مناخ عربي يحياه الناشىء في بيته، ويتراءاه على شاشات إعلامه، ويقرأه في صفحات جرائده وكتبه ومجلاته، ثم يلتزم به بقوانين حاسمة تكون عونا على استعمال العربية في شتى مناحي الحياة، وعقوبات زاجرة تذيقه مرارة المخالفة..

تلك كانت خواطر مكدود على أمره، باكٍ على لغته، مشفقٍ على قومه؛ يتغشّاه لأجلهم همّ مزعج، ويكويه من الغمّ للعربية شُواظ لافح؛ فإن آنَسَتْ كلمته مَحَلاّ فبتوفيق الله وجميل عونه، وإن أمْحَلتْ فبلاءٌ لا قصد من ورائه، وكل بلاء موكل بالمنطق، والحمد لله أولا وآخرا..

نَحْوُ الْعَرَبِيَّةِ بَيْنَ التَّيْسِيرِ وَالتَّعْسِيرِ

د. خَالِد مُصْطَفَى - أستاذ وباحث أكاديمي

يَتَسَاءَلُ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ عَنْ صُعُوبَةِ النَّحْوِ بِوَصْفِهِ مَادَّةً دِرَاسِيَّةً، فَانْبَرَتِ الْأَقْلَامُ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ وَصَوْبٍ، بَعْضُهَا يُدَافِعُ عَنْ قَوَاعِدِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، وَبَعْضُهَا الْآخَرُ يُرِيدُ إِلْغَاءَهَا، حَتَّى وَصَلَ الْأَمْرُ إِلَى أَنْ يَصْنَعَ أَحَدُ أَبْنَاءِ الْعَصْرِ الْحَدِيثِ «شَرِيف الشُّوبَاشِي» كِتَابًا بِعُنْوَانِ: «لِتَحْيَا اللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ يَسْقُطُ سِيبَوَيْهِ»، فَهُوَ يَرَى أَنَّ النَّحْوَ وَعُلَمَاءَهُ هُمُ السَّبَبُ الرَّئِيسُ فِي قَتْلِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، مَعَ أَنَّ أَيَّ بِنَاءٍ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَقُومَ إِلَّا عَلَى قَوَاعِدَ ثَابِتَةٍ تَحْمِلُهُ، وَتَسْمَحُ لَهُ بِالْعُلُوِّ وَالْبَقَاءِ، وَلَا يُمْكِنُ أَنْ تُثْمِرَ شَجَرَةٌ لَيْسَ لَهَا جِذْرٌ، وَكَذَلِكَ اللُّغَاتُ، فَحَيَاةُ اللُّغَةِ – أَيَّةِ لُغَةٍ – كَحَيَاةِ الشَّجَرَةِ، لَابُدَّ لَهَا مِنْ جِذْرٍ يُثَبِّتُهَا فِي الْأَرْضِ، وَيَحْمِيهَا مِنْ عَوَاصِفِ الزَّمَنِ وَعَادِيَاتِهِ، فَإِذَا كُنَّا نَنْتَظِرُ مِنْهَا ثِمَارًا فَعَلَيْنَا – أَوَّلًا – أَنْ نَرْعَى جُذُورَهَا وَنَأْبَهَ لِتَثْبِيتِهَا، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى يَقُولُ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ [إبراهيم: ٢٤].

فَثَبَاتُ الْأَصْلِ يَجْعَلُهَا طَيِّبَةً وَفُرُوعَهَا سَامِقَةً فِي السَّمَاءِ، وَلُغَتُنَا الْعَرَبِيَّةُ الَّتِي قَيَّضَ اللهُ تَعَالَى لَهَا رِجَالًا أَكْفَاءً أَمْثَالَ الْخَلِيلِ بْنِ أَحْمَدَ (١٧٠هـ)، وَسِيبَوَيْهِ (١٨٠هـ)، وَالْكِسَائِيِّ (١٨٩هـ)، وَالْفَرَّاءِ (٢٠٧هـ)، وَابْنِ جِنِّيٍّ (٣٩٢هـ)، وَابْنِ مَالِكٍ (٦٧٢هـ)، وَغَيْرِهِمْ مِمَّنْ قَعَّدُوا لَهَا وَعَمِلُوا عَلَى جَمْعِهَا وَصَوْنِهَا، حَتَّى وَصَلَتْنَا بِأَلْفَاظِهَا الرَّقِيقَةِ وَأَسَالِيبِهَا الْبَلِيغَةِ، وَصُوَرِهَا الْجَمِيلَةِ، وَقَوَاعِدِهَا الْمَتِينَةِ الَّتِي هِيَ بِمَثَابَةِ الْوِعَاءِ الْحَافِظِ لَهَا، فَكَانَتْ لَهَا الْقُدْرَةُ الْفَائِقَةُ عَلَى نَقْلِ الْعُلُومِ اللَّاتِينِيَّةِ وَالْهِنْدِيَّةِ وَالْفَارِسِيَّةِ إِلَيْهَا، فَاسْتَوْعَبَتْ كُلَّ الْعُلُومِ وَأَضَافَتْ إِلَيْهَا، فَقَدْ كَانَ عُلَمَاؤُنَا الْأَوَائِلُ نَحْلًا لَا نَمْلًا، فَالنَّحْلُ يَمْتَصُّ رَحِيقَ الْأَزْهَارِ وَيُخْرِجُهُ لَنَا عَسَلًا مُصَفًّى، أَمَّا النَّمْلُ فَلَا يَفْعَلُ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَجْمَعَ غِذَاءَهُ وَلَا يُضِيفُ إِلَيْهِ شَيْئًا، فَعَرَفَتْ لُغَتُنَا عَلَى أَيْدِي أُولَئِكَ الْأَعْلَامِ الْعَالَمِيَّةَ، وَعُرِفَتْ فِي كُلِّ بِقَاعِ الْأَرْضِ وَانْتَشَرَتْ بِفَضْلِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَالدِّينِ الْقَوِيمِ، وَكَانَ وَرَاءَهَا عُلَمَاءُ أَجِلَّاءُ، فَاهْتَمُّوا بِقَوَاعِدِهَا، وَأَعَانَهُمُ اللهُ تَعَالَى، فَهُوَ الَّذِي وَكَلَ إِلَى نَفْسِهِ حِفْظَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ الْمُنْزَلِ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ، حَيْثُ قَالَ: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر:٩]

وَحِفْظُهُ لِلْقُرْآنِ الْكَرِيمِ يَتْبَعُهُ حِفْظُهُ لِلُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ الَّتِي هِيَ جِسْمُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَحِفْظُهُ لَهَا هُنَا يَعْنِي أَنَّهُ يُهَيِّئُ لَهَا رِجَالًا يَصْنَعُونَ لَهَا الْقَوَاعِدَ وَيُحَارِبُونَ مِنْ أَجْلِ بَقَائِهَا. فَكَانَ لَهُمْ مَا أَرَادُوا وَوُضِعَتِ الْقَوَاعِدُ، وَلَكِنْ هَلْ يَفْهَمُ تِلْكَ الْقَوَاعِدَ أَبْنَاؤُنَا فِي عَصْرِنَا هَذَا؟

لَا شَكَّ أَنَّ كَثِيرًا مِنْ أَبْنَاءِ عَصْرِنَا يَسْتَغْلِقُ عَلَيْهِمْ فَهْمُ هَذِهِ الْقَوَاعِدِ، وَهُنَا نَعُودُ إِلَى نُقْطَةِ الْبِدَايَةِ: مَا سِرُّ صُعُوبَةِ النَّحْوِ بِوَصْفِهِ مَادَّةً دِرَاسِيَّةً؟ وَالْحَقِيقَةُ – فِي رَأْيِي – أَنَّ ثَمَّةَ صُعُوبَةً، وَلَكِنْ لَيْسَتِ الصُّعُوبَةُ كَامِنَةً فِي النَّحْوِ، وَإِنَّمَا هِيَ فِي أُمُورٍ كَثِيرَةٍ لَا تَخُصُّ النَّحْوَ، مِنْ هَذِهِ الْأُمُورِ أَنَّنَا نُدَرِّسُهُ عَلَى أَنَّهُ مَادَّةٌ عِلْمِيَّةٌ، كُلُّ مَا يَحْتَاجُهُ الطَّالِبُ مِنْهَا النَّجَاحُ فِيهَا وَالْحُصُولُ عَلَى دَرَجَاتٍ عُلْيَا، مُبْتَعِدِينَ كُلَّ الْبُعْدِ عَنِ الْمَقْصِدِ مِنْ دِرَاسَةِ النَّحْوِ، فَقَدْ قَالَ أَبُو حَيَّانَ عَنِ النَّحْوِ – مَاهِيَتِهِ وَوَظِيفَتِهِ –: «النَّحْوُ الَّذِي قَصَدَ بِهِ الْمَاهِرُ فَتْقَ الْمَعَانِي، وَصِحَّةَ الْأَلْفَاظِ، وَتَوَخِّيَ الْإِعْرَابِ، وَاعْتِيَادَ الصَّوَابِ، وَمُجَانَبَةَ اللَّحْنِ».

إِنَّ النَّحْوَ هُوَ الْوَسِيلَةُ الَّتِي يَسْتَطِيعُ الطَّالِبُ عَنْ طَرِيقِهَا أَنْ يَتَحَدَّثَ اللُّغَةَ الصَّحِيحَةَ، وَلَكِنَّنَا جَعَلْنَاهَا مَادَّةً لَا غَرَضَ لَنَا مِنْ تَدْرِيسِهَا إِلَّا أَنْ تُحْسَبَ دَرَجَاتُهَا فِي الْمَجْمُوعِ الْكُلِّيِّ، فَصَارَتِ الْمَادَّةُ صَعْبَةً؛ وَالسِّرُّ أَنَّهَا أَمْسَتْ قَوَاعِدَ صَمَّاءَ يَحْفَظُهَا الطَّالِبُ وَلَا يَقْدِرُ عَلَى تَطْبِيقِهَا، بَلْ لَا يُمْنَحُ الْفُرْصَةَ لِتَطْبِيقِهَا. وَالْعِلَاجُ يَكْمُنُ فِي أَلَّا يَتَعَلَّمَ الطَّالِبُ النَّحْوَ لِذَاتِهِ، لَكِنْ يَتَعَلَّمُهُ لِتَطْبِيقِهِ فِي حَدِيثِهِ، وَيَسْتَطِيعُ الْمُعَلِّمُ أَنْ يُقَدِّمَ الدَّرْسَ عَلَى أَنَّهُ صِيَغٌ لُغَوِيَّةٌ، فَمَثَلًا إِذَا دَرَّسَ كَانَ وَأَخَوَاتِهَا، يَذْكُرُ جُمَلًا يَفْهَمُ مِنْهَا الطَّالِبُ أَنَّ اسْمَهَا مَرْفُوعٌ، وَخَبَرَهَا مَنْصُوبٌ، فَيَقُولُ مَثَلًا: (كَانَ الْجَوُّ جَمِيلًا)، (أَمْسَى الطَّالِبُ نَشِيطًا)، (صَارَ الْمَاءُ ثَلْجًا)، ثُمَّ يَطْلُبُ إِلَى الطُّلَّابِ أَنْ يَذْكُرُوا مَا لَاحَظُوهُ فِي هَذِهِ الْجُمَلِ، فَيَأْتُوا بِالْقَاعِدَةِ، ثُمَّ يَطْلُبُ إِلَيْهِمْ إِنْشَاءَ جُمَلٍ مِنْ عِنْدِهِمْ بِاسْتِعْمَالِ بَاقِي الْأَخَوَاتِ، وَيَسْتَطِيعُ فِعْلَ ذَلِكَ عِنْدَ تَدْرِيسِهِ إِنَّ وَأَخَوَاتِهَا، أَوِ الْحَالَ، وَسَائِرَ أَبْوَابِ النَّحْوِ.

إِذًا الصُّعُوبَةُ لَيْسَتْ فِي مَادَّةِ النَّحْوِ، وَإِنَّمَا فِي طَرِيقَةِ تَدْرِيسِهَا، فَمَا زَالَ الطُّلَّابُ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْبِلَادِ الْعَرَبِيَّةِ يَدْرُسُونَ النَّحْوَ بِأَمْثِلَتِهِ الْقَدِيمَةِ الَّتِي لَا يَفْهَمُهَا طُلَّابُ الْيَوْمِ، ومن ذلك: (عِنْدِي قَفِيزٌ بُرًّا – اشْتَرَيْتُ مَنَوَيْنِ عَسَلًا)، فَمَا زِلْنَا نَضَعُ الْأَمْثِلَةَ الَّتِي ذَكَرَهَا ابْنُ مَالِكٍ.

وَمِنْ أَسْبَابِ الصُّعُوبَةِ أَيْضًا هَجْمَةُ اللَّهَجَاتِ الَّتِي تَفَشَّتْ فِي وَسَائِلِ الْإِعْلَامِ الْمُخْتَلِفَةِ، وَالَّتِي لَا يَسْمَعُ الطَّالِبُ غَيْرَهَا فِي الْبَيْتِ أَوِ فِي الشَّارِعِ أَوْ فِي مَدْرَسَتِهِ، حَتَّى إِنَّ مُدَرِّسَ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ لَا يَتَحَدَّثُ مَعَهُ إِلَّا بِهَا. وَالْمَعْرُوفُ أَنَّ السَّمَاعَ هُوَ أَقْرَبُ الطُّرُقِ لِتَعَلُّمِ اللُّغَةِ، وَقَدْ لَخَّصَ الدُّكْتُور كَمَال بِشْر رَحِمَهُ اللهُ تَعَلُّمَ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ فِي كَلِمَتَيْنِ: اسْمَعْ وَأَسْمِعْ، فَأَنَّى لِلطَّالِبِ أَنْ يَتَكَلَّمَ الْفُصْحَى وَهُوَ لَمْ يَسْمَعْهَا. وَأَيْنَ يَسْمَعُهَا إِذَا شَاءَ سَمَاعَهَا؟

أَرَى أَنَّ الْعِلَاجَ النَّاجِعَ لِتَحْقِيقِ السَّمَاعِ وَالْإِسْمَاعِ يَكْمُنُ فِي تَطْبِيقِ فِكْرَةِ الْحَمَّامِ اللُّغَوِيِّ، فَكَمَا يَغْمُرُ الْمَاءُ الْإِنْسَانَ فِي حَمَّامِ الْمَاءِ، فَإِنَّ اللُّغَةَ يُمْكِنُ أَنْ تَغْمُرَ التِّلْمِيذَ مُنْذُ بِدَايَةِ دُخُولِهِ الْمَدْرَسَةَ،

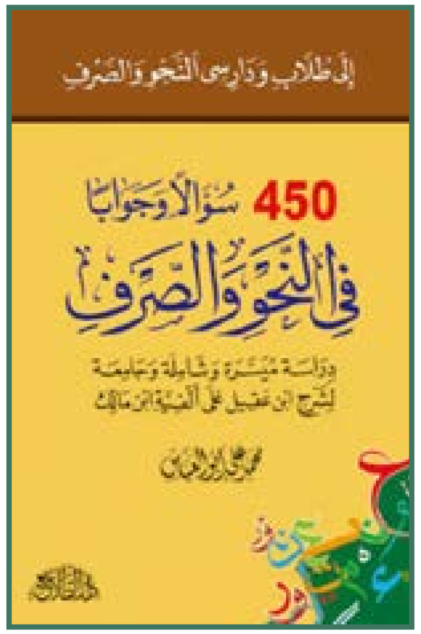

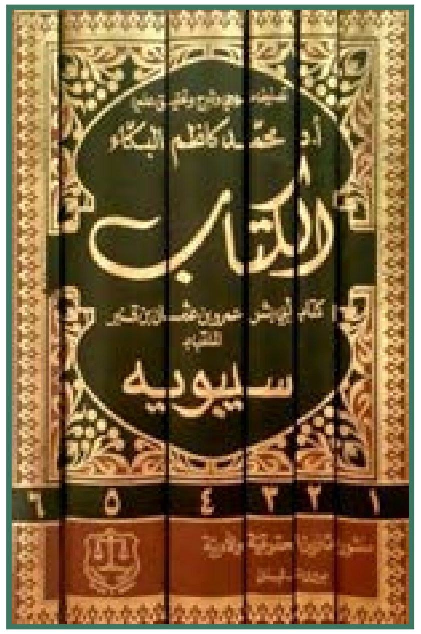

وَذَلِكَ عَنْ طَرِيقِ الْمُعَلِّمِينَ، فَالْمُعَلِّمُونَ بِجَمِيعِ تَخَصُّصَاتِهِمْ لَا يَتَحَدَّثُونَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ، وَلَا يُحَدِّثُونَ تَلَامِيذَهُمْ إِلَّا بِاللُّغَةِ الْفَصِيحَةِ، فَلَا يَسْمَعُ التِّلْمِيذُ سِوَى الْكَلِمَاتِ وَالْعِبَارَاتِ الْفَصِيحَةِ مِنْ مُدَرِّسِيهِ، وَمِنْ ثَمَّ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُحَاكِيَهُمْ، فَتَصِيرُ لُغَتُهُ الْمَحْكِيَّةُ هِيَ اللُّغَةَ الْفَصِيحَةَ، وَلَكِنْ هَذَا يَتَطَلَّبُ تَدْرِيبَ الْمُعَلِّمِينَ؛ حَتَّى تَكُونَ لَدَيْهِمُ الْقُدْرَةُ عَلَى التَّنْفِيذِ. وَلَعَلَّنَا بِذَلِكَ نَقْضِي عَلَى اللُّغَةِ الْمُخْتَرَعَةِ حَدِيثًا الَّتِي انْتَشَرَتْ بَيْنَ الشَّبَابِ فِي وَسَائِلِ التَّوَاصُلِ الاجْتِمَاعِيِّ وَالْمُسَمَّاةِ (الْفِرَانْكُو أَرَاب) فَكَتَبُوا الْحُرُوفَ الْعَرَبِيَّةَ بِالْحُرُوفِ الْإِنْجِلِيزِيَّةِ وَأَدْخَلُوا فِيهَا الْأَرْقَامَ رُمُوزًا لِبَعْضِ الْحُرُوفِ، فَوَضَعُوا الرَّقْمَ (٢) رَمْزًا لِحَرْفِ الْهَمْزَةِ، ... وهكذا، وَالنَّحْوُ بَرَاءٌ مِنْ كُلِّ هَذَا، فَالْأَسْبَابُ تَرْجِعُ إِلَى الشَّبَابِ أَنْفُسِهِمْ، فَهُمْ يَشْعُرُونَ بِضَعْفِهِمْ فِي كِتَابَةِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ أَوْ يُرِيدُونَ إِظْهَارَ تَمَيُّزِهِمْ بِأَنَّهُمْ يَعْرِفُونَ تِلْكَ اللُّغَةَ الْمُسْتَحْدَثَةَ، وَلَكِنْ بِتَطْبِيقِ فِكْرَةِ الْحَمَّامِ اللُّغَوِيِّ يَشْعُرُ الطُّلَابُ عِنْدَئِذٍ أَنَّهُمْ يَتَعَلَّمُونَ قَوَاعِدَ اللُّغَةِ الَّتِي يَتَكَلَّمُونَهَا فَيُحْسِنُونَهَا.

عَلَى أَيَّةِ حَالٍ يَنْبَغِي أَلَّا نُقْحِمَ النَّحْوَ فِي كُلِّ مُشْكِلَاتِ اللُّغَةِ، فَاللُّغَةُ قِرَاءَةٌ وَكِتَابَةٌ قَبْلَ الْقَوَاعِدِ. إِذَا تَمَكَّنَ الطَّالِبُ مِنَ الْقِرَاءَةِ وَالْكِتَابَةِ الصَّحِيحَةِ فَسَوْفَ تَكُونَ قَوَاعِدُ اللُّغَةِ سَهْلَةً مَيْسُورَةً. وَلِكَيْ نَصِلَ إِلَى هَذَا يَنْبَغِي أَنْ نُوقِفَ زَحْفَ اللُّغَاتِ الْأَجْنَبِيَّةِ الَّتِي صَارَتْ لُغَةَ الْعُلُومِ فِي الْجَامِعَاتِ، وَالْمَدَارِسِ الابْتِدَائِيَّةِ. وَالْأَمَلُ كَبِيرٌ فِي مَجْمَعِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ بِالشَّارِقَةِ أَنْ يَهْتَمَّ بِنَشْرِ الْعُلُومِ بِاللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، ولا يَكْتَفِي بِتَعْرِيبِهَا كَمَا يَفْعَلُ مَجْمَعُ الْقَاهِرَةِ، فَالْمَطْلُوبُ نَشْرُهَا.

وَمِنَ الْمُشْكِلَاتِ الَّتِي تُوَاجِهُ النَّحْوَ التَّعْلِيمِيَّ تَدْرِيسُ كُلِّ قَوَاعِدِهِ فِي الْمَدَارِسِ، مَعَ أَنَّ الطُّلَّابَ لَنْ يَسْتَفِيدُوا مِنْهَا شَيْئًا، بَلْ رُبَّمَا تَضُرُّهُمْ، فَكَيْفَ يَسْتَطِيعُ تِلْمِيذٌ فِي الْمَرْحَلَةِ الْمُتَوَسِّطَةِ أَنْ يَفْهَمَ (كَانَ) التَّامَّةَ بَعْدَ أَنْ عَلَّمْنَاهُ أَنَّهَا نَاقِصَةٌ نَاسِخَةٌ تَرْفَعُ الْمُبْتَدَأَ وَتَنْصِبُ الْخَبَرَ؟ وَكَيْفَ يَفْهَمُ أَنَّ الْحَالَ تَكُونُ جَامِدَةً بَعْدَ أَنْ عَلَّمْنَاهُ أَنَّهَا تَكُونُ مُشْتَقَّةً؟ أَرَى أَنَّ هَذَا حَشْوٌ لَا لُزُومَ لَهُ، وَرَحِمَ اللهُ الْجَاحِظَ حَيْثُ قَالَ: «**أَمَّا النَّحْوُ فَلَا تَشْغَلْ قَلْبَكَ مِنْهُ إِلَّا بِقَدْرِ مَا يُؤَدِّيهِ إِلَى السَّلَامَةِ مِنْ فَاحِشِ اللَّحْنِ، وَمِنْ مِقْدَارِ جَهْلِ الْعَوَامِّ فِي كِتَابٍ إِنْ كَتَبَهُ، وَشِعْرٍ إِنْ أَنْشَدَهُ، وَشَيْءٍ إِنْ وَصَفَهُ، وَمَا زَادَ عَلَى ذَلِكَ فَهُوَ مَشْغَلَةٌ عَمَّا هُوَ أَوْلَى بِهِ، وَمُذْهِلٌ عَمَّا هُوَ أَرَدُّ عَلَيْهِ مِنْهُ مِنْ رِوَايَةِ الْمَثَلِ وَالشَّاهِدِ، وَالْخَبَرِ الصَّادِقِ، وَالتَّعْبِيرِ الْبَارِعِ، وَعَوِيصُ النَّحْوِ لَا يَجْرِي فِي الْمُعَامَلَاتِ، وَلَا يُضْطَرُّ إِلَيْهِ شَيْءٌ**».

وَالْخُلَاصَةُ: إِذَا كَانَ الْعَيْبُ مَحْصُورًا فِي طَرِيقَةِ التَّقْدِيمِ وَحَشْوِ الْقَوَاعِدِ بِمَا يَشْغَلُ عَنِ الْأَصْلِ، وَمَا لَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ فَمِنَ الْعَيْبِ أَلَّا نَتَلَافَى هَذَا الْعَيْبَ، فَإِذَا عُرِفَ الدَّاءُ أَصْبَحَ فِي مُتَنَاوَلِ الْأَيْدِي الدَّوَاءُ، فَالدَّاءُ الَّذِي يَسْرِي فِي عُرُوقِ النَّحْوِ التَّعْلِيمِيِّ هُوَ التَّعْسِيرُ، وَالدَّوَاءُ الْمَنْشُودُ هُوَ التَّيْسِيرُ، فَلِمَ نَظَلُّ مَكْتُوفِي الْأَيْدِي وَنُصِرُّ عَلَى أَنْ نَسِيرَ عَلَى مَا سَارَ عَلَيْهِ الْقُدَمَاءُ فِي تَقْدِيمِهِمُ النَّحْوَ لِدَارِسِيهِمْ؟ هَلْ عَصْرُنَا مِثْلُ عَصْرِهِمْ؟ هَلْ تَمَسُّكُنَا بِاللُّغَةِ الْفَصِيحَةِ نُطْقًا وَكِتَابَةً يُمَاثِلُ مِنْ قَرِيبٍ أَوْ بَعِيدٍ تَمَسُّكَهُمْ؟

لَقَدْ تَغَيَّرَ الْعَصْرُ، وَأَصْبَحَ طُلَّابُنَا غَيْرَ قَادِرِينَ عَلَى الْقِرَاءَةِ إِلَّا قَلِيلًا، وَلَيْسَ لَدَيْهِمْ طَرِيقٌ لِتَحْصِيلِ اللُّغَةِ إِلَّا فِي الْمَدَارِسِ، فَالْعِبْءُ كُلُّ الْعِبْءِ عَلَى الْمَدَارِسِ، وَمِنْ ثَمَّ يَنْبَغِي أَنْ نَهْتَمَّ بِإِعْدَادِ الْمُعَلِّمِ، وَانْتِقَاءِ الْمُقَرَّرَاتِ التَّعْلِيمِيَّةِ الَّتِي تُفِيدُ الطَّالِبَ وَلَا تُعَقِّدُهُ، كَمَا **يَنْبَغِي أَنْ نُقَدِّمَ لَهُ مَادَّةً سَهْلَةً شَائِقَةً فِي صُورَةِ نُصُوصٍ شِعْرِيَّةٍ أَوْ نَثْرِيَّةٍ مُعَاصِرَةٍ، يَسْتَخْرِجُ مِنْهَا قَوَاعِدَ اللُّغَةِ وَبَلَاغَتَهَا، مَعَ حَفْزِهِ عَلَى ارْتِيَادِ الْمَكْتَبَاتِ وَقِرَاءَةِ الْكُتُبِ الَّتِي تَجْعَلُهُ يَفْخَرُ بِلُغَتِهِ وَمَا بِهَا مِنْ جَمَالٍ فَلَا يَسْتَغْنِي عَنْهَا لِحِسَابِ لُغَاتٍ أُخَرَ.** وَيَنْبَغِي أَلَّا نَمَلَّ مِنْ مُطَالَبَةِ الْقَائِمِينَ عَلَى مَنْظُومَةِ التَّعْلِيمِ بِتَطْبِيقِ هَذَا، فَقَدْ قَالَ الشَّاعِرُ:

اطْلُبْ وَلَا تَضْجَرْ مِنْ مَطْلَبٍ
فَآفَةُ الطَّالِبِ أَنْ يَضْجَرَا
أَمَا تَرَى الْمَاءَ بِتَكْرَارِهِ
فِي الصَّخْرَةِ الصَّمَّاءِ قَدْ أَثَّرَا

Government of Sharjah حكومة الشارقة
مجمع اللغة العربية بالشارقة
ARABIC LANGUAGE ACADEMY IN SHARJAH

مركز اللسان العربي

FREE Arabic Courses

for **Non-Arabic Speakers**
at Arabic Language Academy

CONTACT US

00971 6 516 0400 \ 00971 6 516 0401
Sharjah ,Arabic Language Academy
info@alashj.ae R.abujuhain@alashj.ae
www.alashj.ae

فصاحة دؤلية

أبو الأسود الدؤلي: رائد النحو العربي

إعداد الدكتور: جهاد مصطفى محمد سليم

إن الحديث عن أبي الأسود الدؤلي ، حديث طويل متعدّد الجوانب؛ لذلك فإن البحث في سيرته مفصلة شاملة بحث كبير جداً لا يتسع له مثل هذا المقام، بل يحتاج إلى دراسة خاصَّة منفردة. ومما يزيد الأمر صعوبة وطولاً : أن سيرة هذا العَلَم الهمام -على أهمِّيَّتها وضخامتها- غير مبوَّبة ولا مرتَّبة في المراجع اللغوية، والأدبيَّة، والتاريخية، بل هي مذكورة في تلك الكتب ذِكْراً مبعثراً ومشتّتاً إلى أبعد الحدود.

ولذلك فإنّا نستَعينُ اللهَ على جمع وذِكر هذه اللّمحة الموجزة عن سيرة مَلِكِ النحو، وأول من أسس العربية، ونهج سُبُلها، ووضع قياسها، ووضع باب الفاعل والمفعول به، والنصبِ، والجرِّ، والجزم. وأول من شكل آيات القرآن الكريم، ووضع النقاط على الأحرف العربية. فنقول:

اسمه ظالم –وقيل: عثمان– بن عمرو بن سفيان –وقيل ابن ظالم– بن جندل بن يَعمر بن حُلَيْس –وقيل ابن حِلْس– ابن نُفاثة بن عدي بن الدُّؤل –وقيل ابن الدِّيل– بن بكر بن عبد مناة بن كنانة، أبو الأسود الدُّؤَلي –ويقال الدِّيْلي، والدُّئِلي، والدّوْلي، والدُّوَلي–، البَصري.

وُلِدَ بالكوفة في زمن النبوّة، قبل الهجرة بستة عشر عاماً –على خلاف في ذلك–، وهاجرإلى البَصرة على عهد عمر بن الخطاب ﵁. من سادات التابعين وأعيانهم، كان معدودًا في الفقهاء، والشُّعراء، والمحدِّثين، والأشراف، والفُرسان، والأمراء، والدُّهاة، والنُّحاة، وأصحاب البداهة، والنُّبلاء، والبخلاء. وعدَّهُ الحافظ ابن حجر ﵀ من الصحابة.

وتوفيَ في الطاعون الجارف سنة تسع وستين للهجرة بالبصرة، وهو ابن خمس وثمانين سنة.

وله من الأولاد: عطاء، وحرب –أو أبو حرب–، وابنتان.

قصة بداية لعلم النحو:

روي أنَّ السبب الذي وُضعت له أبواب النحو: أنَّ ابنته قَعَدَت معه في يومٍ قائظٍ شديد الحرّ، فأرادت التعجُّب من شدة الحرِّ فقالت: ما أشدُّ الحرِّ! فقال لها: الحَصْباءُ بالرَّمْضاء –جواباً عن كلامها لأنه استفهام–، فقالت: إنما تعجبتُ من شِدَّته، فقال: أَوَقَدْ لَحَن الناسُ؟! فأخبر بذلك عليًّا فأعطاه أصولاً بنى عليها، وعَمِلَ بعده عليها.

وروي أن أبا الأسود قال: دخلتُ على عليٍّ ﵁ ، فرأيتُه مُطْرِقاً، فقلتُ: فيم تتفكَّر يا أميرَ المؤمنين؟ قال: سمعتُ ببلدِكم لَحْنًا فأردتُ أن أضع كتاباً في أصول العربية. فقلتُ: إنْ فعلتَ هذا، أَحْيَيْتَنا. فأتيتُه بعد أيَّامٍ، فألقى إليَّ صحيفة فيها: الكلام كلُّه اسمٌ، وفعلٌ، وحَرْفٌ، فالاسْمُ ما أنبأ عن المُسَمَّى، والفِعلُ ما أنبأ عن حَرَكَةِ المسمّى، والحَرْف ما أنبأ عن معنىً ليس باسمٍ ولا فِعْل.

ثم قال لي: زِدْهُ وتَتَبَّعْه، فجمعتُ أشياءَ ثم عرضتُها عليه. فقال لي: ما أحسنَ هذا النَّحْوَ الذي نَحَوْتَ! فَمِن ثمَّ سُمِّيَ النَّحْوُ نَحْوًا.

وذُكِرَ أن أبا الأسود جاء إلى زياد –أمير البصرة–، فقال: إنِّي أرى العرب قد خالطَتْ هذه الأعاجم، وتَغَيَّرتْ ألسنتُهم، أفتأذنُ لي أن أضع للعرب كلاماً يُقِيْمونَ به كلامهم؟ قال: لا، فجاء رجل إلى زياد، فقال الرجل: أصلح الله الأمير! تُوفِّيَ أبانا وترك بنون. فقال زياد: تُوفِّيَ أبانا وترك بنون! ادعُ لي أبا الأسود. فَدُعِيَ، فقال: ضع للناسِ الذي كنتُ نهيتُكَ أن تضعَ لهم.

قصة تشكيل آيات القرآن الكريم:

وذُكِر أنَّ أبا الأسود سَمِع قارئًا يقرأ: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٌ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ﴾ [التوبة: ٣] –بكسر اللام–، فقال: ما ظننتُ أنَّ أَمْرَ النّاس قد صار إلى هذا، فقال لزياد الأمير: أبْغِني كاتِبًا لَقِنًا –أي: سريع الفهم–، فأتى به، فقال له أبو الأسود: إذا رأيتَني قد فتحْتُ فَمِي بالحرْفِ؛ فانْقُط نُقطةً أعلاهُ، وإذا رأيتَني قد ضَمَمْتُ فمي؛ فانْقُط نُقطةً بين يدي الحَرْف، وإن كَسَرْتُ؛ فانقُط نقْطةً تحت الحرف، فإذا أتْبَعْتُ شيئًا من ذلك غُنَّةً فاجعل مكان النقطة نقطتين.

مقتطفات من سيرته:

روي أنَّ غلاماً كان يرتاد مجلس أبي الأسود الدؤلي يتعلم منه النَّحْوَ، فقال له أبو الأسود يوماً: ما فَعَل أبوك؟ قال: أَخَذَتْه حُمَّى فَضَخَتْه –أي: شدخته– فَضْخًا، وطَبَخَتْهُ طبْخًا، وفَتَخَتْهُ فتْخًا –الفتخ: استرخاء المفاصل–، فَتَرَكَتْه فَرْخًا. قال: فما فَعَلَت امرأة أبيك التي كانت تُشَارُّه، وتُجَارُّه، وتُضَارُّه، وتُزارُّه –من المزارّة؛ وهي العضّ–، وتُهارُّه، وتُمَارُّه؟ قال: طَلَّقها، وتزوَّجت غيره؛ فرضيَت، وحَظِيَت، وبَظِيَت. فقال أبو الأسود: وما بَظِيَتْ يا بُنَي؟ قال: حرفٌ من العربيّة لم يبلغك. قال: لا خير لك فيما لم يبلغْني منها.

وكان لأبي الأسود جار سوء، وكان هذا الجار قد أُولِعَ برمي أبي

الأسود بالحجارة؛ كلما أصبح، وكلما أمسى، فشكا أبو الأسود ذلك إلى قومه وغيرهم، فكلّموا جاره، فكان فيما اعتذر به إليهم أن قال: إن الله يرميه لقطيعته الرَّحِم وسرعته إلى الظُّلم! فقال أبو الأسود: والله لا أجاور رجلاً يقطع رحمي، ويكذب على ربّي، ولو رماني الله لأصابني. فباع داره واشترى داراً له في هُذَيْل، فقال له قومه: يا أبا الأسود! أبعتَ دارك؟ فقال: لم أبِع داري، ولكن بعتُ جاري؛ فأرسلَها مثلاً. ولذلك قيل: الجارُ قبل الدّار. وقال أبو الأسود في ذلك:

رَمانيَ جاري ظالمًا لي بِرَمْيِهِ
فقلتُ له: مهلاً، فأنكر ما أتى
وقال: الذي يرميك ربُّك جازيًا
بِذَنْبِكَ والإذْنابُ يُعْقِب ما تَرى
فقلتُ له: لو أنَّ ربِّي بِرَمْيَةٍ
رماني لَمَا أخطا إلهيَ ما رَمى
جزى اللهُ شرًّا كلَّ مَنْ نالَ
سَوْءةً وينحَل منها الربَّ في عُذْرِه الرِّدا

قالوا عنه:

ذكر مجموعة من العلماء أنّه كان ثقة في الحديث النبوي، منهم: الإمام يحيى بن معين، والعِجْلِيّ، وابن حجر العسقلانيّ، وابن سعد، وأبو الفَرَج الأصبهانيّ، وشمس الدين ابن الجزريّ. وحديثه مرويٌّ في الكتب الستّة.

وقال أبو الفَرَج الأصبهاني: كان أبو الأسود من وجوه التابعين، وفقهائهم، ومُحَدِّثيهم.

وقال الواقدي: كان من وجوه التابعين، ومن أكملهم عقلاً ورأياً.

وقال ابن خلكان: كان من أكمل الرجال رأياً، وأسدّهم عقلاً.

وقال ابن عبد البَر: كان ذا دِيْن، وعقلٍ، ولسانٍ، وبيانٍ، وفَهْمٍ، وذكاءٍ، وحزمٍ، من كبار التابعين.

وقال أبو الطيِّب اللغوي الحلبي: وكان أبو الأسود أعلم الناس بكلام العرب، وزعموا أنه كان يُجيب في كلّ اللغة.

وقال الجاحظ: جمع جودة اللسان، وقول الشِّعر. وقال أيضاً: كان حكيماً أديبًا، وداهيًا أريبًا.

وقال ابن الأعرابي: الفُصحاء في الإسلام أربعة، وعدَّ أبا الأسود منهم.

وقال الآمدي: كان حليماً، وحازماً، وشاعراً متقن المعاني.

وقال الزِرِكْلي: له شِعْرٌ جيِّد.

من أقواله وقصائده:

– إنّي أَجِدُ لِلَّحن غَمَرًا كغَمَر اللّحم. (الغَمَر: الدَّسم والزهومة في اللحم).

– لَيْس للسَّائل المُلحف مثل الرد.

وله قصائد عديدة جُمِعَت له في عدد من المؤلفات، منها: ديوان أبي الأسود الدؤلي لأبي سعيد الحسن السكري، وديوان أبي الأسود الدؤلي لعبد الكريم الدجيلي. ونذكر من قصائده:

إِذَا كنتَ مَعْنِيًّا بأمْرٍ تُريدُهُ
فما للمَضاءِ والتوكُّل مِن مِثْلِ
توكَّلْ وحَمِّلْ أمْرَكَ اللّهَ إنَّ ما
يُرادُ له آتيكَ أنتَ له مُخْلِ

ومنها:

لا تَشوبَنَّ بحقٍّ باطلا
إنَّ في الحقِّ لذي الحق سَعَهْ
أطِلِ الصَّمتَ إذا لم تُسَل
إنّ في الصمتِ لأقوامٍ دَعَهْ
رُبَّ ماشٍ بحديثٍ قاله
لا يضُرُّ المرءَ أنْ لا يسمَعَهْ

ومنها:

أحْبِبْ إذا أحببتَ حُبًّا مُقارِباً
فإنّكَ لا تدري متى أنتَ نازعُ
وأبغِضْ إذا أَبْغَضْتَ بُغضاً مُقاربا
فإنّكَ لا تدري متى أنت راجعُ
وكُنْ معدناً للحلم واصفحْ عن الأذى
فإنك راءٍ ما عملتَ وسامعُ

ومنها:

وما طَلَبُ المعيشةِ بالتَّمنّي
ولكنْ ألْقِ دلوَكَ في الدِّلاءِ
تَجِيءُ بمَلْئها يوماً، ويوماً
تَجِيء بحَمْأةٍ وقَليلِ ماءِ

ومنها:

غدا منك في الدنيا الشَّبابُ فأسْرعا
وكان كجارٍ بانَ منكَ فودَّعا
فقلتُ له: فاذهبْ ذَميماً فليتَني
قتلتُكَ عِلماً قبل أنْ تتصدَّعا
جَنيتَ عَليَّ الذَّنْبَ ثمَّ خذلتَني
عليه فبئس الخَلّتانِ هُما مَعا
وكنتَ سَراباً ماحِصاً إذْ تَركتَني
رَهِينَةَ ما أجْني من الشرِّ أجمعا

وفي الختام: هذا ما تيسر لي ذكره بعد بحثٍ وجمع، والنقص واردٌ والزلل حاصل، فما كان صواباً فمن الله، وما كان خطأً فمن نفسي والشيطان، وسبحان من له الكمال والعزة والجلالة، وصلى الله على سيّدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

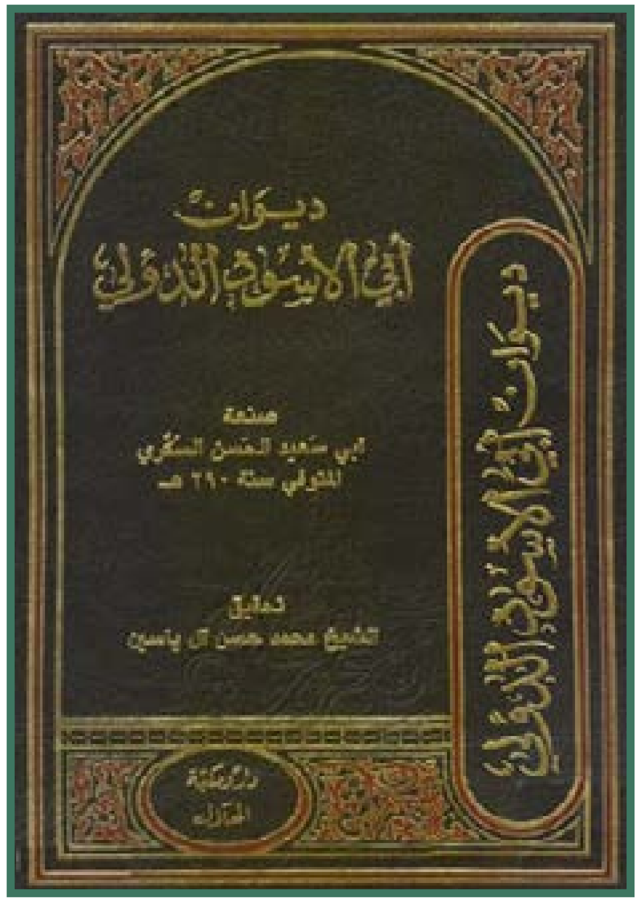

«رُؤْيـــا النَّبِـيِّ» ﷺ

د. مـاجـد الـزعبـي
شاعر معاصر

لَمّا بَـدا لِـيَ نـورُ الأَرْضِ مُتَّـقِـدا ... وَرُحْتُ أَبْحَثُ في أَيِّ الذُّرى صَعِدا
آنَسْتُ وَقْعَ خُطًا في لَيْلَةٍ سَكَنَتْ ... إلّا مِنَ الوَحْيِ تَنْزيلًا قَدِ انْعَقَدا
حادٍ إِلى الغارِ شَوْقًا كُلَّما وَقَعَتْ ... خُطايَ في إِثْرِهِ أَلْهَمْنَني مَدَدا
ما لي بِبابِ حِراءٍ مِنْ يَدٍ فَإِذا ... قَصَّرْتُ حَبْلَ اشْتِياقي طالَ بي أَمَدا
وَقَفْتُ بِالبابِ ظِلًّا مِنْ مَهابَتِهِ ... أَزُفُّ لِلْأَرْضِ بُشْرى النّورِ حينَ بَدا
في كَفِّهِ الماءُ يُهْديهِ وَكُنْتُ هُنا ... ظَمْآنَ هابَ مِنَ الإِجْلالِ أَنْ يَرِدا
أَطْرَقْتُ رَأْسي فَناداني عَلى مَهَلٍ ... وَذُبْتُ مِنْهُ حَياءً حينَ مَدَّ يَدا
لَمَّا دَنَوْتُ سَقاني شَرْبَةً فَسَرى ... في أَضْلُعي مِنْ بَديعِ الشِّعْرِ ما عُقِدا
وَعَمَّ فَيْضُ سَناهُ لَيْلَ مَبْعَثِهِ ... حَتّى جَلا النّورُ عَنْ ظَلْمائِهِ الرَّمَدا
غَفَوْتُ في الغارِ لَيْلًا وَانْتَفَضْتُ ضُحًى ... أُفَتِّشُ الغارَ لكِنْ لا أَرى أَحَدا
فَمِلْتُ شَوْقًا إِلى رُؤْيايَ أوقِظُها ... حَتَّى تَبَدّى عَميمَ الحُسْنِ مُنْفَرِدا
مُتَوَّجًا بِفَخارِ المَجْدِ حُقَّ لَهُ ... ما كانَ مُطَّرَفًا مِنْهُ وَمُتَّلَدا
سيماهُ في وَجْهِهِ وَقْفٌ عَلى بَصَرٍ ... لا يَسْتَطيعُ لَها وَصْفًا وَلَوْ جَهِدا
أَبْصَرْتُهُ في مَحَجِّ النّاسِ مُعْتَكِفًا ... يَلُمُّ آيَ ضِياءٍ عَمَّ كُلَّ مَدى
نورٌ عَلى مَكَّةَ الغَرّاءِ تَحْرُسُهُ ... مَلائِكُ اللّهِ أَنّى قامَ أَوْ سَجَدا
وَراحَ يَحْمِلُ هَمَّ النّاسِ قاطِبَةً ... في مَبْسَمٍ قَدْ أَراحَ الهَمَّ وَالكَمَدا
وَيَوْمَ آذَوْهُ جازاهُمْ بِمَغْفِرَةٍ ... يُدْني بِها لِمَحَلِّ العَفْوِ مَنْ بَعُدا
فَدانَتِ الأَرْضُ عَنْ حُبٍّ لَهُ وَغَدَتْ ... آياتُ سيرَتِهِ في المَشْرِقَيْنِ هُدى
وَلَمْ أَزَلْ في اغْتِباطٍ أَنْ وَقَفْتُ عَلى ... بابِ المَدينَةِ في السّارينَ مُبْتَعِدا
حَتّى بَدا لي مُحَيّاهُ عَلى وَضَحٍ ... في مَوْكِبٍ في فَخارِ الدَّهْرِ قَدْ خَلَدا
مَدَدْتُ كَفّي لِلُقْياهُ فَأَعْجَزَني ... أَنّي أَفَقْتُ مِنَ الرُّؤْيا وَصِرْتُ صَدى
يا أَكْرَمَ النّاسِ في فَضْلٍ وَفي شَرَفٍ ... حاشاكَ أَنْ تَخْذَلَ الدّاني وَقَدْ قَصَدا
وَأَكْمَلَ الخَلْقِ فَوْقَ الأَرْضِ لَيْسَ لَهُ ... مِثْلٌ وَأَطْهَرَهُمْ في بَطْنِها جَسَدا
وَمَنْ إِذا الحِلْمُ وَالأَخْلاقُ قَدْ نُسِبَتْ ... إِلَيْهِ أُلْبِسْنَ مِنْ إِحْسانِهِ بُرَدا
كَأَنَّ لي فيهِ آياتٍ أُسَطِّرُها ... بِما أَفاضَ مِنَ السُّقْيا عَلَيَّ هُدى
قَصَرْتُ فَيْضَ ثَنائي في مَحَبَّتِهِ ... وَلَمْ أَجِدْ عَنْ مَحَلِّ الشُّكْرِ مُلْتَحَدا
تَأْبى البَلاغَةُ أَنْ تَرْقى لِمَنْزِلَةٍ ... قَدْ خُصَّ فيها نَبِيُّ اللّهِ وَانْفَرَدا
فَلَوْ لَبِسْتُ لِمَدْحِ المُصْطَفى حُلَلًا ... أَلْفَيْتُ كُلَّ ثَناءٍ فيهِ قَدْ زَهِدا
وَلَوْ عَدَدْتُ سَجاياهُ بِما سَمَحَتْ ... بِهِ القَراطيسُ ما أَحْصَيْتُها عَدَدا
مَوْلى الفَضائِلِ أَنَّى أَبْتَغي بَدَلًا ... مِنْ حَمْدِهِ وَهْوَ مَوْلى كُلِّ مَنْ حَمِدا

حســان بــن ثـابــت رضي الله عنه
شاعر الدعوة الإسلامية

د.عبد الرزاق عبيد
أستاذ جامعي وباحث أكاديمي

نسبه و مولده:

ولد حسان بن ثابت بن المنذر بن حزام بن عمرو بن زيد مناة بن عدى بن النجار الخزرجي الأنصاري «٥٦٣ م/ ٦٧٤ م» في يثرب، وهو من قبيلة الخزرج اليمنية الأزدية، وينحدر نسبه من بني النجار أخوال عبد المطلب بن هاشم جد الرسول ﷺ، ويثرب كما عُرِف عنها آنذاك مدينة تعتمد في حياتها على الزراعة لكثرة مياهها، وخصوبة أراضيها، فقد كانت واحة خصبة ذات تربة صالحة لزراعة النخيل، لذا كان الخزرج والأوس واليهود يزاولون مهنة الزراعة فيها، بعكس مكة التي تقع في واد غير ذى زرع فاعتمدت قريش فيها على التجارة والسقاية والرفادة للحجيج.

وعندما قدم المهاجرون إلى يثرب وجدوا أن مناخها موبئ لكثرة المياه والمستنقعات فانتشرت بينهم الحمّى والأمراض فدعا الرسول ﷺ ربه أن يطيب هواءها فكان له ذلك، لهذا أطلق عليها اسم «طيبة»، كانت المدينة قبل الإسلام معمورة تسكنها قبيلة جُرهم والعمالقة، يقول «ياقوت الحموي» في معجم البلدان: «إن أول من زرع بالمدينة، واتخذ بها النخل، وعمر بها الدور والآطام، واتخذ بها الضياع العماليق وهم بنو عملاق بن أرْفَخشَد بن سام بن نوح».

ثم جاء اليهود وبعدهم الأوس والخزرج، ويذكر بعض المفسرين أنهم وفدوا إليها أثناء حكم بختنصّر (بوخذ نصر الثاني) ملك بابل، أما الأوس والخزرج فيعود تاريخ نزولهم المدينة إلى ما بعد خراب سد مأرب المشهور الذي ورد ذكره في القرآن الكريم أو قبله، وهناك من يؤرخ لذلك بالقرن الخامس للميلاد، فالأوس والخزرج إذن من أصل يمني؛ من قبيلة الأزد، يذكر ذلك حسّان بن ثابت نفسه في شعره:

إمّا سَألْتَ، فَإنّا مَعْشَرٌ نُجُبُ
الأَزْدُ نِسْبَتُنَا، وَ الْمَاءُ غَسّانُ
شُمُّ الأُنُوفِ لَهُمْ مَجْدٌ وَمَكْرُمَةٌ
كَانَتْ لَهُمْ كَجِبَالِ الطَّوْدِ أرْكَانُ

والمقصود «بالماء غسّان» هو أن غسّان اسم ماء نزل عليه قوم من الأزد واستقروا هناك فنسبوا إليه ولقبوا بالغساسنة.

ولما نزل الأوس والخزرج يثرب احتكوا باليهود وقلدوهم، فامتهنوا الزراعة وبنوا الأطام «أي الحصون» ومالبثوا أن دارت بينهم الحروب والنزاعات فتغلبوا خلالها على اليهود وقهروهم واستتب لهم الأمر فيها– استقر الأوس بالجنوب واستوطن الخزرج داخل المدينة – ولكن ما إن مكثوا فيها حتى نشبت بينهم عدة حروب، استغل اليهود هذا الوضع فكانوا يتحالفون مع كل قبيلة على حدة ويذكون نار الفتنة بينهما بغية إضعافهم وصرفهم عنهم واستئثارهم بالملك لأنفسهم دونهم، يقول شوقي ضيف: «وأكبر الظنّ أنّ اليهود هم الذين عملوا على الوقيعة ونشر العداوة والبغضاء بينهم، حتى يصرفوهم عنهم، وكانوا يصنعون لهم الأسلحة التى تستخدم في تلك الحروب الدامية» ، فوقعت بينهم عدة حروب منها حرب الفجار وسمير والسَّرارة والربيع ومُعبَسٍّ ومُضَّرس وحاطب آخرها كانت حرب بُعاث التي ذهبت قبل نشوبها الأوس إلى مكة تطلب التحالف مع قريش، فاغتنم الرسول هذه الفرصة، واتصل بهم ودعاهم إلى الإسلام فأعرضوا عنه بدعوة أنهم قدموا من أجل التحالف لا الإسلام، وفي السنة الثانية دخل منهم الإسلام اثنا عشر رجلا وامرأة، وسميت هذه البيعة بيعة العقبة الأولى، وفي العقبة الثانية بايعوا الرسول بيعة الحرب.

إسلام حسّان بن ثابت رضي الله عنه:

يذكر أن الرسول صلى الله عليه وسلم عندما قدم المدينة المنورة كان لحسّان بن ثابت من العمر ستون سنة، أو إحدى وستون وهو العمر الذي أسلم فيه، ذكر الأصفهاني في كتابه «الأغاني» أن حسّان عمر عشرين ومائة سنة، ستون منها في الجاهلية وستون في الإسلام، فهو بذلك من الشعراء المخضرمين.

كان حسّان بن تابث عصبي المزاج بطبعه، سريع الانفعال، شديد الغضب، فخورًا بنفسه وبقومه، معتزا بنسبه، أنيقا يهتم بمظهره و زينته، أصيب بالعمى في أواخر حياته، ولكن ذلك لم يمنعه من قول الشعر، فوصف عماه قائلًا:

إن يَأخُذِ اللّهُ مِن عَينَيَّ نورَهُما
فَفي لِساني وَقَلبي مِنهُما نورُ
قَلبٌ ذَكِيٌّ وَعَقلٌ غَيرُ ذي دَخَلٍ
وَفي فَمي صارِمٌ كَالسَيفِ مَأثورُ

قال حسان بن ثابت الشعر صغيرًا ونبغ فيه إلى أن صار من أهم شعراء الخزرج وفحولها، يرجع هو ذلك إلى كون قول الشعر فطرة اشتهر بها أهله، يقول:

لِكُلِّ أُناسٍ ميسَمٌ يَعرِفونَهُ
وَميسَمُنا فينا القَوافي الأَوابِدُ

قال عنه «أبو عبيدة»: وفَضل الشّعراء بثلاث: فهو شاعر الأنصار في الجاهلية وشاعر النّبي في النبوة، وشاعر اليمن كلّها في الإسلام، واتفقت العرب على أنّ أشعر أهل المدَر أهل يثرب، وأشعر أهل يثرب حسّان بن ثابت.

وعندما نستعرض أسماء الذين بايعوا الرسول في العقبة الأولى والثانية لا نجد بينهم اسم حسّان، وإنما نجد أخاه أوس بن ثابت، ونجد كعب بن مالك وعبد الله بن رواحة؛ لذلك فمن المرجح أن يكون قد أسلم بعد هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة، وحينذاك أعلن إسلامه، قال:

شَهِدتُ بِإِذنِ اللَهِ أَنَّ مُحَمَّداً
رَسولُ الَّذي فَوقَ السَماواتِ مِن عَلُ
وَأَنَّ الَّذي عادى اليَهودَ اِبنَ مَريَمَ
رَسولٌ أَتى مِن عِندِ ذي العَرشِ مُرسَلُ
وَأَنَّ أَخا الأَحقافِ إِذ يَعذِلونَهُ
يُجاهِدُ في ذاتِ الإِلَهِ وَيَعدِلُ

فقال النبي ﷺ: «**وأنا أشهد معك**».

دفاع حسان عن الدعوة الإسلامية بشعره:

وإذا كان المسلمون قد استطاعوا رد أعدائهم بحد السيف، فإنهم وقفوا حيارى أمام هجاء شعراء المشركين لهم، وفي مقدمة هؤلاء الشعراء: عبد الله بن الزِّبعري، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطّلب، وعمرو بن العاص، وضرار بن الخطّاب، فقد تعرض هؤلاء لأعراض المسلمين وشرفهم بهدف التقليل من شأن رسالتهم وإضعاف عزيمتهم، فانتدب الرسول ﷺ الأنصار لهذا الأمر قائلاً لهم: «**ما يمنع القوم الذين نصروا رسول الله بسلاحهم أن ينصروه بألسنتهم؟**» فقال حسان: أنا لها، وأخذ بطرف لسانه وقال: والله ما يسرني به مِقْول بين بُصرى وصنعاء، ولو شئت لأفرينهم بلساني فري الأديم، فقال له رسول الله ﷺ: «**كيف تهجوهم وأنا منهم؟**» فقال حسان: إنى أسلك منهم كما تسلّ الشعرة من العجين، وفي رواية أخرى طلب الرّسول عليه السلام

من حسّان بن ثابت ﵁ أن يذهب إلى أبي بكر الصديق ﵁ ليطلعه على أنساب قريش، فأتاه حسّان ثم رجع فقال: يا رّسول الله قد لخص لي نسبك والذي بَعَثَك بالحق لأسلك منهم كما تسل الشعرة من العجين. فقال له رّسول الله: ﷺ اهجهم وجبريل معك، وقالت عائشة ﵂ : سمعت رّسول الله يقول لحسّان إن روح القدس لازال يؤيدك ما نافحت عن الله ورسوله، وقالت أيضًا: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «هجاهم حسّان، فشفى واشتفى».

و منذ ذلك الحين أصبح حسّان شاعر الرّسول يذود عنه وعن الدعوة الإسلامية، ويقارع شعراء المشركين بحماس شديد وشعر قوي، مما جعل أعداءه يلقبونه بـ« اللعين» لكونه نصر الرّسول صلى الله عليه وسلم، وجاهد معه بلسانه، وحطم معه الأصنام تحطيمًا معنويًا فتغلب على أشعر شعراء الكفار وأسكتهم، ففي هذه الأبيات مثلا يرد على هجاء سفيان بن الحارث للرسول الله ﷺ ببيان قوي قائلاً:

هَجَوْتَ محمدًا فأَجَبْتُ عَنْهُ
وعِنْدَ اللّٰهِ في ذاكَ الْجَزاءُ
هَجَوْتَ مُبَارَكًا بَرًّا حَنيفًا
أَمِينَ اللّٰهِ شيمَتُهُ الْوَفَاءُ
وَجِبْرِيلُ أَمِينُ اللّٰهِ فِينَا
وَرُوحُ الْقُدْسِ لَيْسَ لَهُ كِفَاءُ
فَإِنَّ أَبِي وَوَالِدَه وَعِرْضِي
لِعِرْضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ وِقَاءُ
أَتَهْجُوهُ وَلَسْتَ لَهُ بِكُفْءٍ
فَشَرُّكُمَا لِخَيْرِكُمَا الْفِدَاءُ

وفي واقعة أخرى تبين مدى أهمية شعر حسّان ودور الشعر عموما في نشر الإسلام جاء فيها أن الخزاعي بن عبد نهم وعد الرّسول بأن يدخل الإسلام هو وقبيلته في السنة الخامسة للهجرة، لكنه لم يفعل، فأمر الرّسول ﷺ حسان ابن ثابت أن يقول فيه شعرًا فأنشد قائلا:

أَلا أَبْلِغْ خُزاعِيًّا رَسولاً
فَإِنَّ الغَدرَ يَنقُضُهُ الوَلاءُ
وَإِنَّكَ خَيرُ عُثمانَ بنِ عَمروٍ
وَأَسناهُم إِذا ذُكِرَ السَّناءُ

فكان لهذين البيتين خاصة أثر عميق ومباشر في إسلام الخزاعي وقومه .

وبفضل شعر حسّان أيضا أسلم وفد «بني تميم » الذين اقبلوا على الرّسول عليه السلام و نادوه قائلين:«جئنا لنفاخرك بشاعرنا وخطيبنا ، فقال الرسول : ما بالشعر بعثنا ولا بالفخار أمرنا ولكن هاتوا » وبدأت المناظرة وقام الزّبرقان بن بدر شاعر الوفد فأنشد قصيدة منها:

نَحْنُ الْكِرامُ فَلا حَيٌّ يُعادِلُنَا
مِنَّا الْمُلُوكُ وَفِينَا تُنْصَبُ الْبِيَعُ
فَمَنْ يُفَاخِرُنَا في ذَاكَ نَعْرِفُهُ
يُرْجِعُ الْقَوْمُ وَالأَخْبَارُ تُسْتَمَعُ

فقام حسّان بن ثابت بأمر من الرسّول وردّ عليه مفتخرا بقصيدة منها:

إِنَّ الذَوائِبَ مِنْ فِهْرٍ وَإِخْوَتِهِمْ
قَدْ بَيَّنُوا سُنَّةً لِلنَّاسِ تُتَّبَعُ
يَرْضَى بِهَا كُلُّ مَنْ كَانَتْ سَرِيرَتُهُ
تَقْوَى الإِلَهِ وَكُلُّ الْخَيْرِ يُصْطَنَعُ
قَوْمٌ إِذَا حَارَبُوا ضَرُّوا عَدُوَّهُمُ
أو حَاوَلُوا النَّفْعَ فِي أَشْيَاعِهِمْ نَفَعُوا

فقام الأقرع بن حابس قائلا: «إن هذا الرّجل لمؤتّى له ... ولشاعره أشعر من شاعرنا، وأصواتهم أعلى من أصواتنا»، فأسلم هو و قومه، وقال الحارث بن عوف بن أبي حارثة للرسّول عليه الصلاة والسلام: «أجرني من شعر حسّان، فلو مزج البحر بشعره لمزجه»، وهذا إن دَلَّ فإنه يدل على مدى شاعرية حسّان.

وما لبث حسان أن وهب نفسه لله وللدعوة الإسلامية فكسب حُبَّ الرسول ﷺ وثقته، وأصبح وزير دعايته، وشاعر خاصته، ينافح عنه، ويكيد لأعدائه وأعداء الإسلام الويل والثبور بمعية ثلة من شعراء كانوا قد أسلموا. نذكر منهم علي سبيل المثال: كعب بن مالك وعبد الله بن رواحة، فتصدّوا لشعراء المشركين، ووهبوا أنفسهم للدفا ع عن الإسلام بأمر من رسول الله ﷺ، ومن القصائد الخالدة التي مجد فيها حسان بن ثابت الإسلام قصيدته التي مطلعها:

شَقَّ لَهُ مِنِ إِسمِهِ كَي يُجِلَّهُ
فَذُو العَرشِ مَحمودٌ وَهَذا مُحَمَّدُ

أحدث هذا الدين الجديد الذي هو الإسلام تحولا وتغيرا في نفسية حسّان انعكس على شعره بوضوح في ألفاظه ومعانيه.

فأصبح القرآن الكريم وحديث الرّسول عليه الصلاة والسلام معجمه اللفظي، ومورد موضوعاته.

فقد كان يستشهد بالقرآن ويقتبس منه في الشكل والمضمون ليدعم معانيه ويقويها. ففي رثائه لرّسول صلى الله عليه وسلم يقول:

عَزِيزٌ عَلَيْهِ أَن يَجُورُوا عَنِ الْهُدَى
حَرِيصٌ عَلَى أَنْ يَسْتَقِيمُوا وَيَهْتَدُوا

ومعنى هذا البيت مقتبس من سورة التوبة الآية ١٢٧: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾

و غلبت على شعره الدقة والصرامة، واللين والسهولة، وروعة الأسلوب، وبلاغة التصوير، من ذلك تلك القصائد الخالدة التي مجد فيها حسّان بن ثابت الإسلام والمسلمين والرّسول ﷺ قائلاً:

نَبِيٌّ أَتَانَا بَعْدَ يَأْسٍ وَفَتْرَةٍ
مِنَ الرُّسلِ وَ الْأَوْثَانُ فِي الْأَرْضِ تُعْبَدُ
فَأَمْسَى سِرَاجًا مُسْتَنِيرًا وَهَادِيًا
يَلُوحُ كَمَا لَاحَ الصَّقِيلُ الْمُهَنَّدُ
وَأَنْذَرَنَا نَارًا وَبَشَّرَ جَنَّةً
وَعَلَّمَنَا الْإِسْلَامَ فَاللَّهَ نَحْمَدُ
وَ أَنْتَ إِلَهُ الْحَقِّ رَبِّي وَخَالِقِي
بِذَلِكَ مَا عُمِّرْتُ فِي النَّاسِ أَشْهَدُ

وتحولت معانيه إلى الدعوة لتوحيد الله ونشر الإسلام ومحاربة عبادة الأوثان. سئل حسان عن سبب تحول لغة شعره بعد إسلامه، فقال: «إن الإسلام يمنع الكذب، وإن الشعر يزينه الكذب».

هذا، وإذا لم يشارك حسان بسيفه في حروب المسلمين للكفار، فإنه كان سيد الحرب بلسانه. حتى أنه لقب بأبي الحسام. فكان يضيف بشعره لانتصار المسلمين في المعارك انتصارات معنويةً أخرى يؤرخ من خلالها هذه البطولات والفتوحات والانتصارات ويخلدها، وهكذا أضحى غازيًا بشعره ولسانه، وجاعلًا من الكلمة سيفًا قاطعًا يفصل به بين الحق والباطل، ففي السنة الثانية للهجرة خرجت قريش بتسعمائة مقاتل لقتال المسلمين في حين بلغ عدد المسلمين في هذه المعركة ثلاث مائة وثلاثة عشر، ودارت بينهم معركة هي معركة بدر، انتصر فيها المسلمون على قريش فأنشد عبد الله بن الزبعرى قصيدة يهجو فيها المسلمين ويرثي قتلى قريش مطلعها:

مَاذَا عَلَى بَدْرٍ وَ مَاذَا حَوْلَه
مِنْ فِتْيَةٍ بِيضِ الْوُجُوهِ كِرَامِ

فتصدى له حسّان بقصيدة يناقضه فيها ويمدح المسلمين على حسن انتصارهم قائلاً:

إبكِ بَكَت عَيناكَ ثُمَّ تَبادَرَت
بِدَمٍ يَعُلُّ غُروبَها بِسِجامِ
ماذا بَكَيتَ عَلى الَّذينَ تَتابَعوا

هَلّا ذَكَرتَ مَكارِمَ الأَقوامِ
وَذَكَرتَ مِنّا ماجِداً ذا هِمَّةٍ
سَمحُ الخَلائِقِ ماجِدَ الإِقدامِ
أَعني النَبِيَّ أَخا التَكَرُّمِ وَالعُلى
وَأَبَرَّ مَن يولي عَلى الأَقسامِ
فَلِمِثلِهِ وَلِمِثلِ ما يَدعو لَهُ
كانَ المُمَدَّحَ ثُمَّ غَيرَ كَهامِ

و يقول أيضا في قصيدة أخرى:

غَداةَ كَأَنَّ جَمعَهُمُ حِراءُ
بَدَت أَركانُهُ جُنحَ الغُروبِ
فَلاقَيناهُمُ مِنّا بِجَمعٍ
كَأُسدِ الغابِ مِن مُردٍ وَشيبِ
أَمامَ مُحَمَّدٍ قَد آزَروهُ
عَلى الأَعداءِ في رَهجِ الحُروبِ
بِأَيديهِم صَوارِمُ مُرهَفاتٌ
وَكُلُّ مُجَرَّبٍ خاطي الكُعوبِ
فَغادَرنا أَبا جَهلٍ صَريعاً
وَعُتبَةَ قَد تَرَكنا بِالجَبوبِ
وَشَيبَةَ قَد تَرَكنا في رِجالٍ
ذَوي حَسَبٍ إِذا انتَسَبوا حَسيبِ
يُناديهِم رَسولُ اللَهِ لَمّا
قَذَفناهُم كَباكِبَ في القَليبِ
أَلَم تَجِدوا حَديثي كانَ حَقّاً
وَأَمرُ اللَهِ يَأخُذُ بِالقُلوبِ
فَما نَطَقوا وَلَو نَطَقوا لَقالوا
صَدَقتَ وَكُنتَ ذا رَأيٍ مُصيبِ

الطيب صالح وروايته
موسم الهجرة إلى الشمال
مضامينها وتماسك نصوصها

يتناول هذا المقال التعريف بالأديب الروائي العالمي الطيب صالح، ويعطي فكرة موجزة عن أهم رواياته، وأكثرها شهرة: موسم الهجرة إلى الشمال، فضلا عن بيان النموذج اللساني المستخدم في تحليل بعض نصوصها؛ للكشف عن ترابطها وتماسكها للتعبير عن مضامينها، وذلك على الترتيب الآتي:

أ.د. بكـري محـمـد الحـاج
رئيس مجمع اللغة العربية بالخرطوم

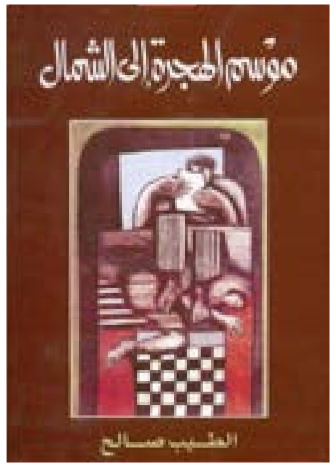

التعريف بالطيب صالح:

أولا: اسمه، ومولده، ونشأته:

اسمه الكامل الطيب محمد صالح أحمد. ولد عام (١٣٤٨هـ–١٩٢٩م) في قرية كرمكول بمحافظة مروي بالولاية الشمالية بالسودان . عاش مطلع حياته وطفولته في ذلك الإقليم، و في شبابه انتقل إلى الخرطوم لإكمال دراسته؛ فحصل من جامعتها على درجة البكالوريوس في العلوم. سافر إلى إنجلترا حيث واصل دراسته، وغيّر تخصصه إلى دراسة الشؤون الدولية السياسية.

ثانياً: حياته المهنية:

تنقل الطيب صالح بين عدة مواقع مهنية، حيث عمل لفترة قصيرة في إدارة مدرسة، ثم لسنوات طويلة من حياته في القسم العربي لهيئة الإذاعة البريطانية، وترقى بها حتى وصل إلى منصب مدير قسم الدراما، وبعد استقالته من هيئة الإذاعة البريطانية عاد إلى السودان وعمل لفترة في الإذاعة السودانية، ثم هاجر إلى دولة قطر، وعمل في وزارة إعلامها وكيلاً ومشرفاً على أجهزتها. وبعد ذلك شغل منصب المدير الإقليمي لمنظمة اليونيسكو في باريس، وعمل ممثلاً لهذه المنظمة في الخليج العربي. ويمكن القول: إن حالة الترحال والتنقل بين الشرق والغرب والشمال والجنوب أكسبت الطيب صالح خبرة واسعة بأحوال الحياة والعالم، وأهم من ذلك أحوال أمته وقضاياها، وهو ما وظفه في كتاباته وأعماله الروائية وخاصة روايته العالمية «موسم الهجرة إلى الشمال».

ثالثاً: أعماله الأدبية وإسهاماته الأخرى:

كتب الطيب صالح العديد من الروايات التي ترجمت إلى أكثر من ثلاثين لغة وهي « موسم الهجرة إلى الشمال» و«عرس الزين» و«مريود» و«ضو البيت» و«دومة ود حامد» و«منسى».

أصدر الطيب صالح ثلاث روايات، وعدة مجموعات قصصية قصيرة. حُوِّلَتْ روايته «عرس الزين» إلى دراما في ليبيا، وإلى فيلم سينمائي من إخراج المخرج الكويتي خالد صديق في أواخر السبعينات؛ حيث فاز في مهرجان كان.

وفضلا عن اهتماماته الأدبية فقد عني في كتاباته بالسياسة، وتناول مواضيع متعلقة بالاستعمار، والمجتمع العربي والعلاقة بينه وبين الغرب. في أعقاب إقامته لسنوات طويلة في بريطانيا فإن كتابته تطرقت للاختلافات بين الحضارتين الغربية والشرقية.

وفي مجال الصحافة، كتب الطيب صالح خلال عشرة أعوام عموداً أسبوعياً في صحيفة لندنية تصدر بالعربية تحت اسم المجلة فيها مواضيع أدبية متنوعة.

رابعا: وفاته:

توفي في يوم الأربعاء ١٨ فبراير عام ٢٠٠٩م في لندن، وشيع جثمانه يوم الجمعة ٢٠ فبراير في السودان، حيث حضر جنازته عدد كبير من الشخصيات البارزة والكتاب العرب، وشهد الباحث تشييع جثمانه، حيث ووري الثرى بمقابر البكري بأم درمان.

وخصصت الأجهزة الإعلامية السودانية الكثير من النشرات الاخبارية والبرامج للحديث عنه ، كما اهتمت بنبأ وفاته الأجهزة الإعلامية الإقليمية والعالمية.

التعريف برواية موسم الهجرة ، والوقوف على معالم مجتمع الرواية:

أولا: التعريف بالرواية:

تعرف موسوعة ويكبيديا بهذه الرواية بالقول:« تعد (موسم الهجرة إلى الشمال) واحدة من أفضل مائة رواية في العالم. وقد حصلت على العديد من الجوائز. وقد نشرت لأول مرة في أواخر

الستينات من القرن العشرين في بيروت، وتم تتويج كاتبها (عبقري الأدب العربي). في عام ٢٠٠١ تم الاعتراف بكتابه من قبل الأكاديمية العربية في دمشق على أنها «الرواية العربية الأفضل في القرن العشرين».

ويبين الأديب رجاء النقاش قيمة هذه الرواية في مستهل مقاله الذي كتبه عنها قائلا: «لم أصدق عيني وأنا ألتهم سطور هذه الرواية، وأتنقل بين شخصياتها النارية العنيفة النابضة بالحياة، وأتابع مواقفها الحارة المتفجرة، وبناءها الفني الأصيل الجديد على الرواية العربية ... لم أتصور أنني أقرأ رواية كتبها فنان عربي شاب، ولم أتصور أن هذه الرواية الناضجة الفذة « فكراً وفناً » هي عمله الأول. لقد أخذتني الرواية بين سطورها في دوامة من السحر الفني والفكري، وصعدت بي إلى مرتفعات عالية من الخيال الفني الروائي العظيم، وأطربتني طرباً حقيقياً بما فيها من غزارة شعرية رائعة»[1] .

ويوازن رجاء النقاش بين هذه الرواية ونظيراتها من الروايات العربية التي تعرضت لبيان العلاقة بين الشرق والغرب؛ فيقول:«إن الرواية تعالج المشكلة الرئيسية التي عالجها من قبل عدد من كبار الكتاب العرب. إنها نفس المشكلة التي عبَّر عنها توفيق الحكيم في روايته «عصفور من الشرق»، وعبَّر عنها بعد ذلك يحيى حقي في روايته « قنديل أم هاشم »، وعبر عنها الروائي اللبناني سهيل إدريس في روايته «الحي اللاتيني» ... وأقصد بهذه المشكلة : مشكلة الصراع بين« الشرق والغرب» وكيف تواجه الشعوب الجديدة هذه المشكلة ... كيف تعالجها وتتصرف فيها ؟ ... هل تترك هذه الشعوب ماضيها كله، وتستسلم للحضارة الغربية، وتذوب فيها، وتقلدها تقليداً كاملاً ؟ هل تعود هذه الشعوب إلى ماضيها وترفض الحضارة الغربية وتعطيها ظهرها، وتنكرها إنكاراً لا رجعة فيه ؟ هل تتخذ موقفاً ثالثاً يختلف عن الموقفين السابقين ... وما هو هذا الموقف الجديد ؟... تلك هي المشكلة التي

(١) ا لطيب الصالح عبقرية روائية جديدة، رجاء النقاش، على شبكة الانترنت.

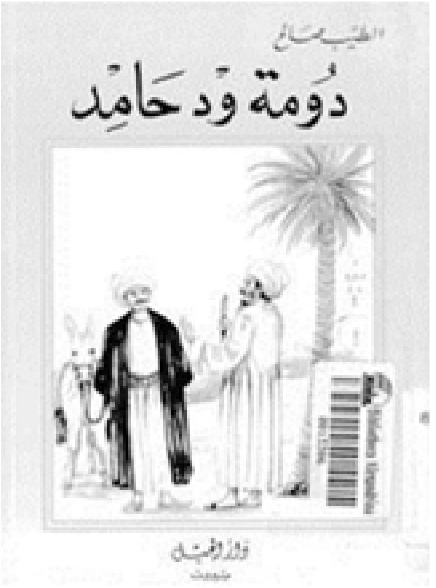

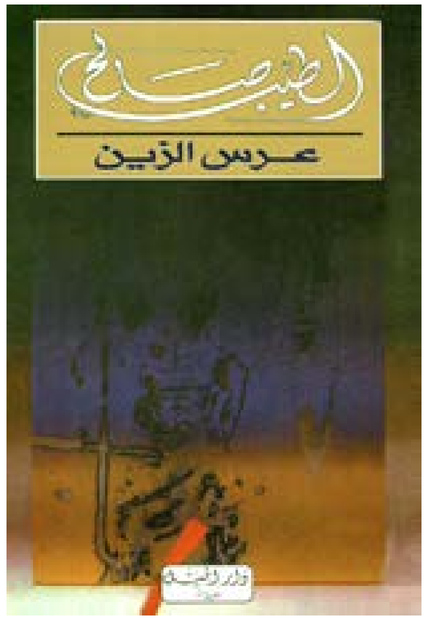

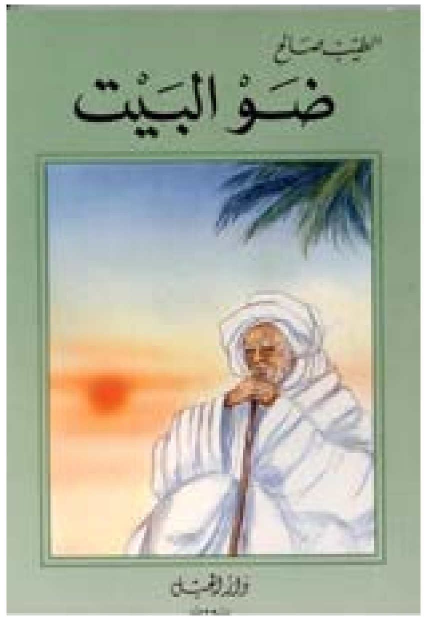

تعالجها رواية الطيب الصالح»[2].

واختلف الباحثون حول مصطفى سعيد، الشخصية المحورية التي تتكرر في موسم الهجرة، هل هو الطيب صالح نفسه الذي انتقل إلى لندن، وبقي بها شطرا من حياته إلى أن توفي فيها، أم أنه شخص آخر نسجه خيال الأديب الطيب صالح راوياً لأحداث الرواية.

ثانيا: بعض معالم المجتمع الذي تدور فيه أحداثها:

يرجح الباحث أن المجتمع الذي تدور فيه أحداث رواية موسم الهجرة إلى الشمال، وروايات الطيب وقصصه الأخرى منتزعة من البيئة التي ولد فيها، وهي قرية كرمكول بمحافظة مروي بالولاية الشمالية بالسودان.

ويحاول الباحث أن يتلمس معالم هذه المنطقة بإيجاز، ويشير الكاتب في مستهل رواية موسم الهجرة إلى الشمال لى هذه القرية، على لسان راويه مصطفى سعيد بقوله: «**عدت إلى أهلي يا سادتي بعد غيبة سبعة أعوام على وجه التحديد، كنت خلالها أتعلم في أوربا ... المهم أني عدت، وبي شوق عظيم إلى أهلي في تلك القرية الصغيرة عند منحنى النيل**»[3].

وتطالعنا قصة دومة ود حامد – في بدايتها– برسم عدد من معالم المعاناة التي يلاقيها سكان هذه القرية، ويتغلب سكانها على مشقة حياتهم التي لا تتوفر فيها أساسيات الحياة من تعليم وصحة وغيرهما، باللجوء إلى عوالم الغيب والروحانيات التي نسج خيال الكاتب حولها عددا من المشاهد، ومن هذه الاعتقاد في دومة ود حامد، وما تمثله من ملاذ للجميع عند الشدائد، وقد أطال الطيب صالح في وصفها، وبيَّن أنها نبتَتْ من غير زراعة، وشمخت باسقة من غير جهد يد.[4]

وقد بذلت مساعٍ من قبل المسؤولين في الدولة لتغيير نظرة السكان تجاه هذه الدومة، ولكنها تحطمت على صخرة مقاومتهم، وليس سبب الاحتكاك بين السلطة الرسمية في الدولة وسكان القرية مرده إلى اختلاف مناحي الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية فيها عن المدينة والمركز فحسب، بل إن للجانب الروحي والعقدي أثرا كبيرا في تعميق دواعي هذا الاحتكاك، حيث يميل سكان القرية إلى نموذج التدين الشعبي المرتكز على التعلق

(٢) المرجع السابق

(٣) رواية موسم الهجرة، للطيب صالح: ٥.

(٤) ينظر: قصة دومة ود حامد للطيب صالح: ٣٦–٣٨.

بالأولياء والصالحين، في حين تحاول السلطة الرسمية وصلهم بالتدين الذي يربطهم بربهم بصورة مباشرة؛ ولذا استقدمت الحكومة لهم واعظا بقي في القرية شهرا كاملا يغالب ظروف الحياة الصعبة.

ثالثا: التماسك النصي في رواية موسم الهجرة والنموذج اللساني المستخدم في التحليل:

تعريف النص:

اُخْتُلف حول القدر من الوحدات اللغوية التي تؤلف نصا من النصوص، وهل يطلق على المكتوب أو المنطوق، ويرى هاليداي ورقية حسن أنه « يمكن أن يكون منطوقا أو مكتوبا، شعرا كان أو نثرا، أو حوارا أو مونولوجا، أو أيَّ شيء آخر، بدءا بمثل مفرد إلى مسرحيَّة كاملة، ومن صرخة استغاثة إلى مناقشاتٍ يوم كامل تجريها لجنة»(٥).

وتعد الجملة نواة للنص، فمن تتابعاتها يتكون النص في أغلب الأحيان، على الرغم من أنه يمكن للجملة الواحدة أن تعد نصا ما دامت تمثل تعبيرا عن مضمون دلالي متكامل المحتوى. ويبن سعد مصلوح العلاقة بين الجملة والنص بقوله:« أما النص فليس إلا سلسلة من الجمل، كل منها يفيد السامع فائدة يحسن السكوت عليها، وهو مجرد حاصل جمع للجمل الداخلة في تشكيله» (٦).

ويحتفظ النص بخصائص تميزه عن الجملة، تتمثل في ارتباطه بالمواقف الاتصالية، وبالسياق؛ لكونه وسيلة اتصالية بين المتكلم والمخاطب.

التماسك النصي: مفهومه وأدواته:

- **مفهوم التماسك النصي في تراث العربية، وعند الغربيين:**

ويستهل الباحث الحديث هنا بتناول مفهوم التماسك النصي

عند علماء العربية لسبقهم، ثم يتبعه بتحديد مفهومه عند الغربيين على الوجه الآتي:

- **مفهوم التماسك النصي في تراث العربية:**

يدور النص حول فكرة جامعة ذات مضمون دلالي ينشأ في ذهن صاحب الرسالة اللغوية الذي يسعى إلى نقله إلى المتلقي، ويطلق على المضمون الدلالي الدلالة الجامعة الكبرى (الفكرة الأساسية) «ومنها تتولد أفكار فرعية كبرى، تربطها بالفكرة الأساسية روابط لغوية دلالية، كالإيحات؛ فتجعلها مفتقرة لغيرها لتمام دلالاتها»(٧).

ويدور مفهوم التماسك عند علماء العربية حول ترابط القدر من الوحدات اللغوية التي تحقق التواصل بين المتكلم والمتلقي، والمدار في هذا يتمحور حول تحقيق الفائدة للمخاطب بوساطة هذه الوحدات. نجد هذا في تحديدهم لمفهوم الكلام الذي أورده ابن عقيل بقوله: «اللفظ المفيد فائدة يحسن السكوت عليها»(٨)

- **مفهوم التماسك النصي في الفكر اللغوي الغربي:**

يتردد في الفكر اللغوي الغربي مفهومان يتصلان بالنص ومكوناته وترابطها هما الاتساق والانسجام، «والاتّساق (Cohesion)هو ما يترتب على إجراءات تبدو بها العناصر

(٥) رؤية الموت ودلالتها في عالم الطيب صالح الروائي، من خلال روايتي: موسم الهجرة إلى الشمال، وبندر شاه» للدكتور عبد الرحمن عبد الرؤوف الخانجي: (رسالة رقم ١٠٢ مارس ١٩٩٥).

(٦) من نحو الجملة إلى نحو النص، سعد مصلوح، الكتاب التذكاري بقسم اللغة العربية بجامعة الكويت، إعداد وديعة طه نجم، وعبدة بدوي: ٤٠٧

(٧) أثر عناصر الاتساق في تماسك النص دراسة نصية من خلال سورة يوسف لمحمود سليمان حسين ص: ٣٦.

(٨) شرح ابن عقيل على الفية ابن مالك ١/ ١٤.

السطحيّة على هيئة وقائع يؤدي السابق منها اللاحق، بحيث يتحقّق لها الترابط الرصفيّ؛ إذ يمكن استعادة هذا الترابط على هيئة نحوية للمركبات والتراكيب والجمل، وعلى أمور مثل التكرار، والالفاظ الكنائيّة، والأدوات، والإحالة المشتركة (Co-reference)، والحذف والروابط»(٩).

ويبدو من هذا أن الاتساق يتعلق بالشكل الذي تأتي عليه الجملة والنصوص في بنائها الظاهر، وما يستلزم من ذلك ترابط مكوناتها، في حين أن الانسجام يتعلق بالجانب الدلالي الذي يحدده البناء الباطن، وما يختزنه من إمكانات متعددة للتفسير في ضوء السياق الذي يحكم الاستخدام.

وسوف يلقي الباحث الضوء على الأدوات التي تؤدي إلى تماسك النص وترابط مكوناته في النقطة الآتية:

- **أهم أدوات التماسك النصي:**

هناك العديد من العناصر البنائية التي تحقق ترابط النصوص واتساقها. منها ما هو لفظي مثل الضمائر، وصيغ الموصول ، والإشارة، وغيرها، ومنها ما هو معنوي مثل الحذف، والاستبدال، والإتباع، ومنها ما يتصل بالمعجم مثل التكرار ، والتضام، فضلا عن السياق، وسيمر علينا مثالان من رواية موسم الهجرة يتم تحليلهما، والوقوف على بعض العناصر التي تؤدي إلى ترابط مكوناتهما في ثوب إبداعي.

٤- النموذج اللساني المستخدم في التحليل (طريقة تحليل الجملة والنص):

كما ذكر الباحث من قبل فإن الجملة هي الأساس في بنية النص، وهي قالب يتجسد المضمون أو المعنى من خلاله، وحيث إن الجملة هي نواة النص وأساسه؛ فسيبين الباحث الطريقة التي يسير عليها في تحليل المثالين المختارين المترابطين في مجالهما من الرواية كما يأتي:

(٩) الاتساق في العربية: ص: ٧٠.

موطن الطيب صالح

- «وجاءت أمي تحمل الشاي، وفرغ أبي من صلاته، وأوراده، فجاء، وجاءت اختي، وجاء أخواي، وجلسنا نشرب الشاي، ونتحدث»(١٠)

هذا المثال نص يحمل مضمونا دلاليا، يصور وصول مصطفى سعيد بطل رواية موسم الهجرة إلى الشمال، عائدا من لندن إلى القرية الوادعة الهادئة القابعة في منحنى النيل، وقد أحسن الجميع استقباله، وسعدوا بمقدمه، واحتفوا بمجيئه، وتجمعوا للأنس معه، وقد اُسْتُهِل النص بجملة فعلية بسيطة، مرتبة على الأصل، موسعة بالمفعول به وبجملة الحال.

- «أسمعُ طائرا يغرد أو كلبا ينبح أو صوت فأس في الحطب . وأحس بالاستقرار. أحس أني مهم، وأني مستمر ومتكامل» (١١).

جاء هذا المثال على لسان الراوي بعد عودته من اغترابه الطويل في بريطانيا، ومحاولته الاستقرار في قريته، وصور هنا تناغم المخلوقات من حيوانات وبشر مع الحياة في هذه القرية الوادعة الكائنة في منحنى النيل، ويكتفي الباحث بتحليل الجملة المركبة الأولى الواقعة في صدر هذا النص (أسمع طائرا يغرد أو كلبا ينبح) وهي جملة فعلية مركبة، مؤلفة من جملتين بسيطتين ربطت بينهما (أو) أداة العطف.

(١٠) موسم الهجرة إلى الشمال: ٦.

(١١) رواية موسم الهجرة: ٩.

السَّحْو والجــذور

من عاش بين الموريتانيّين - إخواننا في شنقيط - أو عاشرهم فإنه يذكر ولا شك، كلمة (السحوة) المتداولة فيما بينهم، وترمز إلى الحياء الاجتماعي، أو مراعاة قواعد الأعراف والعادات الاجتماعية، في المجتمع الموريتاني المسلم، العربيّ الأصيل! وهو ما يسميه القوم (إيتيكيت، أو قواعد البروتوكول أو البريستيج)

د. محمد فتحي الحريري - كاتب وباحث أكاديمي سوريا

فما جذور السحوة ؟

لابدَّ من هذا التساؤل، فالمجتمع الموريتاني ومعه المجتمع السنغالي العربيَّ المسلم أيضًا، مجتمع أصيل ولغته سليمة وفصيحة، ولا زالت الأمور هناك على النقاء والصفاء ولله الحمد:

مجتمع المليون شاعر،

مجتمع المحاضر العلمية (الكتّاب).

مجتمع التعليم بالمتون وفق الطرائق العربية التقليديّة القديمة.

مجتمع التزاور وصلة الأرحام ...... إلخ السمات الفطرية الجميلة، ولابدَّ إذن أن يكون للسحو والسحوة جذوراً عربيّةً أصيلة وفصيحة.

جاء في اللسان (مع التدخل والشرح والتصرف منا):

سَحَوْتُ الطِّينَ عن وجْهِ الأَرض وسَحَيْته إذاجَرَفْته.

وسَحا الطِّينَ بالمِسْحاة عن الأرض يَسْحُوه ويَسْحِيه ويَسْحاه سَحْواً وسَحْياً: قَشَره، وأَنا أَسحاه وأَسْحُوه وأَسْحِيه، (ثلاثُ لغات).

والمِسْحاة الآلة التي يُسْحَى بها. ويسميها العامة في بلاد الشام بالمجرفة، وبعضهم يسميها الصابّة.

ومُتَّخِذ المَساحي السَحَّاءُ، وحِرْفَتُه السِّحايَةُ؛ واستعاره رؤبة لحوافر الحُمُر فقال:

سَوَّى مَساحِيهِنَّ تَقْطِيط الحُقَقْ
تَفْلِيلُ ما قارَعْنَ من سُمْرِ الطُّرَقْ

ونلاحظ أنه نَصَبَ تَقْطِيطَ الحُقَق على المَصْدَرِ المُشَبَّة به لأَنَّ مَعْنَى سَوَّى وقَطَّطَ واحِدٌ وتَفْلِيلُ فاعل سَوَّى أي سَوَّى مَساحِيَهُنَّ تَكْسِيرُ ما قارَعتْ من سُمْرِ الطُّرَق والطُّرَقُ: جمع طُرْقَةٍ وهي حِجَارةٌ بعْضُها فوقَ بَعْض. والمَقَطُّ: مُنْقَطَع شَرَاسِيفِ الفَرَسِ كما في المُحْكَمِ وفي التَّهْذِيب:

مَقَطُّ الفَرَسِ: مُنْقَطَع أَضْلاعِه قالَ النّابِغَةُ الجَعْدِيّ الشاعر المعروف:

كَأَنَّ مَقَطَّ شَرَاسِيفِه
إِلى طَرَفِ القُنْبِ المَنْقَبِ
لُطِمْنَ بتَرْسٍ شَدِيدِ الصِّفا
قِ من خَشَبِ الجَوْزِلم يُثْقَبِ

والملاحَظ أنّ رؤبَة قد سمّى سَنابكَ الحُمُر(الحمير) مَساحِيَ لأَنها يُسْحَى بها الأَرضُ.

وفي حديث خيبر: فخرجوا بمسَاحِيهِم؛ المَساحي جمع مِسْحاة وهي المِجرفة الحديدية.

وسَحَى القِرْطاس والشَّحْمَ، واستَحى اللحمَ: قَشَرة؛ عن ابن الأَعرابي. وكلُّ ما قُشِرَعن شيء سِحايَةٌ.

وسَحْوُالشَّحمِ عن الإهاب(جلد الدابة): قَشْرُه وسلخه، وما قُشِرَ عنه سِحاءَة كسِحاءَةِ النَّواةِ وسِحاءَة القرطاس.

والسّحا والسَّحاة والسِّحاءَةُ والسِّحاية : ماانْقَشَرمن الشيء كسِحاءَةِ النّواة والقرطاس.

وسيلٌ ساحِيةٌ: يَقْشِرُكلُّ شيء ويجرُفه ،الهاء للمبالغة. قال ابن سيده:

وأُرى اللحياني حكى سَحَيْت الجَمْرَ جَرَفْته، والمعروف سخَيْت بالخاء.

ومافي السماء سِحاءَةٌ من سحاب أَي قِشْرة على التشبيه أَي غَيمٌ رقيق.

وسِحايَة القِرْطاس وسِحاءته، ممدود، وسَحاتُه: ماأُخِذَ منه؛ الأَخيرة عن اللحياني. وسَحا من القِرْطاس: أَخذ منه شيئاً.

وسَحَا القِرْطاسَ سَحْواً وسَحّاه : أَخذ منه سِحاءَةً أَوشدَّة بها.

وسَحا الكتابَ وسَحّاهُ (بالتشديد) وأَسْحاه: شَدَّه بسِحاءة، يقال منه سَحَوْته وسَحَيْته، واسم تلك القشرة سِحايَة وسِحاءَةٌ وسَحاةٌ.

وسَحَّيْت الكتاب تَسْحِية: لشدِّه بالسحاءة، ويقال بالسِّحاية. الجوهري : وسِحاءُ الكتاب، مكسور ممدود، الواحدة سِحاءَة، والجمع أَسحِيةٌ.

وسَحَوْت القِرطاسَ وسَحَيْته أَسْحاهُ إذا قَشَرْته.

وأَسْحَى الرجلُ إذا كثرت عنده الأَسْحِيةُ.

وإذا شَدَدْت الكتابَ بسِحاءَةٍ، قلت: سَحَّيتُه تَسْحِية، بالتشديد ،وسَحَيْته أَيضاً، بالتخفيف.

وانْسَحَت اللِّيطة عن السَّهم : زالت عنه.

والأُسْحِيَّة: كلُّ قِشْرة تكون على مَضائِغِ اللّحم من الجِلْدِ.

وفي حديث أمِّ حكيم: أَتَتْه بكَتِفٍ تسْحاها أَي تَقْشِرُها وتكشِطُ عنها اللَّحم؛ ومنه الحديث: فإذاعُرْضُ وَجهِه،عليه السلام، مُنْسَحٍ أَي مُنْقَشِرٌ. وسَحى شعرَه واستحاه: حَلَقَه حتى كأَنه قَشَرَه.

واسْتَحى اللحمَ: قَشَرَه، أُخِذَ من سِحاءة القرطاس، (مرويّ عن ابن الأَعرابي).

قلت: ولعل أغلفة المخ (بمثابة القشورحوله) سُمِّيت بالسحايا من هذا الباب!!!

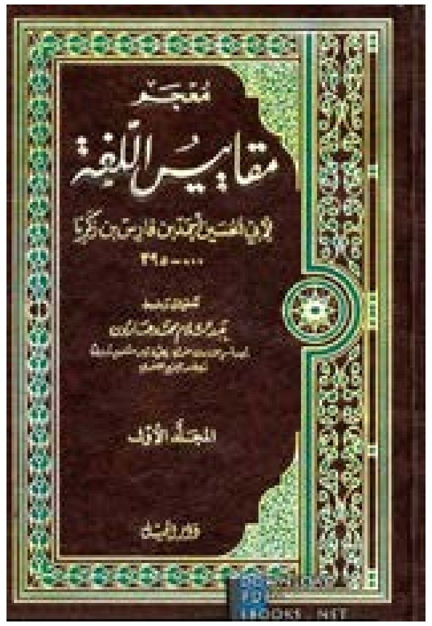

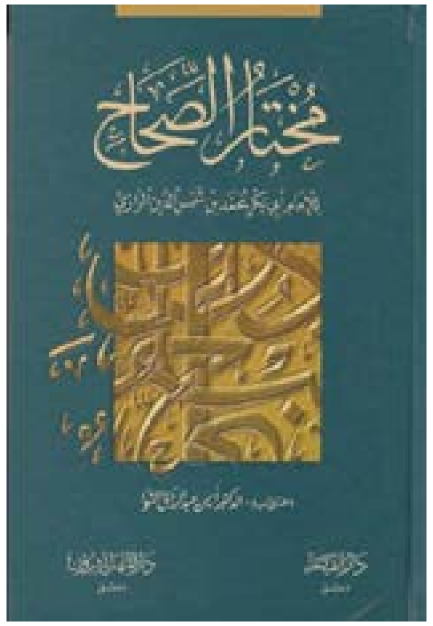

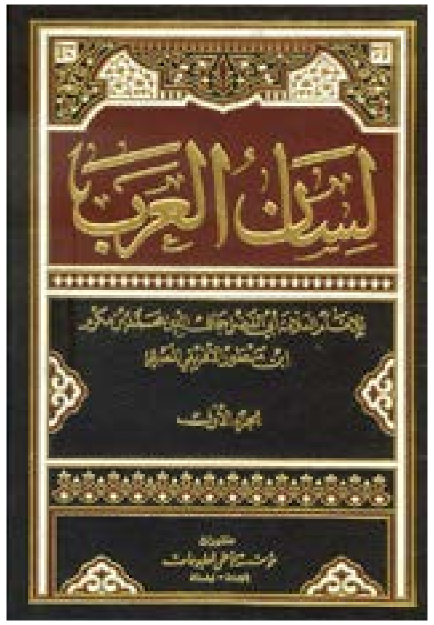

وسحاءتا اللسان: ناحيَتاه.

ورجلٌ أُسْحُوان: جميلٌ طويلٌ.

والسَّحاءَة والسَّحاءُ من الفرس: عِرْقٌ في أسفل لسانه.

والساحية: المَطْرة التي تَقْشِر الأَرض وهي المطرة الشديدة الوَقْع؛ وأَنشد:

أصاب الأرض منقمس الثريا،××× بساحية، وأتبعها طلالا

وإنما خص الثريا لأنه زعم أن العرب تقول: ليس شئ من الأنواء أغزر من نوء الثريا، أراد أن المطر كان عند نوء الثريا، أي من أغزر ما يكون، والسِّحاء: نبتٌ تأكله النَّحلُ فيطيب عسلُها عليه،واحدته سِحاءَة. فالسحاء مضاد لنبات العرفط الذي يعطي عسل النحل مذاقاً سيئا .

وكتب الحجاج إلى عامل له:

أَنِ ابْعثْ إليّ بعَسَلٍ من عَسلِ النَّدْغِ، والسِّحاءأخضَرفي الإناء ؛ (والنَّدْغُ والنِّدْغُ: بالفتح والكسر: السَّعترالبَرّي، أو زهرة السعتر ، وقيل: شجرة خضراء لها ثمرة بيضاءُ).وهو من أجود أنواع العسل في منطقة الطائف .

والسِّحاء، بالمدّ والكسر: شجرة صغيرة مثل الكف، لها شوك وزهرة حمراء في بياض تُسمَّى زهرتها البَهْرَمة ، قال: وإنماخصّ هذين النبتين لأَن النحلَ إذاأَكلتهما طاب عسلُها وجادَ.

والسَّحاء،بفتح السين وبالقصر: شجرة شاكةٌ وثمرتها بيضاءُ، وهي عشبة من عُشب الربيع مادامت خضراء ، فإذا يبست في القيظ فهي شجرة،

والسَّحاة الناحية كالساحة؛ يقال: لاأَرَيَنَّك بسَحْسَحي وسَحاتي؛ وأماقول أَبي زُبَيْد الطائي في رثاء سيدنا عثمان الخليفة الثالث لما اعتدى الروافض على ضريحه الشريف:

كَـأَنَّ أَوْبَ مَساحي القوم ، فَوْقَهُمُ
طَيرٌ تَعيفُ على جُونٍ مَزاحِيفِ

شَبَّه رَجْع أَيدي القوم بالمَساحي المُعْوَجَّة التي يقال لها بالفارسية كَنْد في حفر قبرِ عثمان،رضي الله عنه، بطير تَعيف على جُونٍ مَزاحِيف؛قال ابن بري: والذي في شعرأَبي زُبيد:

كأَنَّهُنَّ بأَيدي القوم في كَبَدٍ، وفي رواية (تكشف) بدل تعيف.

وقال ابن سيده: شبّه المساحي بطير تقع على إبل مزاحيف. فتطير عنها بارتفاع الطير وانخفاضها.

وفي الجذر يقول ابن فارس:

السين والحاءأصلٌ واحد يدلُّ على الصَّبِّ، يقال سححت [الماء] أَسُحُّ سَحّاً. ومنه سموا السحاحة بهذا الاسم (وعاء زجاجي كروي يستخدم في المعايرات الكيميائية في مختبرات الكيمياء والصيدلة، يسح السائل منه سحـــاً).

وسَحَابَةٌ سحوح، أي صَبَّابة.

وشاةٌ ساحٌّ، أي سمينة، كأنَّها تَسُحّ الودكَ سَحّاً (والودك: الدسم، أو شحم الذبيحة المذاب).

وفرس مِسَحٌّ، أي سريعةٌ يشبه عدوُها انصبابَ المطر.

ويقال: سَحسَحَ الشيء، إذاسال.

ونستطيع دونما عنـــاء أن نقول بأن السحو والسحوة إشارة الى القشر، ويقصد بها أخوتنا الموريتانيون البشرة ، أو قشرة الوجه، وهي موضع الحياء وعلامة التهذيب ، والدلالة على التأثّر والانفعال من موقف ما.

أو ربما كانت السحوةُ قد اشتقّت من السحاء وهو الستر والغطاء ، وفي هذا إشارة الى أن أشياء مجتمعية يجب أن تُستر فلا تكشف ولا يباح تداولها، بل يُعتبر كشفها من الممنوعات العرفية، بمثابة (التابو) التقليدي في المجتمع!

فالمرأةُ الموريتانية حين تسألها عن اسم زوجها (مثلاً) لا تجيبك، وانما تكتفي بكلمة(هو) وتعتبر الإفصاح عن اسم الزوج مساساً بها أو به أو بالعائلة، والحياء هو المانع العرفي.

والزوج الموريتاني لا يبوح باسم زوجته بالمقابل أبدا، انطلاقا من السحوة نفسها، وهو ما يذكرنا بعادة كنا نتمسك بها، وهي عدم الإفصاح عن اسم الأم، وإذا ما جاء المسجِّل الإداري في المدرسة، أو المؤسسة يسألنا عن اسم الأم فلا نجيب، وكأنَّ اسم الأم (أو الأنثى عمومًا) عورة فنخفيه، مما يضطره لملء بياناته الإدارية بشكل سرِّي !

والشيء بالشيء يذكر، نلاحظ أنَّ الأشياء تعرف بأضدادها (والضدُّ يظهر حسنه الضدُّ)، أقول:

فلنعقد مقارنةً جذوريَّةً بين (ح س و = حسو) و (س ح و = سحو)، ولنَرَ:

سحو: هو ما ذكرنا آنفا.

ولنأخذ الحرفين الأوليَيْن (سح/ سحح) بمعنى سال ببطء ودون أن يحدث صوتا..

العكس(حس/ حسس): الحِسُّوالحَسِيسُ: الصوتُ الخَفيُّ ؛ قال الله تعالى:

((لايَسْمَعُون حَسِيسَها)) سورة الأنبياء/ ١٠٢.

والآن لاحظ (الحسو) وهو عملية البحث عن الماء، وعبارة البدو الشهيرة : ذهبوا إلى الحسو، أي ذهبوا لاكتشاف مواطن الماء في الصحراء ولهم علامات وطرق خاصّة بذلك!!!

فالحسو كشف وإظهار، بينما السحو ستر وكتم وإخفاء.

ومن هذا المنطلق الجذوري كانت الأسماء العربية البلدانية التالية:

- حاسي مسعود
- الأحساء
- حسية .... وغيرها.

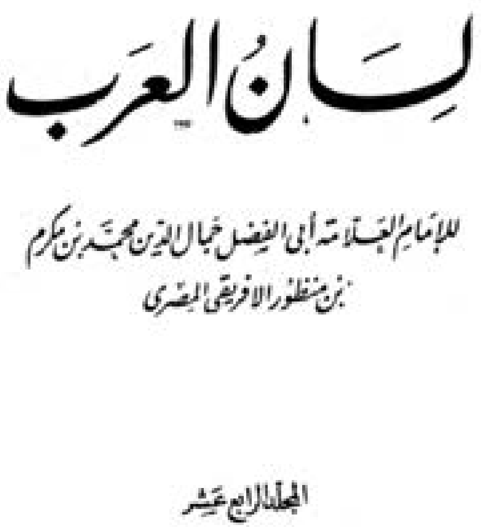

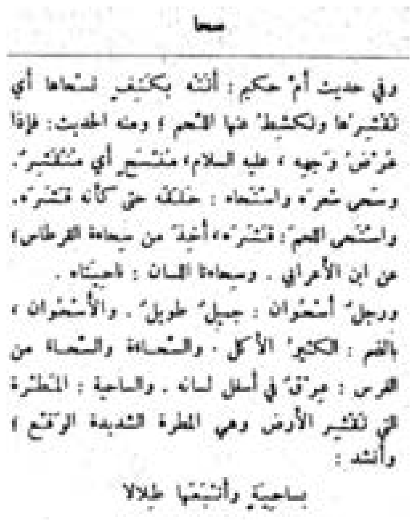

سحا

وفي حديث أُمّ حكيم: أَنَّه يكتفي بسَحاها أي بقشرها ولكشطه عنها اللحم؛ ومنه الحديث: فإذا عُرْضُ وَجْهِه، عليه السلام، مُنْسَحٍ أي مُنْقَشِرٌ. وسَحى شعرَه واسْتَحاه: حَلَقَه حتى كأَنَّه قشره. واستحى اللحمَ: قَشَرَه، أُخِذَ من سِحاءة القرطاس؛ عن ابن الأعرابي. وسِحاءتا اللسان: ناحيتاه.

ورجلٌ أُسْحُوان: جميلٌ طويل. والأُسْحُوان، بالضم: الكثيرُ الأَكْلِ. والسَّحاءَة والسَّحاءُ من الفرس: عِرْقٌ في أَسفل لسانه. والساحية: المَطْرة التي تَقْشِر الأَرض وهي المطرة الشديدة الوَقْع؛ وأَنشد:

بساحيةٍ، وأَتبعها طِلالا

والسِّحاء: نبتٌ تأكله النَّحلُ فيطيب عسلُها عليه، واحدته سِحاءة. وكتب الحجاج إلى عامل له: أَن ابْعثْ إليّ بعَسَلٍ من عَسَلِ النَّدْغِ والسِّحاءِ أخضر في الإناء؛ النَّدْغُ والنِّدْغُ: بالفتح والكسر: السَّعتر البَرّيّ؛ وقيل: شجرة خضراء لها ثمرة بيضاء. والسِّحاء، بالمدّ والكسر: شجرة صغيرة مثل الكف لها شوك وزهرة حمراء في بياض تُسمَّى زهرتها البَهْرَمة؛ قال: وإنما خصّ هذين النبتين لأَن النحل إذا أَكلتهما طاب عسلُها وجاد.

والسَّحاء، بفتح السين والقصر: شجرة شاكَّة وثمرتها بيضاء، وهي عُشبة من عُشب الربيع ما دامت خضراء، فإذا يبست في القيظ فهي شجرة؛ وقيل: السَّحاة والسَّحاءة نبتٌ يأكله الضب. وضبٌّ ساحٍ حابِلٌ إذا رعى السَّحاء والحَبْلَة. والسَّحاة: الخُفّاش، وهي السَّحا والسَّحاء، إذا فتح قصر، وإذا كسر مُدَّ. الجوهري: السَّحا الخُفّاش،

قوِّم لسانك - قل ولا تقل

د.مصطفى يوسف - باحث بمجمع اللغة العربية بالقاهرة

تقوم فكرة هذا البحث على بيان الصواب والخطأ للألفاظ والأساليب والتراكيب التي تشيع على ألسنة بعض الكُتّاب والمثقفين والأدباء ورجال الصحافة وطلاب المدارس والجامعات ورجل الشارع العادي. وقد بدأت بذكر الصواب أولًا حتى يعلق بالذهن، ثم ذكرت الخطأ الشائع، ثم ذكرت علة التقويم بشكل مختصر ومركَّز. معتمدا في ذلك على المعاجم المختلفة، ومستشهدا بالقرآن الكريم للتدليل على صواب الكلمة أو المدخل المصوَّب.

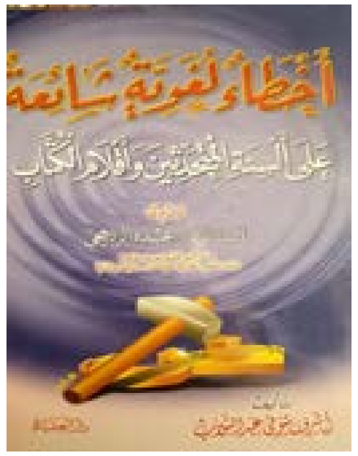

لماذا: قوِّم لسانك؟

جاءت هذه التسمية مقصودة؛ فكما نعلم جميعًا أن كثيرًا منا يذهبون إلى المتخصص في عمليات الجراحة والتجميل والأسنان؛ لإجراء عمليات تقويم معينة، فهناك تقويم للأسنان، وآخر لتقويم الأنف،... إلخ، ولكن لم ينتبه أحد إلى تقويم لسانه؛ فدرج اللسان على ترديد الخطأ دون حرج، وألفت الأذن سماع اللحن دون تأثر؛ فكان الهدف من التسمية بهذا الاسم هو لفت الأنظار إلى أن هذه الجارحة (اللسان) تحتاج إلى تقويم هي الأخرى، شأنها في ذلك شأن الأسنان والأنف والعظام... إلخ، ولكن هذا التقويم يتطلب جراحة أخرى لا يتم فيها استخدام آلات الجراحة المتعارف عليها؛ تلك الجراحة تتطلب الدربة والمران على نطق الألفاظ والأساليب بالوجه الصحيح لذلك، وتجنب اللحن فيها؛ حتى يستقيم اللسان؛ فلا ينطق إلا ما كان صوابًا محضًا.

قل	لا تقل	علة التقويم
شهر ربيع الآخِر	شهر ربيع الآخَر	الصواب كسر خاء "الآخِر"؛ فقد جاء في المعجم الوسيط: "الرَّبيعُ من الشهور: شهر ربيع الأول وشهر ربيع الآخِر"، وجاء فيه أيضًا: "الآخِر: مقابل الأول". أما "الآخَر" فجاء بمعنى: "أحد الشيئين، ويكونان من جنس واحد. و: بمعنى غَيْر".
آمُلُ في التفوق	آمَلُ في التفوق	الوارد في المعاجم ضبط الميم بالضم؛ فقد جاء في المعجم الوسيط: "أَمَلَه يأمُلُه أَمْلًا وأَمَلًا وإمْلًا: رَجَاه وترقَّبه".
أطفالٌ أبرياءُ	أطفالٌ أبرياءٌ	أبرياءُ؛ لا تُنوَّن لأنها ممنوعة من الصرف، لأنها منتهية بألف التأنيث الممدودة، وهي ليست من أصل الكلمة، وقد توهَّم من صرف هذه الكلمة أنها لا تحقق شروط صيغة منتهى الجموع لوجود حرف واحد بعد ألفها، والواضح أن علة المنع من الصرف فيها هي وجود ألف التأنيث الممدودة.
كسر إِبْزِيمَ الحزام	كسر أَبْزيمَ الحزام	وردت الكلمة في المعاجم بكسر الهمزة؛ فقد جاء في المعجم الوسيط: "الإِبْزيم: عُرْوَة معدنية في أحد طرفيها لسان، توصل بالحزام ونحوه لتثبيت طرف الحزام الآخر على الوسط".
أبهاءٌ واسعةٌ	أبهاءُ واسعةٌ	أبهاءٌ؛ تُنوَّن لأنها ليست ممنوعة من الصرف، لأن همزتها منقلبة عن أصل، فهي ليست زائدة كما توهَّمها من منعها من الصرف، ووزنها: أَفْعال.
فرض عليه إِتاوة	فرض عليه أَتاوة	وردت الكلمة في المعاجم بكسر الهمزة؛ فقد جاء في المعجم الوسيط: "الإِتاوة: ما يُؤخذ كَرْهًا. (ج) أَتاوَى".

قل	لا تقل	علة التقويم
أَتوَسَّل إليك أن تقرضني ألف دينار/ أَتوَسَّل إليك بالله أن تقرضني ألف دينار	أَتوَسَّل إليك بأن تقرضني ألفَ دينار	تدخل الباء على المتوسَّل به، وليس على الشيء المتوسَّل من أجله، كأن تقول: "توسَّل إليه بعينين ضارعتين أن يقرضه ألف دينار"، ولا يصح أن تدخل الباء على الشيء المطلوب أو المتوسَّل من أجله.
هذه أَثارة من إحدى الأسر الفرعونية	هذه إِثارة من إحدى الأسر الفرعونية	وردت الكلمة في المعاجم بفتح الهمزة؛ فقد جاء في المعجم الوسيط: «الأثارة: العلامة، و: بقية الشيء. وفي التنزيل العزيز: ﴿ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾» (الأحقاف/٤).
بلغت به الأَثَرة الطمع في حق غيره	بلغ به الإيثار الطمع في حق غيره	جاء في المعجم الوسيط: «الإيثار: تفضيل المرء غيره على نفسه». أما «الأَثَرَة» فهي حُبّ النفس، وتُطلق أخلاقيًّا على من لا يهدف إلا إلى نفعه الخاص.
أبناءٌ أثرياءُ	أبناءٌ أثرياءٌ	أثرياءُ؛ لا تُنوَّن لأنها ممنوعة من الصرف، لأنها منتهية بألف التأنيث الممدودة، وهي ليست من أصل الكلمة، وقد توهَّم من صرف هذه الكلمة أنها لا تحقق شروط صيغة منتهى الجموع لوجود حرف واحد بعد ألفها، والواضح أن علة المنع من الصرف فيها هي وجود ألف التأنيث الممدودة.
إجازة اعتيادية	أجازة اعتيادية	الوارد في المعاجم القديمة والحديثة "إجازة" بكسر الهمزة لا بفتحها؛ لأنها في الأصل مصدر الفعل "أجاز"؛ فقد جاء في معجم اللغة العربية المعاصرة: "إجازة: إذن بالتغيب عن عمل بعذر من الأعذار. إجازة مرضية/ عارضة/ اعتيادية".
هذه أجزاءٌ من العمل	هذه أجزاءُ من العمل	أجزاءٌ؛ تُنوَّن لأنها ليست ممنوعة من الصرف، لأن همزتها أصلية، فهي ليست زائدة كما توهَّمها من منعها من الصرف، ووزنها: أَفْعال، وليس فَعْلاء.
عاشَ في أَجْواءٍ كئيبةٍ	عاشَ في أَجْوَاءَ كئيبةٍ	تستحق كلمة «أَجْوَاء» الصرف؛ لأنَّ همزتها منقلبة عن أصل، فهي ليست زائدة كما توهَّمها من منعها من الصرف، ووزنها: أَفْعال.
هذه الصورة أحبُّ إليَّ من تلك	هذه الصورة أحبُّ عليّ من تلك	الوارد تعدية أفعل التفضيل «أحبّ» بحرف الجر «إلى» كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾ (يوسف/٣٣).
شارك في أحد المؤتمرات	شارك في إحدى المؤتمرات	الواجب في "أحد" أن يطابق المعدود دائمًا في التذكير والتأنيث، ومفرد المؤتمرات "مؤتمر"؛ لذا وجب التذكير.

قل	لا تقل	علة التقويم
أحد المستشفيات	إحدى المستشفيات	المفرد مستشفى، وهو مذكر، والواجب في اللفظ "أحد" أن يطابق المعدود دائمًا في التذكير والتأنيث. وقد جاء في المعجم الوسيط: "المستشفَى: مكانٌ للاستشفاءِ، يُجَهَّز بالأطباءِ والممرِّضين والأدوية والأَسِرَّة. (محدثة). (ج) مستشفياتٌ، ومَشافٍ".
قَرَأت هذا الكتاب إحدى عشرة مرة	قَرَأت هَذَا الكتاب أَحَدَ عشرة مرة	اشترط النحاة مطابقة جزأي العدد المركب: أحد عشر لمعدوده في التذكير والتأنيث، وعليه جاء قوله تعالى: ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا﴾(يوسف/٤).
الشهداء أحياءٌ عند ربهم	الشهداء أحياءُ عند ربهم	أحياءٌ؛ تُنوَّن لأنها ليست ممنوعة من الصرف، فهمزتها منقلبة عن أصل، فهي ليست زائدة كما توهمها من منعها من الصرف، ووزنها: أفعال.
أَخْزَاه اللهُ	خَزَاه اللهُ	الوارد في المعاجم لهذا المعنى «أَخْزَى» مزيدًا بالهمزة؛ فقد ورد في المعجم الوسيط: «أَخْزاه: أهانه. و: وأخجله. وفي التنزيل العزيز، حكايةً عن قوم لوط: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي﴾» (هود/٧٨).
أَخْطَأَ فلانٌ الصوابَ	أَخْطَأَ فلانٌ عن الصواب	الفعل «أَخْطَأَ» يتعدَّى إلى المفعول بنفسه؛ فقد جاء في المعجم الوسيط: «أَخْطَأَ الهدفَ ونحوَه: لم يُصِبْه». ويرى الدكتور أحمد مختار عمر أنه يمكن تصحيحه متعديًا بـ «عن» على تضمينه معنى الفعل «حاد».
شاهدت أُخْطُبوطًا ضخمًا	شاهدت أَخْطبوطًا ضخمًا	وردت الكلمة في المعاجم بضم الهمزة، لا بفتحها؛ فقد جاء في المعجم الوسيط: "الأُخْطبوطُ: حيوانٌ بَحْريٌّ من الرَّخْويّات له ثماني أرجل رأسية، يُضرب به المثلُ في شدة التَّشَبُّثِ بما يُمْسِكُه".
تم إخلاء المنزل من السكان	تم إخلاء السكان من المنزل	«المنزل» هو الذي يُخْلَى لا السكان.
أقاربُ أخلاَّءُ	أقاربُ أخلاَّءٌ	أخلاَّءُ؛ لا تُنوَّن لأنها ممنوعة من الصرف، لأنها منتهية بألف التأنيث الممدودة، وهي ليست من أصل الكلمة، وقد توهم من صرف هذه الكلمة أنها لا تحقق شروط صيغة منتهى الجموع لوجود حرف واحد بعد ألفها، والواضح أن علة المنع من الصرف فيها هي وجود ألف التأنيث الممدودة.
أُصيب في أَخْمَصِ قدمه	أُصيب في إِخْمَص قدمه	وردت الكلمة في المعاجم بفتح الهمزة، لا بكسرها؛ فقد جاء في المعجم الوسيط: "الأَخْمَصُ: باطنُ القدم الذي يتجافى عن الأرض".

غــزلٌ ولــكــنْ .....؟

وقفاتٌ مع غزل النّحاة والفقهاء والقرّاء واللغويين

د. مصطفى البحيرة
أستاذ وباحث أكاديمي

المقدمة

الحمد لله الذي فضّلنا بلغة الضّاد، وجعل خصائصها تسرُّ الفؤاد، والصّلاة والسّلام على أشرف العباد، وعلى آله وصحابته الأمجاد، وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الميعاد.

وبعد؛ فإنَّ النّاظر في كتب التراث، وأنماط التأليف يجد نفسه مندهشا بأساليب الكُتّاب، وقصود المؤلّفين، وبراعة المصنفين، وإبداعات الكاتبين.

وكلّنا يعلم أن الغزل في عرف الأدباء: هو مدح محاسن المحبوب المادية والأدبيّة، وذكر أيام الوصل والهجر، فإن قيل: هل شعرُ الغزل بقي سجينا في أوصاف المحبين، وأخبارِ المتيَّمين؟ أم تحرّرت قوافيه، واتسعت فيافيه، فصار الغزل ميدانًا للتعليم وأسلوبا في التفهيم ذا وجهين، يحمل معنيين لا تخطئه العين.

نجد في عيون التراث غزلا للفقهاء، وغزلا للنحاة، وغزلا للغويين، وغزلا للمحدّثين، وغزلا للمعجميين........الخ.

واقرأ غزلاً تقطر كلماتُه بمصطلحات الفقه للقاضي عبد الوهاب المتوفى سنة (ت٤٢٢هـ).

ونائــمــةٍ قبّــلتهــا فتنبّــهــت ... فقالت تعالَوْا اقتلوا اللّصَّ بالحدّ
فقال إنــي، فــديتك، غــاصبٌ ... وما حكموا في غاصب بسوى الرّدّ
فقالت قصاصٌ يشهدُ العقلُ إنه ... على كبد الجاني ألذُّ من الشّهد

غزلٌ ولكنْ...... لغةُ فقه عبِق شذاها من دال القوافي... قصاص... غصب.... جانٍ.... حدّ..

وتأمّل غزل المُعربين:

وعالمةٍ بالنّحو قلتُ لها اعربي ... حبيبي على الدّهـر قد اعتدى
فقــالت حبيبي مبتدأٌ بكلامه ... فقلت: ضُمّيه إن كان المبتدا

غزلٌ ولكنْ ...... إعرابُ مفرداتٍ، ولطائفُ إشارات...

وقال آخر في معاني كلمة النحو، وأنه مشترك لفظيّ يقع على معانٍ مختلفة:

نَحَوْنا نحـوَ دارك يا حبيبي ... وجـدنا نحـوَ ألـفٍ مـن رقيـب
وجدناهُـمْ عـواةً نحـوَ كلب ... تمنَّـوا منـك نحـوا مـن شريب[1]

غزلٌ ولكنْ.... كلمةُ نحوٍ مشتركٌ لفظيٌ يقع على معانٍ مختلفةٍ تحدّدها القرائنُ والسّياق

وقال آخر:

وشــادنٍ يســألُنــي ... مـا المبتــدا والخــبـــر؟
مَثّلْهُــمـا لــي مُسْرِعًا ... فقلتُ: أنـتَ الـقــمَــر

وما ألطف قول الشاعر:

عذّبت قلبي بهجرٍ منك متّصل ... يا من هواهُ ضميرٌ غيرُ منفصل

ما زال من غيّ كدّ صدودك لي......... فما عدولك من عطف إلى بدل[2]

غزلٌ ولكنْ.... امتزجت لغة الضاد، بسويداء الفؤاد عند علمائنا الأمجاد، فتفنّنوا بعرضها وبسط فنونها[3] ببراعة اختراع، وجمال إبداع، ولذيذ إمتاع، ألا ترى الظواهر اللّغوية في أبيات غزلية، ومدائح نبوية، وحكم سنية تحتاج منّا إلى تأمل ورويّة.

وغزل المُقرئين:

ضحكت زينب فأبدت ثنايا ... تركتني سكرانَ دون شرابي
طـوَّقتنـي ظلـمـا قــلائـد ذل ... جرّعتني جفونُها كأسَ صابي[4]

---

(١) انظر: الحقائق المكلّلة والدَرّة الإلغية ، لسيدي صالح بن عبد اللّه الإلغي (ص:١٣)
ونظم بعضهم معاني النحو وهي عشر معاني فقال:

النحو في لغة قصد كذا مثل ... وجانب وقريب بعض مقدار
نوع، ومثل،بيانٌ، بعد ذا عقبٌ ... عشر معان لها في الِكلَ أسرار

انظر: فيض نشر الانشراح من روض طيَ الاقتراح، للإمام اللّغوي أبي عبد اللّه محمَد بن الطَيب الفاسي (ت١١٧٠هـ) (٢٢٩/١).
(٢) انظر: المجموعة النَفيسة ، لعبد الكريم التكريتي (ص:٢١٦)، تحقيق: عبد الحكيم أنيس.
(٣) نظم بعضهم فنون اللغة بقوله:

خذ نظم آداب تضوع نشرها ... فطوى شذا المنثور حين يضوع
لغة وصرف واشتقاق نحوها ... علـم المعانـي بالبيـان بـديـع
وعرض قافية وإنشا نظمها ... فكتابة التَاريخ ليـس يضيـع

انظر: المرجع السَابق (١٩٩/١).
(٤) انظر: الحواشي الأزهرية في حلَ ألفاظ المقدَمة الجزرية لخالد بن عبد اللَه الأزهري (ص:٨٤)، تحقيق: محمَد بركات، ط: الأولى: ٢٠٠٢م.

غزلٌ ولكنْ.... غرض البيتين غرضان: وصف الحبيبة ومعاناة الحبيب، وبيان حروف الإخفاء من أوائل الأبيات، وقد حفظت عن مشايخنا الفضلاء حروف الإخفاء.

(ثضطزدس دبت شقف جسدك)

فشتّان بين من يطرب الآذان، ويُمتع الوجدان، في تقريب العرفان، وبين من يَعْرض المعارف بعبارة كلّها غوامض ومخاوف، وهذا النَمط من التأليف أسلوبٌ تربويٌ بديعٌ، واستراتيجيةٌ ماتعةٌ تقرّبُ العلوم ، وتوصلُ الفهوم، تحتاج منّا إلى مزيد تأمّل، وتنزيل بيداغوجي معاصر، ووصل حلقات الفهوم، وسلاسل الأفكار، وربط آراء النّظار أمرٌ لايستغني عنه الباحثون الكبار، وأنّ العلم له مقوماتٌ من سلكها قتل أوداج المسائل، وملك روح المعرفة، وهذه المقومات هي: كتب صحاح، وشيخ فتّاح، وعقل رجّاح، وطلبٌ وإلحاح.

والعلم أركان ثلاثة: المصادر والمراجع، والمنهج للتعامل معها، والملَكة الراسخة في النفس.

أثناء دراستي بالأزهر الشريف طلبتُ من أخي الحبيب، الشّاعر اللّبيب سيدي عمرصل السّنغالي «أصلح الله حاله وحالي- وهو أديبٌ أريبٌ ينفخ في قوافيه روح المتنبي، وأنفاس البصيري، ويسقي معانيه خمريات ابن الفارض، وما شوقي عنه ببعيد أن ينظم رامزةً لمعاني الحروف، يسهُل حفظها، ويعذُب لفظها، ويلطف معناها، ويدنو فَحواها، فجاءت غزلية ماتعةً حاصرةً لوظائف الحروف، أشبه بقصيدة أبي عبد الله الهواري الأندلسي المتوفّى سنة (٧٨٠هـ)

في نونيته التي عرض فيها درر المعاني لمباني الحروف في حكمةٍ بالغةٍ تهدي النفوسَ، وتُرشد الأنام. كلاهما تناول الحرف ولكن بنهج آخر، وهدف مغاير.

فأبو عبد الله الهواري تناول معنى مباني الحروف والشَيخ عمر السَينغالي تناول تصرفات الحروف بأسلوبٍ غير مألوفٍ وهو الرّمزُ لوظائف الحروف، قال أبو عبد الله الهواري الأندلسيّ فيَ مطلعها :

لاتركننَّ من الدّنيا إلى ألف ... فمنْ يُصاحبْ حقيرا هان في الزّمن

واحرصْ على المجد حرص الباء حين يرى ... عذراء تَفتنهُ بالمنظر الحسن

وكُنْ جوادا كريم الكفّ ذاهبة ... كالتّاء في النّوق يروي القوم باللَبن

وابْحث عن الثّاء في كل الأمور فمن ... رأى الحقائق أمسى وهو ذو فطن

حكمةٌ ولكنْ .... الألف: الرجل الذي لا زوجة له، والباء: الرجل الكثير المباشرة، والتاء: الآنية التي تحلب فيها النّاقة، والثاء: اللَينُ من كلَ شيء.......الخ.

قال حبيبنا عمر صل السينغالي: في مطلع إفداء العاني برموز حروف المعاني:

كم أنت مُستغرقٌ يا قلبُ في الفتن .... (مستقبلاً) وُدَّ من والتك بالمِحَن

غزلٌ ولكنَ........ رمزُ الأبيات لما هو آت.

شغفتُ في حب ليلى بنت عمّتنا كأنـّها ؛ إذ (أناديها) بلا أذُن

غزل ولكن .... يرمز الشاعر لحروف النداء هي: يا، وأيا، وهيا، وأي، والهمزة، وآووا :.

ذهبت (أطلبها) زوجا لعائلتي.................... فخيّبتني ونَقْعُ الذّلّ في بدني

غزلٌ ولكنَ .... المراد حروف الطلب وهي:لام الأمر، لام النهي، ولا الناهية، وحرفا الاستفهام، والتحضيض والتنديم، وأحرف العرض والتمني، والترجي.

معارضات «يا ليلُ الصّبُّ متى غدهُ»

شعرُ المعارضات من الفعل (عرض) بمعنى: ظهر، وعارضه: سارَ حِيالَه، أو أتى بمثل ما أتى به. وعارض الكتابَ بالكتاب: قابله. وقد جاء في «لسان العرب» أنّ (المعارضة) هي المحاذاة.

واصطلاحا: أن يقولَ الشاعر قصيدة في موضوع ما، فيأتيَ شاعرٌ آخر، فينظم قصيدةً أخرى على غرارها، مُحاكيًا القصيدة الأولى في وزنها، وقافيتها، وموضوعها، مع حرصه على التفوق، أي أنّ فنّ المعارضة يقتضي وجودَ أنموذج فنيّ ماثل أمام الشاعر المُعارِض، ليقتدي به، ويُحاكيَه، أو يُحاول التّفوّق من الناحية الفنيّة على نظيره الذي أنشأ القصيدة الأولى.

عرّفها أحمد الشايب بقوله: «أن يقول الشّاعرُ قصيدةً ما في موضوع ما من أيّ بحرٍ وقافية، فيأتي الشاعرُ الآخرُ فيُعجَبُ بهذه القصيدة في منهجها وصِياغتها، فيقول قصيدة من بحر الأوّل وقافيتها، وفي موضوعها أو مع انحراف عنه يسير أو كثير، حريصًا على أن يتعلّق بالأولى في درجته الفنيّة، أو يفوقه دون أن يتعرّض لهجائه أو سبّه، ودون أن يكون فخرُهُ صريحا أو علانيةً؛ فالمُعارِض يقفُ من صاحبه موقفَ المُقلّد المُعجَب أو المعترف ببراعته، ومناط المعارضة هو الجانب الفنّي وحُسنُ الأداء».

هذا، وقد تبارى الشّعراء منذ العصور الأولى للشعر العربي، ابتداء من العصر الجاهلي حيث كان ثمة بدايات متواضعة في فنّ المعارضات إلى أن تسلّمَ راية الشعر العباسيون فأبدعوا في معارضات بعضهم بعضا بقصائد جياد جميلة سجّلها التاريخ الأدبي في قراطيسه، إلى أن سطعت شموس الآداب والفنون في سماء الأندلس فجادت قرائحُ شعرائها وأدبائها بالمُعجب المُطرب في هذا الشأن.

ومن أجمل القصائد ذات الصبغة الفنيّة الرائعة التي سارت بها الركبان، وضُربت بها الأمثال، وسلب حُسنُها المتأدّبين والشعراء والنقاد قصيدة:

يا ليلُ الصّبُّ متى غدُهُ... أقيامُ الساعة موعدُه؟

هذه القصيدة العصماء الغرّاءُ الفريدة البهيّة الساحرةُ فنّيا، الرائعة إيقاعا، الفاتنة في أسلوبها وصَوْغها، فتنت الشعراء الواحد تلو الآخر، فتبارَوْا في عصور مختلفة يقلدونها ويعارضونها، وبقيت هي على مرِّ الزمان خالدة، ما ذهب لها رُواء، ولا زالت لها جدّة، ولا اندثر أسلوبها الفصيح الشجيّ العذب المؤثر.

ولإبراز هذا اللّون من الأدب العربي، آثرنا في هذه الأسطر تسجيل بعض الكلمات عن القصيدة الأم وصاحبها، وبعض معارضاتها، سواء كانت المعارضة في ذات الموضوع أو في موضوع آخر قريب منه.

صاحب القصيدة الأمّ هو علي بن عبد الغني الفهري الحصري أبو الحسن، كان ضريرا، من أهل القيروان، وانتقل إلى الأندلس ومات في طنج .اتّصل بالمعتمد بن عباد ومدحه بقصائد جميلة.

وهذه القصيدة مقدار أبياتها تسعة وتسعون بيتا، منها ثلاثة وعشرون بيتاً في الغزل، وبقية أبياتها مدح بها الشاعر الأمير عبد الرحمن بن طاهر صاحب مُرسية بالأندلس، وكشأن الأقدمين، بدأ شاعرنا قصيدته بالغزل، ثم تخلّص منه إلى المديح.

يا ليلُ الصبُّ متى غدُه ... أقيامُ السّاعة مَوْعدُهُ
رقدَ السُّمّارُ فأرّقه ... أسفٌ للبيْن يردّدُهُ
فبكاهُ النجمُ ورقّ له ... ممّا يرعاه ويرصُدُهُ
كلِفٌ بغزالٍ ذي هَيَفٍ ... خوفُ الواشين يشرّدُهُ
نصَبتْ عيناي له شَرَكاً ... في النّوم فعزّ تصيُّدُهُ
وكفى عجباً أنّي قنصٌ ... للسِّرب سباني أغْيَدُهُ
صنمٌ للفتنة منتصبٌ ... أهواهُ ولا أتعبّدُهُ
صاحٍ والخمرُ جَنَى فمِه ... سكرانُ اللحظ مُعرْبِدُهُ
ينضُو منْ مُقلته سيْفاً ... وكأنّ نُعاساً يُغْمِدُهُ
فيُريقُ دمَ العشّاقِ به ... والويلُ لمن يتقلّدُهُ
كلّا لا ذنْبَ لمن قتَلَتْ ... عيناه ولم تَقتُلْ يدُهُ

شـعـر المُعـارضـات

يا من جَحَدتْ عيناه دمِي   وعلى خدَّيْه تورُّده

خدّاكَ قد اعْتَرَفا بدمِي   فعلامَ جفونُك تجْحَده

إنّي لأُعيذُكَ من قَتْلي   وأظُنُّك لا تَتعمَّده

باللّه هَبِ المشتاق كَرَى   فلعَلَّ خيالَكَ يُسْعِده

ما ضَرَّك لو داوَيْتَ ضَنَى   صَبٍّ يُدْنيكَ وتُبْعِدُه

لم يُبْقِ هواك له رَمَقا   فلْيَبْكِ عليه عُوَّدُه

وغداً يَقْضِي أو بَعْدَ غَدٍ   هل مِنْ نَظَرٍ يتَزَوَّدُه

يا أهْلَ الشوقِ لنا شَرَقٌ   بالدّمع يفيضُ مَوْرِدُه

يهْوى المُشْتاقُ لقاءَكُمُ   وظروفُ الدَّهْرِ تُبَعِّدُه

ما أحلى الوَصْلَ وأَعْذَبهُ   لولا الأيّامُ تُنَكِّدُه

بالبَينِ وبالهجرانِ فيا   لِفُؤادِي كيف تَجَلُّده؟

عارضها أبو القاسم الشابي فقال:

غنّاه الأمسُ وأطرَبَهُ   وشَجاهُ اليومَ فما غَدُهُ

وعارضها أحمد شوقي فقال:

مُضْناك جفاهُ مَرْقَدُهُ   وبكاهُ ورحَّمَ عُوَّدُهُ

وعارضها أمجد السامرائي فقال:

الشِّعرُ لحُسنك أُنشِدُهُ   نغَماً والطيرُ تُغَرِّدُهُ

وعارضها جميل صدقي الزهاوي :

لي عندك حقٌّ أنشدُهُ   أتقِرُّ به أمْ تَجْحدُهُ

وعارضها خير الدين الزركلي فقال:

بفؤادي جُرْحٌ أَتعهَّدُهُ   ما غيرُ وِصالك يُضَمِّدُهُ

وعارضها عبد الرزاق بستانة فقال:

ليلُ الهيْمان دنا غدُهُ   فكأنَّ الساعةَ مَوْعِدُهُ

وعارضها علي النفير فقال:

الجفنُ هواكَ يُسَهِّدُهُ   مَنْ يُسْعِدُهُ أو يُنْجِدُهُ

وعارضها وليد الأعظمي فقال:

المجدُ بيَوْمِك مولدُهُ   والفتحُ بكَ امتدَّتْ يدُهُ

وعارضها محمود بيرم التونسي في مدح النبي ﷺ :

اليومِ الأسعَدُ مولدُهُ   مصباحُ الدَّهرِ وسُؤدَدُهُ
لبيكَ رسولَ الله لقدْ   لبّاكَ الصَّخرُ وَجَلْمدُهُ

وعارضها محمد علي الرباوي فقال:

يا ليلَ البَلَدِ المَنْخورِ متى غَدُهُ؟   أقيَامُ الساعةِ مَوْعِدُهُ؟

كُلُّ البُلْدان قدِ انتفَضَتْ   إلاّ بلدي كَثُرَتْ عُوَّدُهُ

وعارضها البشير العريبي فقال:

يومٌ سنظلُّ نُرَدِّدُهُ   أبدًا، والدّهرُ يُجدّدُهُ

وعارضها جعفر ماجد فقال:

ما بالُ الحبِّ يُشَرِّدُهُ   فالقلبُ تهدَّمَ معبدُهُ

وعارضها الصادق العلويني فقال:

يَسْبِيكَ الحُسْنُ توَقُّدُهُ   ويُثيرُ خَيالَكَ مَشْهَدُهُ

وعارضها الطاهر القصار فقال:

رَيْبُ الأيّام سَطتْ يدُهُ   وفَشا في الكون تمَرُّدُهُ

وعارضها مرّة أخرى مادحا خير البرية قائلا:

مُختارُ الله مُحمّدُهُ   واليومُ الأسعدُ مولدُهُ

وعارضها محيي الدين خريّف فقال:

ليلٌ بالسّهد أُكابدُهُ   قد ذابَ بأنجمه غدُهُ

وعارضها مصطفى خريّف فقال:

العَهْدُ، هَلمَّ نُجَدِّدُهُ   فالدَّهْرُ قدِ انْبَسطتْ يدُهُ

هذا غيضٌ من فيض، ولله درُّ قصيدة فعلت فعْلَ السحر في الشعراء، فهام بحُبِّها الصغير والكبير، وفُتِنَ بجمالها الفتى الجسور والشيخ الوقورَ، وصدقت يا رسول الله: إنّ من البيان لسحرا، وإنّ من الشَعر لحكمة.

عينيّة ابن زُرَيْق البغدادي

الشاعر العباسيّ أبو الحسن عليٌّ بن زريق البغدادي، شاعرٌ مُقلٌ قتلهُ طموحُهُ، وقد عُرفَ ابنُ زريق بقصيدته الوحيدة المشهورة (لا تَعْذُليه فَإنَّ العذلَ يُولِعُهُ). أحبَّ ابنةَ عمّه حبّا جمّا، وحال فقرهُ وضيقُ العيش أن يعيشَ إلى جانبها فقرّر الاغتراب ومغادرة بغداد قاصدًا الأندلس، لعلّه يجدُ فيها من لين العيش ما يُعَوِّضُهُ عن فقره وبُؤسه وسوء طالعه. ولكنَّ صاحِبَته تشبّثت به، ودَعَتْه إلى البقاء بقربها خوفا عليه من الأخطار، فلم يستجب لدعائها، وشدَّ الرحال الى الأندلس، وقصد الأمير عبد الرحمن الأندلسي، ومدحه بقصيدة بليغة، فأعطاه عطاء قليلاً. وبعد أن عاد الى الخان الذي نزل به تذكَّر فراق زوجته، وما تحمّله من مشاق ومتاعب من أجلها، فاعتلّت صِحَّته وأصابه من الغم والهمّ ما أصابه، واشتد به المرض، ثم لفظ أنفاسه. يضيف الرّواة ممّن كتبوا عنه إنَّ عبد الرحمن الأندلسي أراد فقط أن يختبره بهذا العطاء الهزيل ليعرف هل هو من المتعففين أم من الطامعين الجشعين، فلمّا تبيَّنَ له غير ذلك سأل عنه ليجزل له العطاء، فتفقدوه في الخان الذي نزل به، فوجدوه ميتا، وعند رأسه رقعة مكتوب فيها هذه العينيّة التي لا يُعرَفُ له في ديوان الشّعر العربيّ سواها، وهي أشهر قصيدة في اللّوعة والاغتراب، ولجمالها الفنّي والأدبي، وتدفّق العاطفة الصادقة فيها سار كثير من أبياتها على ألسنة الناس مسرى الأمثال، ويعرفُها أهلُ الأدب بعينية ابن زريق، وفراقيّة ابن زريق، ويتيمة ابن زريق، ولكلّ تسمية معنى من المعاني؛ فهي عينيّة لأنَّ قافيتها هي العين المضمومة، وهي القصيدة الفراقية لأنّ موضوعها الفرا، وهي القصيدة اليتيمة لأنّ مؤرّخي الأدب لم يذكروا له غير هذه القصيدة؛ والغريب ألاّ يكون لابن زُرَيق غير هذه القصيدة.

لا تَعْذُليهِ فإنَّ العَذْلَ يُولِعُهُ

لا تَعذُلِيه فَإِنَّ العَذْلَ يُولِعُهُ ... قَدْ قَلت حَقًّا وَلَكِنْ لَيسَ يَسمَعُهُ
جاوَزتِ فِي نُصْحِه حَدًّا أَضَرَّبِهِ ... مِنْ حَيْثُ قَدَّرْتِ أَنَّ النُّصْحَ يَنفَعُهُ
فاستَعمِلِي الرِّفقَ فِي تَأنِيبِهِ بَدَلاً ... مِنْ عَذلِه فَهْوَ مُضْنى القَلبِ مُوجَعُهُ
قَدْ كانَ مُضْطَلِعًا بِالخَطْبِ يَحمِلُهُ ... فَضُيِّقَتْ بِخُطُوبِ الدَّهرِ أَضلُعُهُ
يَكفِيهِ مِنْ لَوعَةِ التَشتِيتِ أَنَّ لَهُ ... مِنَ النَّوى كُلَّ يَومٍ ما يُرَوِّعُهُ
ما آبَ مِن سَفَرٍ إِلّا وَأَزعَجَهُ ... رَأيٌ إِلى سَفَرٍ بِالعَزمِ يَجمَعُهُ
كَأَنَّما هُوَ فِي حِلٍّ وَمُرتَحَلٍ ... مُوَكَّلٌ بِفَضاءِ اللهِ يَذرَعُهُ
تأبى المطامِعُ إلا أنْ تُجَشِّمَهُ ... لِلرِّزْقِ كَدًّا وكَم مِمَّن يُودِّعُهُ
وَما مُجاهَدَةُ الإِنسانِ تُبَلِّغُهُ ... رزقًا، وَلا دَعَةُ الإِنسانِ تَقْطَعُهُ
قَد وَزَّعَ اللهُ بَينَ الخَلقِ رِزقَهُمُ ... لَمْ يَخلُقِ اللهُ مِنْ خَلقٍ يُضَيِّعُهُ
لَكِنَّهُم كُلِّفُوا حِرْصًا فلَسْتَ تَرى ... مُستَرْزِقاً وَسِوى الغاياتِ تُقنعُهُ
وَالحِرْصُ فِي الرِّزقِ وَالأَرزاقُ قَدقُسِمَت ... بَغِيٌ أَلّا إِنَّ بَغْيَ المَرءِ يَصْرَعُهُ
وَالدَّهْرُ يُعطِي الفَتى مِنْ حَيثُ يَمنَعُهُ ... إِرْثاً وَيَمنَعُهُ مِن حَيثُ يُطمِعُهُ
أَسْتَودِعُ اللهَ فِي بَغدادَ لِي قَمَرًا ... بِالكَرْخِ مِن فَلَكِ الأَزرارِ مَطلَعُهُ
وَدَّعْتُهُ وَبِوُدّي لَوْ يُوَدِّعُنِي ... صَفوُ الحَياةِ وَأَنّي لا أُوَدِّعُهُ
وَكَمْ تَشَبَّثَ بي يَومَ الرَّحيلِ ضُحًى ... وَأَدمُعِي مُستَهِلّاتٌ وَأَدْمُعُهُ
لا أَكُذبُ اللهَ، ثوبُ الصَّبرِ مُنْخَرِقٌ ... عَنّي بِفُرقَتِهِ لَكِنْ أَرَقِّعُهُ
إِنّي أُوَسِّعُ عُذرِي فِي جِنايَتِهِ ... بِالبَيْنِ عَنهُ وَجُرْمِي لا يُوَسِّعُهُ

قصيدة لها قصّة

رُزِقتُ مُلكاً فَلَم أُحسِنْ سِياسَتَهُ   وَكُلُّ مَنْ لا يُسُوسُ المُلكَ يُخْلَعُهُ
وَمَنْ غَدا لابِسًا ثَوبَ النَعيم بِلا   شُكْرٍ عَلَيه فَإِنَّ اللَّه يَنْزَعُهُ
اعتَضْتُ مِن وَجهِ خِلّي بَعْدَ فُرقَتِه   كَأسًا أُجَرَّعُ مِنها ما أُجَرَّعُهُ
كَم قائِلٍ لِي ذُقتُ البَينَ قُلتُ لَهُ   الذَنبُ وَاللَّهِ ذَنبي لَستُ أَدفَعُهُ
أَلا أَقمتَ فَكانَ الرُّشدُ أَجمَعُهُ   لَو أَنَّني يَومَ بانَ الرُشْدُ أَتبَعُهُ
إِنّي لَأَقطَعُ أَيّامي وَأُنفِقُها   بِحَسْرَةٍ مِنهُ فِي قَلبِي تُقَطِّعُهُ
بِمَنْ إِذا هَجَعَ النُوّامُ بِتُّ لَهُ   بِلَوْعَةٍ مِنهُ لَيلي لَستُ أَهْجَعُهُ
لا يَطمِئنُّ لِجَنبي مَضْجَعٌ وَكَذا   لا يَطمَئِنُّ لَهُ مُذْ بِنتُ مَضْجَعُهُ
ما كُنتُ أَحسَبُ أَنَّ الدهرَ يَفجَعُني   بِهِ وَلا أَنَّ بِيَ الأَيّامُ تَفْجَعُهُ
حَتّى جَرى البَيْنُ فِيما بَينَنا بِيَدٍ   عَسْراءَ تَمنَعُني حَظّي وَتَمْنَعُهُ
بِاللَّهِ يا مَنزِلَ العَيشِ الَّذي دَرَسَتْ   آثارُهُ وَعَفَتْ مُذ بِنتُ أَربُعُهُ
هَلِ الزَمانُ مُعيدٌ فِيكَ لَذَّتَنا   أَمِ اللَيالِي الَّتي أَمْضَتهُ تُرجِعُهُ
فِي ذِمَّةِ اللَّهِ مَنْ أَصبَحْتَ مَنزِلَهُ   وَجادَ غَيثٌ عَلى مَغناكَ يُمْرِعُهُ
مَنْ عِندَهُ لِي عَهدٌ لا يُضَيّعُهُ   كَما لَهُ عَهدُ صِدْقٍ لا أُضَيِّعُهُ
وَمَنْ يُصَدِّعُ قَلبِي ذِكرَهُ وَإِذا   جَرى عَلى قَلبِهِ ذِكري يُصَدِّعُهُ
لَأَصبِرَنَّ عَلى دَهْرٍ لا يُمَتِّعُني   بِهِ وَلا بِيَ فِي حالٍ يُمَتِّعُهُ
عِلمًا بِأَنَّ اصطِبارِيَ مُعْقِبُ فَرَجا   فَأَضْيَقُ الأَمرِ إِن فَكَّرتَ أَوْسَعُهُ
عَسى اللَيالِي الَّتي أَضنَت بِفُرقَتِنا   جِسمي سَتَجمَعُنِي يَومًا وَتَجمَعُهُ
وَإِن تُغِل أَحَدًا مِنّا مَنِيَّتُهُ   فَما الَّذي بِقَضاءِ اللَّهِ يَصنَعُهُ

من الشارقة تشرق الضاد

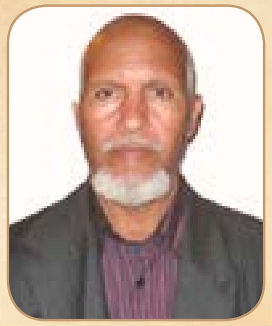

شعر الدكتور يحيى محمد الهاشمي
جامعة نواكشوط العصرية

بَيْنَمَا الضَّادُ تَرْتَقِي بِأَمَان   تَكْتُبُ الْخُلْدَ فِي جَبِينِ الزَّمَانِ
بِكِتَابٍ وَسُنَّةٍ فِي انْسِجَامٍ   وَاتِّحَادٍ آخَى بَنِي الْإِنْسَانِ
وَالْتِحَامٍ بَيْنَ الْعُرُوبَةِ وَالإِسْـ   لاَمِ يَبْنِي حَضَارَةَ الْإِيمَانِ
بَيْنَمَا الضَّادُ هَكَذَا تَتَحَدَّى   كُلَّ صَعْبٍ فِي عِزَّةٍ وَأَمَانِ
إِذْ شَجَاهَا مِنْ أَهْلِهَا وَ دَهَاهَا   مِنْ عِدَاهَا غَوَائِلُ الْعُدْوَانِ
بَثَّتِ الضَّادُ شَجْوَهَا لِبَنِيهَا   فَتَغَاضَوْا.. وَأَوْضَعُوا فِي التَّوَانِي
فَجَرَى بَيْنَهُمْ حِوَارٌ عَجِيبٌ   وَمِنَ الْحَالِ نَاطِقٌ بِالْعَيَانِ

قَالَتِ الْأُمُّ وَالدُّمُوعُ نَجِيعٌ:   أَيْنَ أَنْتُمْ أَبْنَاءَ خَيْرِ لِسَانِ؟
أَيْنَ أَنْتُمْ.. يَا مُسْلِمُونَ.. أَلاَ هَلْ   مِنْ مُجِيبٍ يَحْمِي الْحِمَى بِالسِّنَانِ؟
لَمْ يُجِبْهَا إِلاَّ صَدًى يَتَلاَشَى   غَمْغَمَاتٍ مِنْ غَيْرِ أَيِّ بَيَانِ:

نَحْنُ غَرْقَى فِي بَحْرِ جَهْلٍ وَفَقْرٍ   وَاسْتِلاَبٍ وَنَومَةٍ وَهَوَانِ
نَحْنُ صُمٌّ بُكْمٌ وَعُمْيٌ سِوَى مَنْ   يَتَبَاهَى بِلَوْثَةِ الزُّعْرَانِ
قَدْ خَلَعْنَا ذَوَاتَنَا وَانْهَمَكْنَا   فِي لُغَاتِ الْعِدَا بِكُلِّ تَفَانِ
فَاعْذُرِينَا قَدْ حَالَ دُونَكِ أَمْرٌ..   فَاقْنَعِي بِالْإِعْرَاضِ وَالْهِجْرَانِ

فَأَجَابَتْ فِي غَصَّةٍ وَاحْتِرَاقٍ:   «وَيْلَتَا.. ذَا اعْتِنَاؤُكُمْ بِالْغَوَانِي!
سِيَّمَا أُمُّكُمْ يَعِزُّ عَلَيْهَا   يُتْمُكُمْ فِي مَلاَحِمِ الْأَقْرَانِ
أُمُّكُمْ صَوْتُكُمْ بِكُلِّ النَّوَادِي   حَمَلَتْ ذِكْرَكُمْ بِكُلِّ حَنَانِ
وَبِهَا ذَاعَ صِيتُكُمْ فِي الْبَرَايَا   أَلْفَ عَامٍ بِالْعِلْمِ وَالْإِحْسَانِ
عِشْقُكُمْ لِلْغُزَاةِ سِرٌّ تَشَظٍّ   وَتَخَلٍّ عَنْ دِينِكُمْ وَاللِّسَانِ
سَرَطَانٌ يَدِبُّ فِي الْفِكْرِ مِنْكُمْ   بِلُغَاتٍ كَالسُّمِ فِي الْأُفْعُوَانِ»

ضَرَبَتْهَا مِنَ الْأَسَى عَاصِفَاتٌ   رَاجِمَاتٌ تَدُكُّ عُمْقَ الْكِيَانِ
فَتَنَاجَتْ فِي حَسْرَةٍ يَعْتَرِيهَا   أَمَلٌ فِي تَدَاوُلِ الْمَلَوَانِ:

لَيْتَ شِعْرِي أَبَعْدَ لَيْلٍ طَوِيلٍ   يُفْصِحُ الصُّبْحُ عَنْ حُرُوفِ الْمَعَانِي
وَتَعُودُ الْفُصْحَى لِسَانَ ذَوِيهَا   لارْتِيَادِ الْإِبْدَاعِ فِي عُنفوان
بِابْتِسَامٍ لِـ«لْقَاسِمِيِّ» جَدِيرٍ   بِاقْتِنَاصِ الْعُلاَ وَدَرْكِ الْأَمَانِي
وَبِفِكْرٍ مِنْ عَزْمِهِ مُسْتَنِيرٍ   «تُشْرِقُ» الضَّادُ فِي سَمَاءِ الزَّمَانِ؟

حكومة الشارقة Government of Sharjah

مجمع اللغة العربية بالشارقة

ARABIC LANGUAGE ACADEMY IN SHARJAH

المدينة الجامعية - الشارقة - الإمارات العربية المتحدة

مبنى مجمع اللغة العربية - الدور الأول

هاتف : 400 60 51 6 971+ ، فاكس : 410 60 51 6 971+ ، ص.ب : الشارقة ، 1973

البريد الإلكتروني : info@alashj.ae ، الموقع الإلكتروني : www.alashj.ae

مجمع القرآن الكريم بالشارقة

HOLY QURAN ACADEMY IN SHARJAH

مجمع القرآن الكريم بالشارقة

أحد أكبر المجامع القرآنية في العالم

- يضم عدة متاحف
- مسرح للاحتفالات الرسمية
- إدارات أكاديمية وتعليمية
- المقارئ الإلكترونية العالمية
- إدارة خاصة لضبط الأسانيد القرآنية وتنقيحها وتهذيبها ووضع معايير ثابتة للإجازات الصحيحة

- ستوديو الدورات العلمية
- ستوديو تسجيل القرآن الكريم
- الأرشيف الصوتي لقراء العالم الإسلامي
- مجالس الإقراء المباشرة
- مركز الدراسات القرانية
- مكتبة متخصصة في علوم القرآن والقراءات
- مكاتب إدارية

+971 6 511 8118 +971 6 511 8119 P.O. Box: 1873, Sharjah, UAE

info@holyquran.shj.ae www.holyquran.shj.ae

2019

الشارقة
عاصمة عالمية
للكتاب

SHARJAH
WORLD BOOK
CAPITAL

افتح كتاباً.
تفتح أذهاناً.

OPEN BOOKS.
OPEN MINDS.

@sharjahwbc

sharjahwbc.com